THE LIBRARIES

COLUMBIA UNIVERSITY

GENERAL LIBRARY

UAR-7482 - al-Mīsawī,

الامام عبد الحسين شرف الدين الموسوي
قدس الله سره

الفصول المهمة

في تأليف الامة

ويليها الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء (عليها السلام)

للمؤلف أيضاً

(الطبعة الخامسة)

دار النعمان للطباعة والنشر
في صيدا لصاحبها ابراهيم الكتبي

الإمام عبد الحسين شرف الدين الموسوي
قدس الله سره

الفصول المهمة

في تأليف الامة

ويليها الكلمة الغراء في تفضيل الزهراء (عليها السلام)

للمؤلف أيضاً

(الطبعة الخامسة)

دار النعمان للطباعة والنشر

BP
80
.F36
M7
1964

تنبيـــه

توسعنا بالفصول المهمة في هذه الطبعة ، إكمالاً لفوائدها ، وإتماماً لمقاصدها ، فظهرت اليوم بغير مظهرها أمس حتى كأنها غير الأولى ، فننبه المطلعين على تلك الى أنها لا تغنيهم عن هذه (وفي الحمية معنى ليس في العنب) .

وما أحق كتابي هذا بأن اخاطبه بقول ولي الدين يكن :

فمـا بك من اكـذوبة فأخافهـا ولا بك من جهل فيزري بك الجهل

***

تنبيـــه آخر

لما كانت الكتب المتكرر طبعها مختلفة في عدد الصفحات لم نقتصر في مقام النقل عنها في هذا الكتاب وغيره على تعيين الصفحة فقط بل عينا معها الباب أو الفصل مثلاً ، ليرجع اليه من لم تكن صفحات النسخ التي عنده موافقة لصفحات النسخ التي عندنا ، فاحفظ هذه الجملة وانتبه .

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خير خلقه محمد وآله الميامين [1] .

لا تتسق امور العمران ولا تستتب أسباب الارتقاء ولا تنبث روح المدنية ولا تبزغ شموس الدعة من أبراج السعادة ولا نرفع عن أعناقنا نير العبودية بيد الحرية إلا باتفاق الكلمة واجتماع الأفئدة وترادف القلوب واتحاد العزائم والاجتماع على النهضة بنواميس الامة ورفع كيان الملة ، وبذلك تهتز الأرض طرباً وتمطر السماء ذهباً وتتفجر ينابيع الرحمة من قلب المواساة فتجري في سهوب الترقي وتتفرق في بيد [2] العمران وأخاديد الحنان والاتحاد ، فتنشر روح الانسانية من أجداثها وتحشر الملة الفطرية من رفاتها ويتبلج القسط بازغة أنواره ويستوسق نظام العدل خافقة بنوده ويتفقد الحاكم أمر رعيته تفقد الوالد العطوف أمر ولده ، وعندها تجب مؤازرته في إحياء مواتها وعمارة فلواتها ورتق ما انفتق واصلاح ما فسد وارشاد من ضل وجهاد من بغى واعانة من ضعف وتعليم من جهل .

أما اذا كانت الامة أوزاعاً متباينة وشيعاً متباغضة لاهية بعبثها غافلة

---

(١) بسم الله الرحمن الرحيم . يقول ناظم عقد هذه الفصول عبدالحسين شرف الدين الموسوي : لما نفدت الطبعة الأولى من هذا الكتاب التمس مني من لا تسعني مخالفتهم من المؤمنين من أهل سوريا والعراق وغيرهما أن أعيد طبعه وأن أتوسع فيه ليتضاعف نفعه ، فأجبتهم الى ذلك وعلقت في أسفل صفحات الكتاب تعليقة نافعة جداً . والله نسأل أن يكون الكتاب وتعليقته خالصين لوجهه الكريم إنه الرؤوف الرحيم .

(٢) جمع بيداء كبيض جمع بيضاء .

MM Tunis 12/1968

عن رقيها لتكونن حيث منابت الشيح ومهافي الريح أذل الامم داراً وأجدبها قراراً ، مذقة الشارب ونهزة الطامع وهدف السهام وقبسة العجلان ، في باحة ذل وحلقة ضيق وعرصة موت وحومة بلاء ، لا تأوي الى جناح دعوة ، ولا تعتصم بظل منعة . فحذار حذار من بقاء الفرقة وتشتت الألفة واختلاف الكلمة وتنافر الأفئدة « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم » ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ، « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » .

ألا وإنا في عصر العلم ودور الذكاء والفطنة ، قد تفجر لذوي العصر ينبوع الحكمة وتقشعت عن أبصارهم غياهب العشوة ، فزهر كهرباء النور من أفكارهم وأشرقت شموس الفضل من وجوههم ، فهلا شرعوا خطي أقلامهم وجردوا صوارمها ووتروا قسي أفكارهم وناضلوا بثواقبها فأزهقوا نفس العصبية ومحقوا آثارها وصدعوا بوظائف الانسانية ورفعوا منارها وهتفوا بدعوة التمدن واعتنوا باتحاد التشيع والتسنن بخطابة تملأ مسمع الدهر وملامة تقلل جلاميد الصخر ، فمتى يطلقون عنان براعتهم ويحملون على جيوش التوحش ببراعتهم ، وينهضون باجتماع الاملاء ويصدعون بأسباب التمدن والارتقاء ويحذرون الامة مما يصطلم حوزتها ويفرق جماعتها ، فان الله سبحانه يقول : « ولا تنازعوا فتفشلوا » .

وإني صادع بهذه المقالة شارع بعون الله تعالى في تصنيف رسالة سميتها (الفصول المهمة في تأليف الامة) . « إن اريد إلا الاصلاح ما استطعت وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت واليه انيب » .

« فصـــل »

١

في نبذة مما جاء في الكتاب العزيز والسنة المقدسة من الترغيب في الاجتماع والالفة .

قال الله تبارك وتعالى : « إنما المؤمنون اخوة » ، « والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض » ، « محمد رسول الله والذين معه » الى أن قال عز اسمه في وصفهم : « رحماء بينهم » ، « ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءتهم البينات واولئك لهم عذاب عظيم » ، « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ، « إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعاً لست منهم في شيء إنما أمرهم الى الله ثم ينبئهم بما كانوا يفعلون » ، « يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وانثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا » الى غير ذلك من الآيات الكريمة .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تدخلون الجنة حتى تؤمنوا ولا تؤمنون حتى تحابوا ، أو لا أدلكم على شيء اذا فعلتموه تحاببتم افشوا السلام بينكم .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : الدين النصيحة . قلنا : لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين ولعامتهم ، والذي نفسي بيده لا يؤمن عبد حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم وهم يد على من سواهم ، فمن أخفر مسلماً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل منه يوم القيامة صرف ولا عدل .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إياكم والظن فان الظن أكذب الحديث ، ولا تحسسوا ولا تجسسوا ولا تناجشوا ولا تحاسدوا ولا تدابروا ولا تباغضوا وكونوا عباد الله اخواناً ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة أيام .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه ، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته ، ومن فرج عن مسلم كربة فرج الله عنه كربة من كربات يوم القيامة ، ومن ستر مؤمناً ستره الله يوم القيامة .

وقال الصادق عليه السلام : المسلم أخو المسلم ، هو عينه ومرآته ودليله لا يخونه ولا يخدعه ولا يظلمه ولا يكذبه ولا يغتابه .

وقال عليه السلام لجماعة من شيعته : اتقوا الله وكونوا اخوة بررة متحابين في الله متواصلين متواضعين متراحمين ، تزاوروا وتلاقوا وأحيوا أمرنا .

وعن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن أقربكم مني مجلساً أحاسنكم أخلاقاً المواطؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : المؤمن إلف مألوف ، ولا خير فيمن لا يألف ولا يؤلف .

وفي حديث آخر : إن أحبكم الى الله الذين يألفون ويؤلفون ، وإن أبغضكم الى الله المشاؤون بالنميمة المفرقون بين الاخوان .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : المتحابون في الله على عمود من ياقوتة حمراء ، رأس العمود سبعون الف غرفة يشرفون على الجنة يضيء حسنهم كما تضيء الشمس ، عليهم ثياب سندس خضر مكتوب على جباههم المتحابون في الله .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : ينصب لطائفة من الناس كراسي حول

العرش يوم القيامة وجوههم كالقمر ليلة البدر يفزع الناس وهم لا يفزعون ويخاف الناس وهم لا يخافون ، اولئك أولياء الله الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون • فقيل : من هم يا رسول الله ؟ فقال : هم المتحابون في الله •

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله تعالى يقول : حقت محبتي للذين يتزاورون من أجلي ، وحقت محبتي للذين يتحابون من أجلي ، وحقت محبتي للذين يتباذلون من أجلي ، وحقت محبتي للذين يتناصرون من أجلي •

وقال صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله تعالى يقول يوم القيامة : أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي •

وعن باقر علوم النبيين عن آبائه الخلفاء الراشدين عن جدهم سيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم أجمعين من حديث طويل قال : اذا كان يوم القيامة ينادي مناد أين جيران الله جل جلاله في داره ؟ فيقوم عنق من الناس فتستقبلهم زمرة من الملائكة فيقولون لهم : ماذا كان عملكم فصرتم به جيران الله في داره ؟ فيقولون : كنا نتحاب في الله ونتباذل في الله ونتزاور في الله عز وجل • قال : فينادي مناد صدق عبادي خلوا سبيلهم لينطلقوا الى جوار الله بغير حساب •

وعن عبدالمؤمن الأنصاري قال : دخلت على الامام أبي الحسن (الكاظم) عليه السلام وعنده محمد بن عبدالله الجعفري ، فتبسمت اليه فقال عليه السلام: أتحبه ؟ قلت : نعم وما أحببته إلا لكم • فقال عليه السلام : هو أخوك ، والمؤمن أخو المؤمن لأبيه وامه ، ملعون ملعون من اتهم أخاه ، ملعون ملعون من غش أخاه ، ملعون ملعون من لم ينصح أخاه ، ملعون ملعون من استأثر على أخيه ملعون ملعون من اغتاب أخاه •

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في الثناء على الاخوة في الدين : من أراد الله به خيراً رزقه خليلاً صالحاً إن نسي ذكره أو ذكر أعانه ، ومثل الأخوين إذا التقيا مثل اليدين تغسل احداهما الاخرى ، وما التقى مؤمنان قط إلا أفاد الله أحدهما من صاحبه خيراً .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : عليكم بالاخوان فانهم عدة في الدنيا والآخرة ، ألا تسمعون الى قول أهل النار : « فما لنا من شافعين . ولا صديق حميم » .

وعن جرير بن عبدالله قال : بايعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على اقام الصلاة وإيتاء الزكاة والنصح لكل مسلم .

والأخبار في هذا متواترة والصحاح متظافرة ، واذا راجعت حديث الفريقين رأيت الصبح قد أسفر لذي عينين ، وفي هذا كفاية لمن له من الله هداية .

« فصل »

٢

في بيان معنى الاسلام والايمان اللذين بهما ينال العبد غاية الرضوان ، وعليهما يكون المدار وبوجودهما تترتب الآثار .

دعاني الى بيانهما اقناع أهل العصبية والتنديد بهؤلاء المرجفين على حمية الجاهلية ، فأقول : أجمع اخواننا أهل السنة على أن الاسلام والايمان عبارة عن الشهادتين ، والتصديق بالبعث ، والصلوات الخمس الى القبلة ، وحج البيت ، وصيام الشهر ، والزكاة والخمس المفروضين [1] . وبهذا تعلن

(١) وربما بعضهم فرق بين الاسلام والايمان بفارق اعتباري ، والذي يظهر من قوله تعالى : « قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا »

الصحاح الستة وغيرها :

ففي البخاري بسنده قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم : من شهد أن لا إله إلا الله واستقبل قبلتنا وصلى صلاتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم له ما للمسلم وعليه ما على المسلم .

وفيه أيضاً بالاسناد الى أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم : من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فذلك المسلم الذي له ذمة الله وذمة رسوله ، فلا تخفروا (٢) الله في ذمته .

وفيه بالاسناد الى طلحة (٣) بن عبيد الله قال : جاء الى رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم رجل من أهل نجد ثائر الرأس نسمع دوي صوته ولا نفقه ما يقول حتى دنا فاذا هو يسأل عن الاسلام فقال رسول الله (ص) : خمس صلوات في اليوم والليلة . قال : هل عليَّ غيرها ؟ (٤) قال : لا . إلا أن تطوَّع . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : وصيام رمضان . قال : هل عليَّ غيره ؟ قال : لا . إلا أن تطوَّع . قال : وذكر له الزكاة قال : هل عليَّ غيرها ؟ قال : لا . إلا أن تطوَّع . قال : فأدبر الرجل وهو يقول :

إن الاسلام عبارة عن مجرد الدخول في الدين والتسليم لسيد المرسلين وإن الايمان عبارة عن اليقين الثابت في قلوب المؤمنين مع الاعتراف به في اللسان ، فيكون على هذا أخص من الاسلام ، ونحن نعتبر فيه الولاية مضافاً الى ذلك ـ فافهم .

(٢) الاخفار نقض العهد . وهذا الحديث والذي قبله مقيدان بما يدل على اشتراط الصوم والزكاة والحج كما لا يخفى .

(٣) هذا الحديث موجود في صحيح مسلم بهذا الاسناد أيضاً .

(٤) يعني من جنسها ، وكذلك المراد من قوله « هل علي غيرها » بعد ذكر الصيام والزكاة .

والله لا ازيد على هذا ولا انقص . قال رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم : أفلح إن صدق .

وفي صحيح البخاري أيضاً بالاسناد الى نافع ان رجلاً أتى ابن عمر فقال يا أبا عبدالرحمن ما حملك على أن تحج عاماً وتعتمر عاماً وتترك الجهاد في سبيل الله وقد علمت ما رغّب الله فيه ؟ قال : يا ابن أخي بُني الاسلام على خمس : إيمان بالله ورسوله ، والصلاة والخمس ، وصيام رمضان ، واداء الزكاة ، وحج البيت .

وفيه أيضاً بالاسناد الى أبي هريرة قال : كان النبي صلى الله عليه وآله بارزاً يوماً للناس ، فأتاه رجل فقال : ما الايمان ؟ قال صلى الله عليه وآله : الايمان أن تؤمن بالله وملائكته وتؤمن بالبعث . قال : ما الاسلام ؟ قال صلى الله عليه وآله : الاسلام ان تعبد الله ولا تشرك به ، وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان ــ الحديث . وآخره ثم ادبر (يعني السائل) فقال صلى الله عليه وآله : ردّوه ، فلم يروا شيئاً ، فقال : هذا جبرائيل ، جاء يعلم الناس دينهم .

قلت : واخرج هذا الحديث مسلم أيضاً في صحيحه بطرق مختلفة وأسانيد متعددة ، بعضها عن عمر بن الخطاب ، وبعضها عن ابنه عبدالله ، وبعضها عن أبي هريرة ، وفيه شيء ما من زيادة أو نقصان .

وأخرج البخاري في عدة مواضع من صحيحه بالاسناد الى ابن عباس ان النبي صلى الله عليه وآله قال لوفد عبد القيس (لما أمرهم بالايمان بالله وحده) : أتدرون ما الايمان بالله وحده ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : شهادة أن لا إله إلا الله ، وان محمداً رسول الله ، واقام الصلاة ، وإيتاء

الزكاة ، وصيام رمضان ، وان تعطوا من المغنم الخمس ــ الحديث (٥) .

والأحاديث في هذا المعنى لا تكاد تحصى ، فمن أرادها فعليه بمظانها من الصحاح الستة وغيرها ، ولا سيما كتاب الايمان من صحيح مسلم ، فان فيه أبواباً كثيرة تفيد القطع بأن الاسلام والايمان عند أهل السنة ليس إلا ما ذكرناه ، على ان ما سنورده في الفصلين الآتيين صريح في ذلك أيضاً ، فتدبر ولا تذهل .

« فصل »

٣

في نبذة مما صح عند أهل السنة والجماعة من الأحاديث الدالة على ان من قال « لا إله إلا الله محمد رسول الله » محترم دمه وماله وعرضه ، أوردناها لينتبه الغافل ويقنع الجاهل ، وليعلما ان أمر المسلمين ليس كما يزعمه اخوان العصبية ، وأبناء الهمجية ، وحلفاء الحمية ، حمية الجاهلية ، الذين شقوا عصا المسلمين وأضرموا نار الفتن بينهم ، حتى كانوا أوزاعاً وشيعاً ، يكفر بعضهم بعضاً ، ويتبرأ بعضهم من بعض ، من غير أمر يوجب ذلك ، إلا ما نفخته الشياطين ، أو نفثته أبالسة الانس الذين هم أنكى للاسلام من نسل آكلة الأكباد ، وهذا عصر العلم ، عصر الانصاف ، عصر النور ، عصر التأمل في حقائق الأمور ، عصر الاعراض عن كل تعصب ذميم ، والأخذ بكتاب الله العظيم ، وسنة نبيه الكريم ، واليك منها ما عقد الفصل لذكره :

---

(٥) وأخرجه مسلم أيضاً في عدة مواضع من صحيحه . ولا يخفى ما فيه من الدلالة على ان الخمس ركن من أركان الاسلام كالصلاة والزكاة ، فيكون هذا الحديث مقيداً لجميع الأحاديث المطلقة بالنسبة الى الخمس ، ولا غرو فان الكتاب والسنة يقيد بعضهما بعضاً .

أخرج البخاري في الصحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لمعاذ بن جبل حين بعثه الى اليمن : إنك ستأتي قوماً أهل كتاب ، فاذا جئتم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وان محمداً رسول الله ، فان هم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوا لك بذلك ، فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد على فقرائهم ؛ فان هم أطاعوا لك بذلك ، فاياك وكرائم أموالهم ــ الحديث [١] .

وتراه ينادي بثبوت الاسلام لهم بمجرد طاعتهم لــه بذلك ، بحيث تكون أموالهم حينئذ فضلاً عن أعراضهم ودمائهم محترمة كغيرهم من أفضل أفراد المؤمنين .

ومثله في باب فضائل علي عليه السلام من الجزء الثاني من صحيح مسلم [٢] قال : إن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : لأعطين هذه الراية رجلاً يحب الله ورسوله (وفي رواية اخرى هي في الصحاح أيضاً ويحبه الله ورسوله) يفتح الله على يديه . قال : عمر بن الخطاب : ما أحببت الامارة إلا يومئذ ، فتساورت لها رجاء أن أدعى لها . قال : فدعا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم علي بن أبي طالب فأعطاه إياها وقال : امش

(١) وأخرجه مسلم في صحيحه بالاسناد الى ابن عباس أيضاً . ولا يخفى تقييده بما دل على اشتراط طاعتهم له في الصوم والحج والخمس من الصحاح الأخر .

(٢) وهو موجود في باب غزوة خيبر من الجزء الثالث من صحيح البخاري ، وفي باب مناقب علي عليه السلام من الجزء الثاني منه أيضاً بنوع ما من التغيير في الألفاظ .

ولا تلتفت . قال فسار علي شيئاً ثم وقف ولم يلتفت ، فصرخ يا رسول الله على ماذا أقاتل الناس ؟ قال : قاتلهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، فاذا فعلوا ذلك فقد منعوا منك دماءهم .

وأخرج البخاري ومسلم في صحيحيهما عن اسامة بن زيد قال : بعثنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الى الحرقة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الأنصار رجلاً منهم ، فلما غشيناه قال : لا إله إلا الله ، فكفَّ الأنصاري عنه فطعنته برمحي حتى قتلته ، فلما قدمنا بلغ النبي صلى الله عليه وآله ذلك فقال : يا اسامة أقتلته بعد ما قال لا إله إلا الله ؟ قلت : كان متعوذاً . قال : فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم أكن أسلمت قبل ذلك اليوم .

قلت : ما تمنى ذلك حتى اعتقد أن جميع ما عمله قبل هذه الواقعة (من إيمان وصحبة وجهاد وصلاة وصوم وزكاة وحج وغيرها) لا يذهب عنه هذه السيئة ، وأن أعماله الصالحة بأجمعها قد حبطت بها . ولا يخفى ما في كلامه من الدلالة على انه كان يخاف أن لا يُغفر له ، ولذلك تمنى تأخر اسلامه عن هذه الخطيئة ليكون داخلاً في حكم قوله (ص) : « الاسلام يجبُّ ما قبله » . وناهيك بهذا دليلاً على احترام لا إله إلا الله وأهلها ، واذا كانت هذه حال من يقولها متعوذاً فما ظنك بمن انعقدت بها نطفته ثم رضعها من ثديَي أمه ، فاشتد عليها عظمه ونبت بها لحمه وامتلأ من نورها قلبه ودانت بها جميع جوارحه ، فلينته أهل العناد عن غيهم وليحذروا غضب الله تعالى وسخط نبيهم صلى الله عليه وآله وسلم .

وفي الصحيحين بالاسناد الى المقداد بن عمرو أنه قال : يا رسول الله

أرأيت ان لقيت رجلاً من الكفار فاقتتلنا فضرب احدى يدي بالسيف فقطعها ، ثم لاذ مني بشجرة فقال أسلمت لله ، أأقتله يا رسول الله بعد ان قالها ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لا تقتله ، فان قتلته فانه بمنزلتك قبل أن تقتله [٣] وإنك بمنزلته قبل أن يقول كلمته التي قال [٤] .

قلت : ليس في كلام العرب ولا غيرهم عبارة هي أدل على احترام الاسلام وأهله من هذا الحديث الشريف ، وأي عبارة تكايله في ذلك أو توازنه ، وقد قضى بأن المقداد على سوابقه وحسن بلائه لو قتل ذلك الرجل لكان بمنزلة الكافرين المحاربين لله ولرسوله ، وكان المقتول بمنزلة واحد من أعاظم السابقين وأكابر البدريين الأحديين ، وهذه أقصى غاية يؤمها المبالغ في احترام أهل التوحيد ، فليتق الله كل مجازف عنيد .

وأخرج البخاري في باب بعث علي عليه السلام وخالد الى اليمن : أن رجلاً قام فقال : يا رسول الله اتق الله . فقال صلى الله عليه وآله وسلم : ويلك ألستُ أحق أهل الأرض أن يتقي الله . فقال : خالد يا رسول الله ألا أضرب عنقه ؟ قال صلى الله عليه وآله وسلم : لا ، لعله أن يكون يصلي [٥] .

---

(٣) يعني انه يكون من عدول المؤمنين ، لأن المقداد كان كذلك .

(٤) يعني انه يكون بمنزلة الكافر الحربي ، لأن المقتول كان كذلك قبل أن يقول كلمته التي قالها .

(٥) وأخرجه أحمد بن حنبل من حديث أبي سعيد الخدري في صفحة ٤ من الجزء الثالث من مسنده . ومثله ما نقله العسقلاني في الإصابة في ترجمة سرحوق المنافق من انه لما أتى به ليقتل قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : هل يصلي ؟ قالوا : اذا رآه الناس . قال : اني نهيت ان أقتل المصلين اهـ . وكذلك ما أخرجه الذهبي في ترجمة عامر بن عبدالله بن يساف من ميزانه بسند ضعيف عن أنس قال : ذكر عند النبي (ص) رجل فقيل ذلك كهف المنافقين

قلت : أعظم بهذا الحديث ودلالته على احترام الصلاة وأهلها ، واذا كان احتمال كونه يصلي مانعاً من قتله ، وقد اعترض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم جهرة وكاشفه علانية ، فما ظنك بمن يقيم الصلاة ويؤتي الزكاة ويصوم الشهر ويحج البيت ويحلل الحلال ويحرم الحرام ، ويتعبد بقول النبي (صلى الله عليه وآله) وفعله وتقريره ، ويتقرب الى الله تعالى بحبه وبموالاة أهل بيته ويرجو رحمة الله عز وجل بشفاعته متمسكاً بثقليه معتصماً بحبليه ، ويوالي وليه وإن كان قاتل أبيه ويعادي عدوه وإن كان من خاصته وأهليه .

وأخرج البخاري في باب قصة البيعة والاتفاق على عثمان ، حيث ذكر مقتل عمر «رض» والحديث طويل ، وفيه : يا ابن عباس انظر من قتلني ؟ فجال ساعة ثم جاء فقال : غلام المغيرة . قال : الصنع ؟ قال : نعم . قال قاتله الله لقد امرت به معروفاً ، الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الاسلام ، قد كنت أنت وأبوك تحبان أن تكثر العلوج بالمدينة . فقال : ان شئت قتلناهم . قال : كذبت بعد ان تكلموا بلسانكم (أي أقروا بالشهادتين) وصلوا قبلتكم وحجوا حجتكم .. الحديث .

والظاهر من قوله « الحمد الله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل يدعي الاسلام » ــ بقرينة ما ستسمعه من رواية ابن قتيبة وابن عبدالبر ــ انه كان يخشى أن يكون قاتله مسلماً فيغفر له بسبب اسلامه ، فلما عرف أنه ممن

فلما أكثروا فيه رخص لهم في قتله ثم قال : هل يصلي ؟ قالوا : نعم صلاة لا خير فيها . قال (ص) : إني نهيت عن قتل المصلين . قلت اذا كانت هذه حاله مع المنافقين المرائين بصلاتهم فما ظنك بالمحافظين عليها والخاشعين المخلصين لله فيها .

لا يدعي الاسلام علم ان الله آخذ بحقه على كل حال ، وفي هذا من الدلالة على حسن عواقب المسلمين ما لا تسعه عبارة .

ثم اذا نظرت الى إنكاره على ابن عباس ، وقوله له مع جلالته «كذبت» الى آخر كلامه دلّك ذلك على احترام أهل الشهادتين والصلاة والحج كيف كانوا .

وفي صفحة ٢٦ من كتاب الامامة والسياسة للامام المجمع على فضله ابن قتيبة المتوفي سنة مائتين وسبعين : أن عمر لما أخبر أن قاتله غلام المغيرة قال : الحمد لله الذي لم يقتلني رجل يحاجني بلا إله إلا الله يوم القيامة .

وروى الحافظ أبو عمرو يوسف بن عبدالبر القرطبي في ترجمة عمر من الاستيعاب أنه قال لولده عبدالله : الحمد لله الذي لم يجعل قتلي بيد رجل يحاجني بلا إله إلا الله اهـ .

قلت : اذا كان صاحب لا إله إلا الله بحيث لو قتل عمر بن الخطاب وهو الخليفة الثاني لحاجه بها فأمر أهل التوحيد اذن سهل يسير ، فليتق الله أهل الشقاق ولينهض رجال الاصلاح بأسباب الوئام والوفاق ، فقد نصب الغرب لنا حبائله ووجه نحونا قنابله وأظلتنا منطاده بكل صاعقة وأقلنا نفقة بكل بائقة واحاط بنا اسطوله وضربت في اطلالنا طبوله ، ولئن لم يعتصم المسلمون بحبل الاجتماع ويبرأوا الى الله من هذا النزاع ليكونن أذلاء خاسئين وأرقاء صاغرين (أينما ثقفوا اخذوا وقتلوا تقتيلا) .

وأخرج البخاري عن أنس « رض » قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : امرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ، فاذا قالوها وصلوا صلاتنا واستقبلوا قبلتنا وذبحوا ذبيحتنا حرمت علينا دماؤهم

وأموالهم اهـ .

قلت : هل بقي بعد هذه الأحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة ملتمس لشغب المشاغب أو مطمع يتشبث به الناصب ؟ كلا ورب محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، ان دين الاسلام بريء مما يزعمه المرجفون ، مناقض لما يحاوله المجحفون (ومن لم يحكم بما انزل الله فأولئك هم الكافرون) .

وفي الصحيحين بالاسناد الى ابن عمر « رض » قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم وهو بمنى ــ قد أشار الى مكة المعظمة ــ : أتدرون أي بلد هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : فان هذا بلد حرام ، أتدرون أي يوم هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : إنه يوم حرام ، أتدرون أي شهر هذا ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : شهر حرام . قال : فان الله حرّم عليكم دماءكم وأموالكم وأعراضكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا اهـ .

والصحاح الستة وغيرها مشحونة من هذه الأخبار ، وهي أشهر من الشمس في رائعة النهار .

فليت شعري أي عذر لمن اعتمد عليها ، وانحصر رجوعه في أحكام الدين اليها ، ثم خالف في ذلك أحكامها ونبذ وراء ظهره كلامها [٦] بلى انهم مرجفون والأمر على خلاف ما يظنون .

---

(٦) كالشيخ نوح الحنفي حيث أفتى ــ مع وجود هذه الصحاح وأمثالها ــ بتكفير الشيعة ، وأوجب قتالهم ، وأباح قتلهم وسبي ذراريهم ونساءهم ، سواء **تابوا أم لم يتوبوا** ، فراجع فتواه هذه في باب الردة والتعزير ، من كتاب الفتاوى الحامدية الشهير ، وسنذكرها بعين لفظه في الفصل التاسع من هذه الفصول ، مزيفين لها بالأدلة القاطعة والبراهين الناصعة ، فراجع ذلك الفصل

« فصـــل »

٤

في يسير من نصوص أئمتنا عليهم الصلاة والسلام في الحكم باسلام أهل السنة وأنهم كالشيعة في كل أثر يترتب على مطلق المسلمين ، وهذا في غاية الوضوح من مذهبنا لا يرتاب فيه ذو اعتدال منا ، ولذا لم نستقص ما ورد من هذا الباب ، اذ ليس من الحكمة توضيح الواضحات وهاك ما عقد الفصل للاشارة اليه :

قال الامام أبو عبدالله الصادق عليه السلام في خبر سفيان بن السمط : ــ الاسلام هو الظاهر الذي عليه الناس ، شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت وصيام شهر رمضان ــ الحديث .

وقال سلام الله عليه في خبر سماعة : الاسلام شهادة أن لا إله إلا الله ، والتصديق برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وبه حقنت الدماء ، وعليه جرت المناكح والمواريث ، وعلى ظاهره جماعة الناس ــ الحديث .

وقال الامام أبو جعفر الباقر عليه السلام في صحيح حمران بن اعين من جملة حديث : والاسلام ما ظهر من قول أو فعل ، وهو الذي عليه جماعة من الناس من الفرق كلها ، وبه حقنت الدماء ، وعليه جرت المواريث ، وجاز النكاح ، واجتمعوا على الصلاة والزكاة والصوم والحج ، فخرجوا بذلك عن الكفر واضيفوا الى الايمان اهـ .

واعلم أن الفصول الثمانية التي قبله انما هي مقدمة للرد على هذه الفتوى القاسية ، وما ألفنا هذا الكتاب إلا لهذه الغاية ، إذ لم أجد أحداً قام بهذا الواجب ، والحمد لله على التوفيق لأدائه كما يجب .

الى آخر ما هو مأثور عنهم في هذا المعنى مما لا يمكنني استيفاؤه ولا يسعني استقصاؤه ، وهذا القدر كاف لما أردناه موضح لما قصدناه .

« فصل »

٥

في طائفة مما صح عند أهل السنة من الأحاديث الحاكمة بنجاة مطلق الموحدين ، أوردناها ليُعلم حكمها بالجنة على كل من الشيعة والسنة ، والغرض بعث المسلمين على الاجتماع والتنديد بهم على هذا النزاع والتنبيه لهم على ان هذا التدابر بينهم عبث محض وسفه صرف بل فساد في الأرض وإهلاك للحرث والنسل ، ضرورة انه متى كان الدين حاكماً على كل منهما بالايمان معلناً بفوزهما في أعلى الجنان لا يبقى لنزاعهما غرض تقصده الحكماء أو أمر يليق بألباب العقلاء ، لكن مُني المسلمون بجماعة ذهلوا عن صلاحهم وغفلوا عن حديث صحاحهم ، واليك منه ما عقد الفصل لذكره :

أخرج البخاري (١) في صحيحه عن أبي أيوب الأنصاري « رض » ان رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم : أخبرني بعمل يدخلني الجنة . فقال القوم : ماله ماله . فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : (إرَبٌ ماله) فقال : تعبد الله ولا تشرك به شيئاً وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصل الرحم ذرها . قال : كأنه كان على راحلته وأخرج أيضاً بسنده أن أعرابياً أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : دلني على عمل اذا عملته دخلت

(١) وفي صحيح مسلم من هذا النوع أحاديث وافرة ، فراجع منه باب الايمان الذي يدخل به الجنة في الجزء الأول منه ، وباب من لقى الله بالايمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار ، وهو في الجزء الأول أيضاً تجد فيه من البشائر ما تقر به عين المؤمن بالله واليوم الآخر .

الجنة . قال صلى الله عليه وآله : تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، وتقيم الصلاة المكتوبة ، وتؤدي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان . قال : والذي نفسي بيده لا أزيد على هذا . فلما ولّى قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : من سره أن ينظر الى رجل من أهل الجنة فلينظر الى هذا اهـ .

قلت : ظهر لي من أخبار أخر أن هذا الأعرابي إنما هو مالك بن نويرة ابن حمزة التميمي [٢] .

وفي صحيح البخاري بالاسناد الى عبادة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله وان عيسى عبدالله ورسوله وكلمته ألقاها الى مريم وروح منه والجنة حق والنار حق أدخله الله الجنة على ما كان من العمل [٣] .

---

(٢) وكان رجلاً سرياً نبيلاً يردف الملوك ، وهو الذي يضرب به المثل فيقال « مرعى ولا كالسعدان وماء ولا كصداء وفتى ولا كمالك » . وكان فارساً شاعراً مطاعاً في قومه ، وكان فيه خيلاء وتقدم ، وكان ذا لمة كبيرة ، وكان يقال له الجفول ، قدم على النبي «ص» فأسلم وحسن اسلامه فولاه(ص) صدقة قومه وحج معه حجة الوداع وشهد خطبته يوم غدير خم بالولاية لعلي فكان بعدها من المتفانين في ولايته . قتله خالد بن الوليد يوم البطاح ونكح زوجته وكانت في غاية الجمال وجعل رأسه أثفية لقدر فكانت القدر على رأسه حتى نضج الطعام وما خلصت النار اليه ، نص على ذلك وثيمة بن موسى بن الفرات كما في ترجمته من وفيات ابن خلكان ، وذكره الواقدي وكثير من أهل السير والأخبار وعللوا عدم خلوص النار الى شواه بكثرة شعر رأسه وهو كما ترى . وقد أشرنا الى هذه القضية حيث ذكرنا خالد بن الوليد في فصل المتأولين وهو الفصل الثامن من هذه الفصول فراجع .

(٣) أي مع ما كان منه من الأعمال سواء كانت مرضية لله تعالى أو غير مرضية .

وفي البخاري أيضاً عن جنادة مثله إلا انه زاد فيه « من أبواب الجنة الثمانية أيها شاء دخل » .

وفيه عن أبي ذر « رض » قال : أتيت النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعليه ثوب أبيض وهو نائم ، ثم أتيته وقد استيقظ ، فقال : ما من عبد قال : لا إله إلا الله ثم مات على ذلك إلا دخل الجنة . قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق . قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال وان زنى وان سرق : قلت : وان زنى وان سرق ؟ قال : وان زنى وان سرق على رغم أنف أبي ذر .

وفيه عن أبي ذر أيضاً قال : قال لي النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال جبرائيل : من مات من امتك لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة أو لم يدخل النار . قلت : وإن زنى وإن سرق ؟ قال : وإن اهـ .

وفيه عنه أيضاً قال : خرجت ليلة من الليالي فاذا رسول الله صلى الله عليه وآله يمشي وحده وليس معه انسان . قال : فظننت انه يكره أن يمشي معه أحد فجعلت أمشي في ظل القمر فالتفت فرآني فقال : من هذا ؟ قلت : أبو ذر جعلني الله فداءك . قال : يا أبا ذر تعال . قال فمشيت معه ساعة فقال : إن المكثرين في الدنيا هم المقلون يوم القيامة إلا من أعطاه الله خيراً ، فنفخ فيه يمينه وشماله وبين يديه ووراءه وعمل فيه خيراً . قال : فمشيت معه ساعة فقال لي : اجلس هاهنا حتى أرجع اليك . قال : فانطلق في الحرة حتى لا أراه ، فلبث عني فأطال اللبث ثم اني سمعته وهو مقبل وهو يقول : وإن سرق وان زنى . فلما جاء لم أصبر حتى قلت له : يا نبي الله جعلت فداءك من تكلم في جانب الحرة ما سمعت أحداً يرجع اليك شيئاً ؟ قال : ذلك

جبرائيل عرض لي في جانب الحرة فقال : بشر أمتك انه من مات لا يشرك بالله شيئاً دخل الجنة . قلت : يا جبرائيل وإن سرق وإن زنى ؟ قال : نعم . قلت : وإن سرق وان زنى ؟ قال : نعم . قلت : وان سرق وان زنى ؟ قال : نعم وان شرب الخمر اهـ .

قلت : الظاهر ان الزنا والسرقة وشرب الخمر هنا كناية عن مطلق الكبائر ، فيكون المراد أن من مات على التوحيد دخل الجنة أو لم يدخل النار وان ارتكب الكبائر ، على حد قوله في الحديث السابق أعني حديث عبادة « على ما كان من العمل » .

تنبيـــه

يجب أن يُعلم ان عصاة المؤمنين يعذَّبون يوم القيامة على قدر ذنوبهم ثم ينالون الكرامة في دار المقامة ، على ذلك اجماع أهل البيت وشيعتهم بل هو من الضروريات عندهم .

فالأخبار الحاكمة بنجاة أهل القبلة على ما كان من العمل ليست ناظرة الى ان العصاة منهم لا يرون العذاب أصلاً ، وإنما المراد انهم لا يخلدون كما يخلد الكفار ، وبهذا لا يبقى لهم تمسك بهذه الأحاديث ونحوها ، وليس لهم بما اجترحوا إلا التوبة والندم أو العذاب في جهنم على قدر ما يستحقون أو يتداركهم الله بعفوه وغفرانه وشفاعة الشافعين عليهم السلام .

وفي الصحيحين عن معاذ بن جبل قال : بينا أنا رديف النبي صلى الله عليه وآله وسلم ليس بيني وبينه إلا آخرة الرحل قال : يا معاذ . قلت : لبيك يا رسول الله وسعديك . ثم سار ساعة ثم قال : يا معاذ . قلت لبيك رسول الله وسعديك . ثم قال : يا معاذ . قلت : لبيك رسول الله وسعديك . قال : هل

تدري ما حق الله على عباده ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً . ثم سار ساعة فقال : يا معاذ بن جبل . قلت : لبيك رسول الله وسعديك . قال : هل تدري ما حق العباد على الله اذا فعلوه ؟ قلت : الله ورسوله أعلم . قال : حق العباد على الله أن لا يعذبهم .

وفي صحيح البخاري عن عتبان قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لن يوافي عبد يوم القيامة يقول « لا إله إلا الله » يبتغي به وجه الله إلا حرم عليه النار .

وفيه عن عتبان بن مالك الأنصاري أيضاً انه أتى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فسأله أن يأتي بيته فيصلي فيه ليتخذه مصلى [1] قال عتبان : فغدا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فصلى بنا ركعتين وحبسناه على حريرة ... الى أن قال : فثاب في البيت رجال ذوو عدد فقال قائل منهم : أين مالك بن الدخشن ؟ [2] فقال بعضهم : ذلك منافق لا يحب الله ورسوله . فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : لا تقل ذلك ، ألا تراه قد قال « لا إله إلا الله » يريد بذلك وجه الله . قال : فانا نرى وجهه ونصيحته الى المنافقين . قال رسول الله صلى الله عليه وآله : فان الله قد حرم على النار من قال «لا إله إلا الله » يبتغي بذلك وجه الله .

وهذا الحديث أخرجه مسلم في صحيحه بطرق متعددة ، وآخره عنده :

---

(١) ما يقول الوهابية في هذا الحديث الصحيح ومنافاته لمذهبهم ؟

(٢) هكذا في النسخة التي تحضرني من صحيح البخاري ، والظاهر انه ابن الدخشم بالميم ابن مالك بن الدخشم بن غنم بن عوف بن عمرو بن عوف شهد بدراً وما بعدها ، وهو الذي أسر يوم بدر سهيل بن عمرو ، ومع هذا فقد كان معروفاً بالنفاق . والله أعلم بحاله .

أليس يشهد أن لا إله إلا الله واني رسول الله • قالوا : إنه يقول ذلك وما هو في قلبه • قال صلى الله عليه وآله : لا يشهد أحد انه لا إله إلا الله وأني رسول الله فيدخل النار أو تطعمه • قال أنس : فأعجبني هذا الحديث فقلت لابني اكتبه فكتبه اهـ •

قلت : أي عبارة أدل على نجاة كافة الموحدين من هذه العبارة ؟ وأي بشارة في الجنة لمطلق المسلمين أعظم من هذه البشارة ؟ والعجب ممن لا يرتاب في صحتها وهو مع ذلك يحكم بنقيض دلالتها (فليحذر الذين يخالفون عن أمره أن تصيبهم فتنة أو يصيبهم عذاب أليم) •

وأخرج البخاري في الصحيح عن أنس قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : يقول الله تعالى : لأهون أهل النار عذاباً يوم القيامة لو ان لك ما في الأرض من شيء أكنت تفتدي به ؟ فيقول : نعم • فيقول الله تعالى : أردت منك أهون من هذا وأنت في صلب آدم أن لا تشرك بي شيئاً فأبيت إلا أن تشرك بي •

قلت : ظاهر هذا انه إنما ابتلي بعذاب النار لأنه أبى إلا أن يشرك ولولا ذلك لنجا ، فعلم ان أهل التوحيد ناجون •

وأيضاً دل الحديث على ان أهون أهل النار عذاباً هذا المشرك ، فعلم ان ليس فيها موحد ، إذ لو كان هناك موحد لكان أهون عذاباً من هذا المشرك [٣] وهذا خلاف صريح الحديث •

وفي الصحاح الستة ومسند أحمد وكتب الطبراني وغيرها من هذا كثير ،

---

(٣) لأن الموحد من المسلمين وإن جاء بأعظم الجرائم لا يعذب عذاب المشرك وإن لم يأت بغير الإشراك من الذنوب •

ولا سيما أحاديث الشفاعة حتى يقال لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (فيما أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين) أخرج من النار من في قلبه أدنى أدنى من مثقال حبة خردل من إيمان .

ولو أردنا إيراد ما في الصحيحين من أحاديث الشفاعة المشتملة على أعظم البشائر لطال المقام ، لكنا أشرنا اليها ليراجعها من أرادها . على أن الشيخين (البخاري ومسلماً) أخرجا في صحيحيهما عن عثمان بن عفان أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة . وهذا ظاهر بأن مجرد العلم بالوحدانية موجب لدخول الجنة . ومثله ما أخرجه الطبراني في الكبير عن عمران بن حصين قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من علم أن الله ربه واني نبيه صادقاً عن قلبه حرم الله لحمه على النار .

وهذه الأخبار أجلى من الشمس في رائعة النهار وصحتها أشهر من نار على علم ، فيها من البشائر ما ربما هون على المسلم موبقات الكبائر ، فدونك أبوابها في كتب أهل السنة لتعلم حكمها عليك وعليهم بالجنة (٤) وكلما ذكرناه شذر من بذر ، ونقطة من لجج بحر ، اكتفينا منها بما ذكره البخاري في كتابه وكرره بالأسانيد المتعددة في كثير من أبوابه ، ولم تتعرض لما في باقي الصحاح ، إذ انشق بما ذكرناه عمود الفجر واندلع لسان الصباح ، وان عندنا صحاحاً

(٤) لأن كلاً من الإمامية والسنية يؤمنان بالله ، ويصدقان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويقيمان الصلاة ، ويؤتيان الزكاة ، ويحجان البيت ، ويصومان الشهر ، ويوقنان بالبعث ، ويحللان الحلال ، ويحرمان الحرام ، كما تشهد به أقوالهما وأفعالهما وتحكم به الضرورة من كتبهما القديمة والحديثة مختصرة ومطولة .

أخر فزنا بها من طريق أئمتنا الاثني عشر :

روتها هـداة قولهم وحديثهم روى جدنا عن جبرئيل عن الباري

فهي السنة التالية للكتاب ، وهي الجنة الواقية من العذاب ، وإليكها في اصول الكافي وغيره تعلن بالبشائر لأهل الايمان بالله ورسوله واليوم الآخر لكنها تخصص ما سمعته من تلك العمومات المتكاثرة بولاية آل رسول الله وعترته الطاهرة ، الذين قرنهم بمحكم الكتاب ، وجعلهم قدوة لأولي الألباب ، ونصّ على انهم سفن النجاة اذا طغى زخّار الفتن ، وأمان الامة اذا هاج اعصار المحن ، ونجوم الهداية اذا ادلهمّ ليل الغواية ، وباب حطة لا يَغفر إلا لمن دخلها ، والعروة الوثقى لا انفصام لها .

ولا غرو فان ولايتهم من اصول الدين ، وقد أقمنا على ذلك قواطع الحجج وسواطع البراهين أدلة عقلية وحججاً نقلية ، تلفت الباحثين الى الوقوف عليها في كتابنا (سبيل المؤمنين) إذ أوضحنا فيه المسالك وامطنا بقوة برهانه كل ديجور حالك ، والحمد لله رب العالمين .

« الفصل »
٦

في لمعة مما أفتى به علماء أهل السنة ، من إيمان أهل التوحيد مطلقاً ونجاة أصحاب الشهادتين جميعاً ، أوردناها ليعلم الناس توافق النص والفتوى في ذلك ، والغرض لمّ شعث المسلمين باجتماعهم ، ورتق ما انفتق بتدابرهم وتزاعهم ، لأن العاقل اذا رأى نصوص صحاحه وفتاوى علمائه تحكم بالايمان على مطلق أهل التوحيد وتعلن نجاة جميع أصحاب القبلة لا يبقى بعدها أمر يدعوه الى هذه النفرة أو يصده عن الوئام والالفة ، (والمؤمنون والمؤمنات

بعضهم أولياء بعض) فما بالهم (وهم في الدين إخوة) قد انشقت عصاهم واختلفت مذاهبهم ، فهاج بينهم قسطل الشر ، وتعلقت أهواؤهم بقواقر الفتن ، ولو رجعوا الى ما أفتى به المنصفون من علمائهم لأيقنوا أن الأمر على خلاف ما زعم المرجفون . واليك منه ما عقد الفصل لبيانه .

ذكر العارف الشعراني في المبحث ٥٨ من اليواقيت والجواهر ، أنه رأى بخط الشيخ شهاب الدين الاذرعي صاحب القوت ، سؤالاً قدمه الى شيخ الاسلام تقي الدين السبكي ، وصورته : ما يقول سيدنا ومولانا شيخ الاسلام في تكفير أهل الأهواء والبدع ؟

قال : فكتب اليه اعلم يا أخي أن الاقدام على تكفير المؤمنين [1] عسر جداً ، وكل من في قلبه إيمان يستعظم القول بتكفير أهل الأهواء والبدع ، مع قولهم « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، فان التكفير أمر هائل عظيم الخطر ــ الى آخر كلامه وقد أطال في تعظيم التكفير وتفظيع خطره .

ودونك يواقيت الشعراني فانها تنقل الجواب عن خط السبكي على طوله ، وفي آخره ما هذا لفظه : فالأدب من كل مؤمن أن لا يُكفر أحداً من أهل الأهواء والبدع ، اللهم إلا أن يخالفوا النصوص الصريحة التي لا تحتمل التأويل عناداً وجحوداً ، فللعلماء في ذلك النظر .

هذا كلامه ولا يخفى تصريحه بقصر التكفير على مخالف النصوص الصريحة عناداً لله وجحوداً لما علم حكمه بالضرورة من دين الاسلام ، وقد دقّ في هذه الفتوى أصلاب المرجفين ، واستل ألسنة المتشدقين ، وقطع أمل

(١) أنظر كيف أطلق لفظ « المؤمنين » على أهل الأهواء والبدع بدون تكلف .

من يبتغي تفريق المسلمين ، من كل أفاك أثيم .

وفي الصفحة العاشرة من طبقات الشعراني ما لفظه : وسئل سيدنا ومولانا شيخ الاسلام تقي الدين السبكي عن حكم تكفير غلاة المبتدعة ، وأهل الأهواء ، والمتفوهين بالكلام على الذات المقدسة ؟ فقال (رضي الله عنه): إعلم أن كل من خاف الله عز وجل استعظم القول بالتكفير لمن يقول : « لا إله إلا الله محمد رسول الله » ، ثم أورد جواب السبكي وهو طويل ، جاء في آخره ما هذه ألفاظه : فما بقي الحكم بالتكفير إلا لمن اختاره ديناً وجحد الشهادتين وخرج عن دين الاسلام جملة ــ اهـ .

قلت : الظاهر من اختلاف عبارة السؤالين والجوابين كونهما متعددين كما لا يخفى ، واذا كان كلام هذا الامام الكبير معلناً باختصاص الكفر بمن جحد الشهادتين ومنادياً بالتنزيه لأهل الأهواء والبدع ، والمتفوهين بالكلام على الذات المقدسة من أهل القبلة ، فأي وقع بعده لكلام المرجفين وتحكم المشاغبين ، واذا كان هذا حكمه في المتفوهين بالكلام على الله عز وجل فما ظنك بمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى ؟

وقال الشيخ الأكبر ابن العربي في باب الوصايا من فتوحاته : إياكم ومعاداة أهل لا إله إلا الله ، فان لهم الولاية العامة ، فهم أولياء الله ، ولو أخطأوا وجاءوا بقراب الأرض من الخطايا وهم لا يشركون بالله شيئاً ، فان الله يتلقى جميعهم بمثلها (٢) مغفرة ، ومن ثبتت ولايته حرمت محاربته . وأطال

(٢) هذا مأخوذ من حديث أخرجه الترمذي وصححه ، رواه بالإسناد الى أنس قال : سمعت رسول الله (ص) يقول : قال الله تعالى : يابن آدم انك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ، ولا ابالي . يابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني غفرت لك . يابن آدم انك لو أتيتني

الى أن قال : واذا عمل أحدكم عملاً توعّد الله عليه بالنار ، فليمحه بالتوحيد ، فان التوحيد يأخذ بناصية صاحبه ، لابد من ذلك .

هذا كلامه وفيه ما تراه من الحكم على جميع أهل التوحيد بالولاية لله عز وجل ، والبشارة للمخطئين والمجرمين منهم بالمغفرة ، والجزم بأن التوحيد يمحو الكبائر ويأخذ بناصية صاحبه . والحمد لله رب العالمين .

وقال الفاضل الرشيد في صفحة ٤٤ من المجلد السابع عشر من مناره : ان من أعظم ما بليت به الفرق الاسلامية رمي بعضهم بعضاً بالفسق والكفر ، مع ان قصد كل الوصول الى الحق بما بذلوا جهدهم لتأييده واعتقاده والدعوة اليه ، فالمجتهد وإن أخطأ معذور . وقد أطال الكلام في هذا الموضوع حتى بلغ الصفحة ٥٠ من ذلك المجلد فراجع .

وقال المعاصر النبهاني البيروتي في أوائل كتابه شواهد الحق [٣] : اعلم اني لا أعتقد ولا أقول بتكفير أحد من أهل القبلة ، لا الوهابية ولا غيرهم ، وكلهم مسلمون تجمعهم مع سائر المسلمين كلمة التوحيد والايمان بسيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم ، وما جاء به من دين الاسلام ... الى آخر كلامه .

وعقد العارف الشعراني في الجزء الثاني من اليواقيت والجواهر مبحثاً مسهباً لثبوت الايمان لكل موحد يصلي الى القبلة ، وهو المبحث ٥٨ ، قال

بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً ، لآتيتك بقرابها مغفرة اهـ . وهذا الحديث ذكره الفاضل النووي في أربعينه ، وهو الحديث الأخير مما انتخبه من الأحاديث الصحيحة .

(٣) طبع هذا الكتاب وفي هامشه رسالة النبهاني أيضاً في فضائل معاوية سماها البديعة في اقناع الشيعة ، وقد نقضناها بكتاب يكون بحجمها ثلاث مرات سميناه الذريعة الى نقض البديعة .

في آخره : فقد علمت يا أخي مما قررناه لك في هذا المبحث ان جميع العلماء المتدينين أمسكوا عن القول بالتكفير لأحد من أهل القبلة (فبهداهم اقتده) اهـ .

ونقل جماعة كثيرون منهم الشعراني في المبحث المتقدم ذكره عن أبي المحاسن الروياني وغيره من علماء بغداد قاطبة انهم كانوا يقولون : لا يكفر أحد من المذاهب الاسلامية لأن رسول الله صلى الله عليه (وآله) وسلم قال : من صلى صلاتنا واستقبل قبلتنا وأكل ذبيحتنا فله ما لنا وعليه ما علينا اهـ .

قلت : وقد ذكرنا في الفصول السابقة جملة من النصوص في هذا المعنى ، والصحاح مشحونة به فراجع . وقد بالغ الشيخ أبو طاهر القزويني في كتابه (سراج العقول) باثبات الاسلام لكل فرد من أهل القبلة ، وجزم بنجاة الجميع من كل فرق الاسلام ، وأولَ الحديث المشهور ، اعني حديث « تفترق امتي ثلاثاً وسبعين فرقة فرقة" ناجية والباقون في النار » بل قال انه روي في بعض طرق هذا الحديث ما نصه : « كلها في الجنة إلا واحدة (٤) » .

وأطال في اثبات الايمان لكل مصدق بالشهادتين من أهل الاهواء والبدع كالمعتزلة والنجارية والروافض (٥) والخوارج والمشبهة ونحوهم ، وحكم بنجاة الجميع يوم القيامة ، ونقل القول باسلام الجميع عن جمهور العلماء والخلفاء من أيام الصحابة الى زمنه . قال : وهم من أهل الاجابة بلا شك ، فمن سماهم كفرة فقد ظلم وتعدى ... الى آخر كلامه وهو طويل نقله لي بعض مشائخي مشافهة عن سراج العقول ، وأورده الشعراني بتمامه في المبحث ٥٨ من يواقيته نقلاً عن ذلك الكتاب أيضاً فراجع .

---

(٤) أخرجه ابن النجار ونقل الشعراني عند إيراده في المبحث ٥٨ من اليواقيت عن العلماء ان المراد بهذه الواحدة التي هي في النار إنما هي الزنادقة .

(٥) هذه عبارته نقلناها بدون تصرف .

وقال ابن تيمية في أوائل رسالة الاستغاثة وهي الرسالة ١٢ من مجموعة الرسائل الكبرى [٦] ما هذا لفظه : ثم اتفق أهل السنة والجماعة على انه صلى الله عليه وآله وسلم يشفع في أهل الكبائر ، وانه لا يخلد في النار من أهل التوحيد أحد اهـ [٧] .

وقال ابن حزم حيث تكلم فيمن يُكفرُ ولا يُكفر في صفحة ٢٤٧ من أواخر الجزء الثالث من كتاب الفِصَل في الأهواء والملل والنحل ما هذه ألفاظه : وذهبت طائفة الى انه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في اعتقاد أو فتيا ، وأن كل من اجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى انه الحق فانه مأجور على كل حال ، ان أصاب فأجران وان أخطأ فأجر واحد . قال : وهذا قول ابن أبي ليلى وأبي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري وداود بن علي ، وهو قول كل من عرفنا له قولاً في هذه المسألة من الصحابة (رض) لا نعلم منهم خلافاً في ذلك أصلاً .

قلت : هذه الفتوى من هؤلاء الأئمة تقطع دابر المشاغبين وتنقض أساس المهولين ، لأن خصومهم من أهل القبلة لم يقولوا قولاً ولم يعتقدوا أمراً إلا بعد الاجتهاد التام واستفراغ الوسع والطاقة ، وبذل الجهد في الاستنباط من الكتاب والسنة وكلام أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه وعليهم وسلم ، ولم يدينوا إلا بما رأوا أنه الحق واعتقدوا انه عين الصواب ، فيكونون بحكم هؤلاء الأعلام (وهم أئمة السلف والخلف) مأجورين ، ان أصابوا أو أخطأوا ، على رغم من يبتغي تكفير المؤمنين ، ويدأب مجتهداً في تفريق

(٦) في صفحة ٤٧٠ من الجزء الأول .

(٧) فعلى هذا تكون أهل السنة مجمعة على أن مصير الشيعة الى الجنة ، ضرورة أنهم من أهل التوحيد والإيمان بكل ما جاء به النبي (ص) .

المسلمين .

وكان أحمد بن زاهر السرخسي (وهو أجل أصحاب الامام أبي الحسن الأشعري) يقول : (فيما نقله الشعراني عنه في أواخر المبحث ٥٨ من يواقيته) لما حضرت الشيخ أبا الحسن الأشعري الوفاة بداري في بغداد أمرني بجمع أصحابه ، فجمعتهم له فقال : اشهدوا علي انني لا اكفر أحداً من أهل القبلة بذنب ، لأني رأيتهم كلهم يشيرون الى معبود واحد ، والاسلام يشملهم ويعمهم . هذا كلام امام السنيين وكفى به حجة تدحض أقاويل المبطلين ، وقد تواتر القول بعدم تكفير أهل الاهواء والبدع من أهل القبلة عن الامام الشافعي ، حتى قال : (كما في خاتمة الصواعق) اقبلُ شهادة أهل البدع إلا الخطابية [٨] .

وقال شيخ الاسلام المخزومي (فيما نقله الشعراني عنه في المبحث ٥٨ من يواقيته) : قد نص الامام الشافعي على عدم تكفير أهل الاهواء في رسالته، فقال : لا أكفر أهل الاهواء بذنب . قال وفي رواية عنه : ولا أكفر أحداً

---

(٨) الخطابية أصحاب أبي الخطاب محمد بن مقلاص الاجدع عليه وعليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، كان قبحه الله مغالياً في الصادق (ع) فاسد العقيدة خبيث المذهب لا ريب في كفره وكفر أصحابه ، وقد تبرأ منه الصادق عليه السلام ولعنه وأمر الشيعة بالبراءة منه وشدد القول في ذلك وبالغ في التبرء منه واللعنة عليه ، ومن أراد الوقوف على كلام الصادق (ع) في شأن هذا الملعون فعليه بكتاب الكشي وغيره من كتب التراجم لأصحابنا ولهذا الكافر بدع كثيرة : منها تأخير صلاة المغرب حتى تستبين النجوم ، وقد نسب الجاهلون هذه البدعة الينا ، على أنا نبرأ الى الله منها وممن ابتدعها ، والذي نذهب اليه أن أول وقت صلاة المغرب غروب الشمس من جميع أفق المصلي ، ويتحقق ذلك بارتفاع الحمرة المشرقية كما لا يخفى على من راجع فقهنا .

من أهل القبلة بذنب . قال وفي رواية اخرى عنه : ولا أكفر أهل التأويل المخالف للظاهر بذنب اهـ .

وأجمع الشافعية على عدم تكفير الخوارج ، واعتذروا عنهم (كما في خاتمة الصواعق) بأنهم تأولوا فلهم شبهة غير قطعية البطلان (٩) .

---

(٩) هذا مع ما أخرجه البخاري في كتاب استتابة المرتدين والمعاندين وقتالهم في الجزء الرابع من صحيحه بالإسناد الى أبي سعيد الخدري من حديث ذكر فيه الخوارج فقال (ص) : يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، ينظر في قذذه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نصله فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في رصافه فلا يوجد فيه شيء ، ثم ينظر في نضيه فلا يوجد فيه شيء ، قد سبق الفرث والدم ، آيتهم رجل احدى يديه ، أو قال : ثديه مثل ثدي المرأة ، أو قال : مثل البضعة تدردر ، يخرجون على حين فرقة من الناس .

قال البخاري : قال أبو سعيد : اشهد سمعت من النبي (ص) ، وأشهد أن علياً قتلهم ، وأنا معه جيء بالرجل على النعت الذي نعته النبي (ص) الحديث وأخرجه مسلم أيضاً في باب ذكر الخوارج وصفاتهم في أواخر كتاب الزكاة من الجزء الأول من صحيحه . وأخرجه أحمد من حديث أبي سعيد في مسنده ورواه كافة المحدثين . واخرج مسلم في باب الخوارج شر الخلق والخليقة من كتاب الزكاة من صحيحه بالإسناد الى أبي ذر قال : قال رسول الله (ص) : ان بعدي من امتي قوماً يقرأون القرآن لا يجاوز حلاقيمهم ، يخرجون من الدين كما يخرج السهم من الرمية ، ثم لا يعودون فيه ، هم شر الخلق والخليقة ــ الحديث .

وأخرج أحمد بن حنبل في صفحة ٢٢٤ من الجزء الثالث من مسنده عن أنس بن مالك وأبي سعيد عن النبي (ص) قال : سيكون في امتي حين اختلاف بينها وفرقة قوم يحسنون القيل ، ويسيؤن الفعل ... الى أن قال صلى الله عليه وآله وسلم : يمرقون من الدين مروق السهم من الرمية ، لا يرجعون حتى يرتدوا على فوقه ، هم شر الخلق والخليقة ، طوبى لمن قتلهم وقتلوه ، يدعون الى كتاب الله وليسوا منه في شيء ــ الحديث .

وقال العلامة ابن عابدين في باب المرتد من حاشيته الشهيرة الموسومة برد المحتار ما هذا لفظه : وذكر في فتح القدير أن الخوارج الذين يستحلون دماء المسلمين وأموالهم ويكفرون الصحابة حكمهم عند جمهور الفقهاء وأهل الحديث حكم البغاة (١٠) قال : وذهب بعض أهل الحديث الى انهم مرتدون • قال قال ابن المنذر : ولا أعلم أحداً وافق أهل الحديث على تكفيرهم • قال : وهذا يقتضي نقل اجماع الفقهاء (على عدم تكفير الخوارج) اهـ •

هذا مع أن النبي (ص) نص على أنهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وأنهم شر الخلق والخليقة ، وانهم ليسوا من الله في شيء ، وأنّ طوبى لمن قتلهم أو قتلوه • واذا كان هؤلاء مسلمين بالاجماع فما ظنك بمن دخل باب حطة ، وركب سفينة النجاة ، واعتصم بحبل الله ، وتمسك بثقلي رسول الله ، ودخل مدينة علمه من بابها ، ولجيء الى أمان امته من اختلافها وعذابها • واذا كان الخوارج مسلمين فمن غيرهم من أهل القبلة يكون كافراً ، وأي ذي نحلة من أهل الاسلام ليس له كشبهتهم •

ورأيت كلاماً في هذا المعنى ناجعاً لشيخ السادة الحنفية محمد أمين المعروف بابن عابدين في باب المرتد من كتاب الجهاد في صفحة ٣٠٢ من الجزء الثالث من رد المحتار ، يحكم فيه قاطعاً باسلام من يتأول في سب الصحابة مصرحاً بأن القول بتكفير المتأولين بذلك مخالف لاجماع الفقهاء ، مناقض لما في متونهم وشروحهم ، وأن ما وقع في كلام أهل المذهب من تكفيرهم ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون ، بل من غيرهم قال : ولا عبرة

(١٠) يعني أنهم ان خرجوا على سلطان المسلمين يجب قتالهم حتى يفيؤا الى طاعته ، فإن بخعوا لأوامره كان لهم ما للمسلمين وعليهم ما على المسلمين •

بغير الفقهاء ، والمنقول عن الفقهاء ما ذكرناه ... الى آخر كلامه ، وقد اشتمل على أدلة وافية ، وشواهد كافية ، فليطلبه من أراده ، وله كلام آخر في هذا المعنى أبسط مما أشرنا اليه ، نلفت الطالبين له الى كتابه تنبيه الولاة والحكام. على أن ما في رد المحتار مقنع لأولي الأبصار .

وقد ألف العلامة الكبير الملا علي القاري الحنفي رسالة في الرد على من يكفر المتأولين بذلك ، كما نص عليه ابن عابدين فيما تقدمت اليه الاشارة من كلامه .

وقال ابن حزم في صفحة ٢٥٧ من أواخر الجزء الثالث من فصله ما هذا لفظه : وأما من سبّ أحداً من الصحابة رضي الله عنهم فان كان جاهلاً فمعذور وان قامت عليه الحجة فتمادى غير معاند فهو فاسق كمن زنى أو سرق ، وان عاند الله تعالى في ذلك ورسوله صلى الله عليه (وآله) وسلم فهو كافر . قال : وقد قال عمر رضي الله عنه بحضرة النبي صلى الله عليه (وآله) وسلم عن حاطب ــ وحاطب مهاجري بدري ــ : دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فما كان عمر بتكفيره حاطباً كافراً ، بل كان مخطئاً متأولاً اهـ .

قلت : لا يخفى انه جعل الملاك في التكفير إنما هو العناد لله ورسوله ، وهذا لا وجود له فيمن ينتحل دين الاسلام . نعم قد يكون الساب (والعياذ بالله) جاهلاً أو ذا شبهة أوردته ذلك المورد ، فيكون معذوراً .

ويدل على عدم كفر المسلم به اطلاق الأحاديث التي سمعتها في كل من الثاني والثالث والرابع والخامس من هذه الفصول فراجع .

وأيضاً يدل على عدم الكفر مضافاً الى ذلك ما أورده القاضي عياض في الباب الأول من القسم الرابع من كتاب الشفا نقلاً عن القاضي اسماعيل

وغير واحد من الأئمة ان رجلاً سب أبا بكر بمحضر منه رضي الله عنه ، فقال له أبو برزة الأسلمي : يا خليفة رسول الله دعني أضرب عنقه . فقال : اجلس ليس ذلك لأحد إلا لرسول الله صلى الله عليه وآله (١١) .

وفي ذلك الباب من الشفا أيضاً ان عامل عمر بن عبدالعزيز بالكوفة استشاره في قتل رجل سب عمر رضي الله عنه ، فكتب اليه : لا يحل قتل امرىء مسلم بسب أحد من الناس إلا رجلاً سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن سبه فقد حل دمه اهـ .

قلت : أفضى بنا الكلام الى ما هو غير مقصود بالذات ، وليس الغرض إلا تأليف المسلمين وإعلامهم بأنهم اخوان في الدين ، ولا نرتاب في ان سب رجل من عرض المؤمنين ــ فضلاً عن سلفنا الصالح من الصحابة والتابعين ــ موبقة وفسق ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : سباب المسلم فسق وقتاله كفر .

ولنرجع الى ما كنا فيه فنقول : نقل علي بن حزم الظاهري عن الاشاعرة ما لا يتسنى معه القول بتكفير أحد أصلاً ، واليك عبارته بحروفها ، قال في أثناء شنع المرجئة في صفحة ٢٠٦ من الجزء الرابع من فصله : وأما الاشعرية فقالوا : إن شتم من أظهر الاسلام لله تعالى ولرسوله بأفحش ما يكون من الشتم ، واعلان التكذيب لهما باللسان بلا تقية ولا حكاية ، والاقرار بأنه يدين بذلك ليس شيء من ذلك كفراً اهـ .

---

(١١) وروى النسائي بالإسناد الى أبي برزة الاسلمي قال : أتيت أبا بكر وقد اغلظ لرجل فرد عليه ، فقلت : يا خليفة رسول الله دعني أضرب عنقه . فقال : اجلس فليس ذلك لأحد إلا لرسول الله (ص) .

وفي صفحة ٢٠٤ من الجزء الرابع من الفصل أيضاً : نسب الى الامام أبي الحسن الاشعري وجميع أصحابه القول بأن الايمان عقد بالقلب ، وإن اعلن الكفر بلسانه بلا تقية ، وعبد الأوثان أو لزم اليهودية أو النصرانية في دار الاسلام ، وعبد الصليب وأعلن التثليث في دار الاسلام ، ومات على ذلك فهو مؤمن كامل الايمان عند الله عز وجل من أهل الجنة اهـ .

ولا يخفى انه اذا ثبت هذا عن الامام الأشعري وأصحابه ــ وهم جميع اخواننا السنيين في هذه الأعصر ــ هان الأمر في مسألتنا ، إذ لا يمكنهم حينئذ تكفير من يجاهرهم بصريح الكفر ، فكيف يتنسى لهم تكفير من انطوى ضميره على تقديس الله عز وجل ، وانعقد قلبه على تنزيهه ، ونبضت شرايينه بتسبيحه ، ونبت لحمه واشتد عظمه على توحيده ، وخالط الايمان مخه ودمه وامتزج بجميع عناصره ، فشهد به لسانه ، وبخعت له أركانه ، واعترفت به حركاته ، وأقرت به سكناته ، مؤمناً برسوله ، موقناً بجميع ما جاء به من عند الله عز وجل ، يحيي ما أحياه الكتاب والسنة ، ويميت ما أماتاه ، لكن منينا بقوم همهم تفريق المسلمين ودأبهم بث العداوة بين الموحدين (وهم يحسبون انهم يحسنون صنعاً الا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون) .

وعن الأوزاعي : والله لئن نشرت لا أقول بتكفير أحد من أهل الشهادتين .

وعن ابن سيرين : أهل القبلة كلهم ناجون .

وسئل الحسن البصري عن أهل الأهواء ؟ فقال : جميع أهل التوحيد من أمة نبينا صلى الله عليه وآله وسلم يدخلون الجنة البتة .

وسئل الزهري عمن لابس الفتن وقاتل فيها ؟ فقال : القاتل والمقتول في الجنة ، لأنهم من أهل لا إله إلا الله .

وعن سفيان الثوري : لا تحل عداوة موحد وان مال به الهوى عن الحق لأنه لا يهلك بذلك .

وعن سعيد بن المسيب : لا تعادِ منتحلاً لدين الاسلام وان أخطأ ، فكل مسلم مغفور له .

وعن ابن عيينة : لأن تأكل السباع لحمي أحب إلي من أن ألقى الله تعالى بعداوة من يدين له بالوحدانية ولمحمد صلى الله عليه وآله بالنبوة .

قلت : أي حكمة في عداوته الا اعلانه فيما يسيئك ومجاهرته فيما يخالفك ، وحرية المذاهب والأديان تخول ذلك ، ولو تحببت اليه ثم ناظرته فعسى ان يتبين له صوابك فيتبعه ، أو يريك الحق فتوافقه . على انه ما صار الى خلافك عناداً للحق ، أو رغبة في الباطل ، ضرورة ان ذلك لا يفعله — في مقام التقرب الى الله تعالى — عاقل .

أجل سيق قسراً الى مخالفتك في بعض ما تعبره من الفروع بسياط الادلة القاطعة ، ومقارع الحجج الساطعة ، وهبها شبهاً (كما تزعم) لكنها توجب العذر لمن غلبت عليه (لأنها مع كونها من الكتاب والسنة) أفادته القطع بما قادته اليه ، فان كان مصيباً فله أجران وإلا فقد أجمع المسلمون على معذرة من تأول (في غير اصول الدين) وان أخطأ كما تشهد به أخبارهم وتفصح عنه أسفارهم وتعلنه أفعالهم وأقوالهم .

« الفصل »
٧

في بشائر السنة الشيعة ، وهي صحاح متظافرة من طريق العترة الطاهرة ، واليك منها ما أخرجه محدثو أهل السنة بأسانيدهم وطرقهم :

روى الحافظ جمال الدين الزرندي عن ابن عباس ـ كما في صفحة ٩٦ من الصواعق المحرقة لابن حجر [١] ـ أنه قال : لما أنزل الله تعالى « ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية . جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضي الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه » قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي : هم أنت وشيعتك ، تأتي أنت وشيعتك يوم القيامة راضين مرضيين ، ويأتي عدوك غضابى مقمحين .

وأخرج الحاكم في شواهد التنزيل عن ابن عباس أيضاً : قال نزلت هذه الآية « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » في علي وأهل البيت ، وعدها ابن حجر في الفصل الأول من الباب ١١ من صواعقه في جملة الآيات النازلة فيهم عليهم السلام ـ فراجع الآية الحادية عشرة من الآيات التي أوردها هناك [٢] .

وأخرج الحاكم في كتابه شواهد التنزيل بالاسناد الى علي قال : قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا مسنده الى صدري ، فقال : يا علي ألم تسمع قول الله تعالى « إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية » هم شيعتك ، وموعدي وموعدكم الحوض ، يُدعَون غراً محجلين .

وأخرج الديلمي ـ كما في ص ٩٦ من الصواعق المحرقة ـ قال : قال

---

(١) راجع النسخة المطبوعة بالمطبعة الميمنية بمصر سنة ١٣٢٤ هـ ، وكل ما ننقله عن الصواعق فانما ننقله عن هذه النسخة .

(٢) في صفحة ٩٦ من الصواعق .

رسول الله (ص) : يا علي إن الله قد غفر لك ولولدك ولذريتك ولأهلك ولشيعتك ولمحبي شيعتك ، فابشر فانك الأنزع البطين .

وأخرج الطبراني وغير واحد من المحدثين أن علياً أتي يوم البصرة بذهب وفضة ، فقال : أبيضاء وصفراء غري غيري ، غري أهل الشام غداً اذا ظهروا عليك ، فشق قوله هذا على الناس فذكر ذلك له ، فأذن في الناس فدخلوا عليه ، فقال : إن خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يا علي إنك ستقدم على الله وشيعتك راضين مرضيين ، ويقدم عليه عدوك غضابى مقمحين . قال : ثم جمع علي يده الى عنقه يريهم الاقماح اهـ .

وقد أورد ابن حجر هذا الحديث في صفحة ٩٢ من صواعقه وعلق عليه كلاماً يضحك الثكلى ، ونحن نأخذ بما روى ونعرض عما رأى .

وأخرج الطبراني ــ كما في صفحة ٩٦ من الصواعق أيضا ــ قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لعلي : أول أربعة يدخلون الجنة أنا وأنت والحسن والحسين ، وذريتنا خلف ظهورنا ، وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا .

وأخرج أحمد بن حنبل في المناقب ــ كما في صفحة ٩٦ من الصواعق أيضاً ــ أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي : أما ترضى انك معي في الجنة والحسن والحسين وشيعتنا عن أيماننا وشمائلنا .

وأخرج الحاكم ــ كما في تفسير آية المودة في القربى من مجمع البيان ــ بالاسناد الى أبي امامة الباهلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله تعالى خلق الأنبياء من أشجار شتى ، وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة ، فأنا أصلها وعلي فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها وأشياعنا أوراقها ، فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ، ومن زاغ عنها هوى ،

ولو ان عبداً عبدالله ألف عام ثم الف عام ثم ألف عام حتى يصير كالشن البالي وهو لا يحبنا كبّه الله على منخريه في النار ، ثم تلا : « قل لا أسألكم عليه أجراً إلا المودة في القربى » .

تنبيـــــه

لا يخفى ان شيعة علي وأهل البيت هم أتباعهم في الدين وأشياعهم من المسلمين ، ونحن والحمد لله قد انقطعنا اليهم في فروع الدين وعقائده وأصول الفقه وقواعده وعلوم السنة والكتاب وفنون الاخلاق والسلوك والآداب بخوعاً لامامتهم واقراراً بولايتهم ، وقد والينا أولياءهم وجانبنا أعداءهم ، عملاً بقواعد المحبة وطبقاً لاصول الاخلاق في المودة ، فكنا بذلك لهم شيعة وكانوا لنا وسيلة وذريعة . والحمد لله على هدايته لدينه والتوفيق لما دعا اليه الرسول من التمسك بثقليه والاعتصام بحبليه ودخول مدينة علمه من بابها ، باب حطة وأمان أهل الأرض وسفينة نجاة هذه الأمة ، والحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا ان هدانا الله .

وأخرج ابن سعد (كما في صفحة ٩١ من الصواعق) عن علي : اخبرني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أول من يدخل الجنة أنا وفاطمة والحسن والحسين . قلت : يا رسول الله فمحبونا ؟ قال : من ورائكم .

وأخرج الديلمي (كما في الصواعق أيضاً) مرفوعاً : إنما سميت ابنتي فاطمة لأن الله فطمها ومحبيها عن النار [1] .

وأخرج ابن حنبل والترمذي (كما في صفحة ٩١ من الصواعق) أنه صلى الله عليه وآله وسلم أخذ بيد الحسنين وقال : من أحبني وأحب هذين

(١) وأخرج النسائي نحوه كما في صفحة ٩٦ من الصواعق .

وأباهما وأمهما كان معي في درجتي يوم القيامة [٢] .

وأخرج الثعلبي في تفسيره الكبير بالاسناد الى جرير بن عبدالله البجلي قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من مات على حب آل محمد [٣] مات شهيداً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الايمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة ، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة

---

(٢) وأخرجه أيضاً أبو داود (كما في صفحة ١٠٣ من الصواعق) وزاد فيه «ومات متبعاً لسنتي» ، وبها يعلم أن اتباع سنته لا يكون الا بمحبتهم (ع) .

(٣) المراد من آل محمد في هذا الحديث ونحوه مجموعهم من حيث المجموع ، باعتبار أئمتهم الذين هم خلفاء رسول الله (ص) وأوصياؤه، ووارثوا حكمه وأولياؤه ، وهم الثقل الذي قرنه بالقرآن ونص على انهما لا يفترقان ، فلا يضل من تمسك بهما ولا يهتدي من تخلى عن أحدهما ، وليس المراد هنا من الآل جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكل فرد فرد ، لأن هذه المرتبة السامية ليست الا لأولياء الله القوامين بأمره ، خاصة بحكم الصحاح المتواترة من طريق العترة الطاهرة .

نعم تجب محبة جميع أهل بيته وذريته كافة لتفرعهم من شجرته الطاهرة صلى الله عليه وآله وسلم ، وبذلك تحصل الزلفى لله تعالى والشفاعة من جدهم بأبي هو وأمي ، وكنت أوصيت أولادي أن يكتبوا هذا الحديث على كفني بعد الشهادتين لألقى الله تعالى بذلك ، والآن أكرر وصيتي هذه اليهم ولتكن الكتابة على العمامة .

والجماعة ، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوباً بين عينيه آيس من رحمة الله ــ الحديث .

وقد ارسله الزمخشري في تفسير آية المودة في القربى من سورة الشورى من كشافه ارسال المسلمات ، ورواه المؤلفون في المناقب والفضائل مرسلاً مرة ومسنداً تارات . وأنت تعلم أن هذه المنزلة السامية إنما ثبتت لهم لأنهم حجج الله البالغة ، ومناهل ، شرائعه السائغة ، وأمناؤه بعد النبي (ص) على وحيه ، وسفراؤه في أمره ونهيه ، فالمحب لهم بسبب ذلك محب لله والمبغض لهم مبغض لله . ومن هنا قال فيهم الفرزدق .

من معشر حبهم دين وبغضهم كفر وقربهم منجى ومعتصم
إن عد أهل التقى كانوا أئمتهم أو قيل من خير أهل الأرض قيل هم

وأخرج أحمد « كما في أواخر الفصل الثاني من الباب ٩ من الصواعق [٤] » عن علي قال : طلبني النبي (ص) فوجدني في حائط فقال : قم والله لأرضيك ، أنت أخي وأبو ولدي تقاتل على سنتي ، من مات على عهدي فهو في كنز الجنة ومن مات على عهدك فقد قضى نحبه ، ومن مات يحبك بعد موتك ختم الله له بالأمن والايمان ما طلعت شمس أو غربت .

وأورد ابن حجر في أواخر المقصد الثاني من المقاصد التي ذكرها في آية المودة في القربى من صواعقه حديثاً هذا لفظه [٥] ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم خرج على أصحابه ذات يوم ووجهه مشرق كدائرة القمر ، فسأله

(٤) صفحة ٧٥ .
(٥) راجعه في صفحة ١٠٣ من الصواعق ورواه غير واحد ممن كتب في المناقب والفضائل .

عبدالرحمن بن عوف عن ذلك فقال (ص) : بشارة اتتني من ربي في أخي وابن عمي وابنتي ، بأن الله زوّج علياً من فاطمة ، وأمر رضوان خازن الجنان فهز شجرة طوبى فحملت رقاقاً ــ يعني صكاكاً ــ بعدد محبي أهل بيتي ، وأنشأ تحتها ملائكة من نور دفع الى كل ملك صكاً ، فاذا استوت القيامة بأهلها نادت الملائكة في الخلائق فلا يبقى محب لأهل البيت إلا دفعت اليه صكاً فيه فكاكه من النار ، فصار أخي وابن عمي وابنتي فكّاك رقاب رجال ونساء من امتي من النار . والأخبار في هذا لا يحتملها هذا الاملاء ، وفي هذا القدر كفاية لمن كانت لله تعالى فيه عناية .

فعسى ان يعرف الشيعي بعد هذا أن أهل السنة قد انصفوا واعترفوا ، وعسى أن يعرف السني لا وجه بعد هذه المبشرات لشيء من الضغائن أو الهناة . والسلام على من اتبع السنن وجانب الفتن ورحمة الله وبركاته .

« الفصل »

٨

نضمنه طائفة ممن تأولوا من السلف فخالفوا الجمهور ولم يقدح ذلك في عدالتهم .

وغرضنا الذي نرمي اليه إنما هو ايضاح معذرة المتأولين من المسلمين ، وذلك انك اذا رأيت صالح سلفك ومن أخذت عنه دينك واتخذته واسطة بينك وبين نبيك صلى الله عليه وآله وسلم يخالفك مجتهداً وينحو غير نحوك متأولاً فلا جرم انك تقطع حينئذ بمعذرة من يتأول من معاصريك نحو تأوله أو يخالفك مثل خلافه .

وانا أرجو ممن خدمتهم من اخواني المسلمين بهذه الرسالة أن ينظروا

بعين الانصاف هل كان بين الله عز وجل وبين أحد من الناس قرابة فيحابيه ؟ كلا ! ما كان الله ليعاقب قوماً بأمر يثيب به آخرين ، إن حكمه في الأولين والآخرين لواحد ، وما بين الله تعالى وبين أحد من خلقه هوادة في إباحة حمىً حرمه على العالمين .

إن المتأولين بما يخالف الجمهور من الصحابة والتابعين وتابعيهم كثيرون لا يسعنا استقصاؤهم وإنما نذكر منهم ما يحصل به الغرض :

هذا أبو ثابت سعد بن عبادة العقبي البدري سيد الخزرج ونقيبهم وجواد الأنصار وعظيمهم ، تخلف عن بيعة الخليفتين ، وخرج مغاضباً الى الشام فقتل غيلة بحوران سنة ١٥ للهجرة ، وله كلام يوم السقيفة وبعده نلفت الطالبين له الى كتاب الامامة والسياسة لابن قتيبة أو الى تاريخ الطبري أو كامل ابن الأثير أو غيرها من كتب السير والأخبار ، فاني لا اظنه يخلو من كتاب يشتمل على ذكر السقيفة ، وكل من ذكر سعداً من أهل التراجم ذكر تخلفه عن البيعة ، ومع ذلك لم يرتابوا في كونه من أفاضل المسلمين وعدول المؤمنين ، وما ذاك إلا لكونه متأولاً ، فهو معذور عندهم وان كان مخطئاً .

وهذا حباب بن المنذر بن الجموح الانصاري البدري الأحدي ، تخلف عن البيعة أيضاً كما هو معلوم بحكم الضرورة من تاريخ السلف ، فلم يقدح ذلك في عدالته ولا أنقص من فضله ، وهو القائل : أنا جُذيلها المحكك ، وعُذيقها المرجَّب [1] أنا أبو شبل في عرينة الاسد ، والله لئن شئتم لنعيدنها جذعة . وله كلام آخر رأينا الاعراض عنه أولى ، ولولا معذرة المتأولين ما

(١) الجذيل مصغر جذل : عود ينصب للجرباء لتحتك به . والعذيق مصغر عذق : قنو النخلة . والمرجب : المبجل ، والتصغير هنا للتعظيم .

كان أهل السنة ليقطعوا بأن هذا الرجل من أفاضل أهل الجنة ، مع مكاشفته للخليفتين بما هو مبسوط في كتب الفريقين .

وهذا أمير المؤمنين عليه السلام ، وعمه العباس وبنوه ، وعتبة بن أبي لهب ، وسائر بني هاشم ، وسلمان الفارسي ، وأبو ذر ، والمقداد وعمار ، والزبير ، وخزيمة بن ثابت ، وأبيّ بن كعب ، وفروة بن عمرو بن ودقة الأنصاري ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والبراء بن عازب ، ونفر غيرهم تخلفوا عن البيعة أيضاً بحكم ما تواتر من الأخبار واتضح اتضاح الشمس في رائعة النهار ، وقد نصّ الشيخان البخاري ومسلم في صحيحيهما (٢) على تخلف علي عن البيعة حتى لحقت سيدة النساء بأبيها صلى الله عليه وآله وسلم وانصرفت عنه وجوه الناس .

وصرح بتخلفه المؤرخون كابن جرير الطبري في موضعين من أحداث السنة الحادية عشرة من تاريخه المشهور ، وابن عبد ربه المالكي في حديث السقيفة من الجزء الثاني من العقد الفريد (٣) وابن قتيبة في أوائل كتابه الامامة والسياسة وابن الشحنة حيث ذكر بيعة السقيفة في كتابه « روضة المناظر » (٤) وأبي الفداء حيث أتى على ذكر أخبار أبي بكر وخلافته في

(٢) راجع أواخر باب غزوة خيبر في صفحة ٣٦ من الجزء الثالث من صحيح البخاري المطبوع في مصر سنة ١٣٠٩ وفي هامشه تعليقة السندي ، أو باب قول النبي (ص) لا نورث ما تركنا فهو صدقة من كتاب الجهاد والسير من صحيح مسلم في صفحة ٧٢ من الجزء الثاني طبع مصر سنة ١٣٢٧ تجد التصريح بتخلفه عن البيعة مسنداً الى أم المؤمنين عائشة (رض) .

(٣) في ص ١٩٧ من النسخة المطبوعة في مصر سنة ١٣٠٥ وفي هامشها زهر الآداب .

(٤) هذا الكتاب ومروج الذهب مطبوعان في الهامش من كامل ابن

تاريخه الموسوم بالمختصر في أخبار البشر ، ونقله المسعودي في مروج الذهب عن عروة بن الزبير في مقام الاعتذار عن أخيه عبدالله (٥) إذ همَّ بتحريق بيوت بني هاشم عليهم حين تخلفوا عن بيعته ، ورواه الشهرستاني عن النظام عند ذكره للفرقة النظامية في كتابه الملل والنحل ، وأورده ابن أبي الحديد المعتزلي الحنفي في أوائل الجزء السادس من شرح النهج (٦) ، ونقله العلامة في نهج الصدق عن كتاب المحاسن وانفاس الجواهر وغرر ابن خزابة وغيرها من الكتب المعتبرة ، وأفرد أبو مخنف لبيعة السقيفة كتاباً على حدة فيه تفصيل ما أجملناه من تخلف علي عن البيعة وعدم اقراره لهم بالطاعة .

وهذا من أدل الأمور على معذرة المتأولين ، ومن يجترىء على أخي النبي ووليه ووارثه ووصيه (وانه في أم الكتاب لدينا لعلي حكيم) فيقول إنه كان حينئذ عاصياً لله سبحانه ، وهو أول من آمن به وأطاعه من هذه الأمة ، أو يقول انه كان مخالفاً للسنة ، وهو قيمها ووارثها وصاحب العناء بتأييدها ، وقد انتهى اليه ميراثها ، أو يزعم انه كان مفارقاً لشقيقه القرآن وقد نص النبي (ص) على انهما لا يفترقان (٧) أو يتوهم انه كان مجانباً

الأثير ، أما مروج الذهب فمطبوع مع الخمس الأول من مجلدات الكامل ، وهذا الكتاب ــ أعني تاريخ ابن الشحنة ــ في هامش المجلد الأخير المشتمل على جزء ١١ وجزء ١٢ ، وما نقلناه عنه هنا موجود في صفحة ١١٢ من الجزء الحادي عشر فراجع .

(٥) عرفت أن مروج الذهب مطبوع في هامش ابن الأثير ، وما نقلناه الآن عنه موجود في آخر صفحة ٢٥٩ من الجزء السادس فراجع .

(٦) في أوائل الصفحة الخامسة من المجلد الثاني من الشرح طبع مصر .

(٧) أخرج الطبراني في الأوسط « كما في الفصل الثاني من الباب التاسع من الصواعق صفحة ٧٤ » عن أم سلمة قالت : سمعت رسول الله (ص) يقول :

للصواب ، وقد أذهب عنه الرجس وطهره نصّ الكتاب ، أو يقول انه كان متنكباً عن الحق ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « علي مع الحق والحق مع علي يدور معه كيف دار » أو يقول انه قعد به الجهل بحكم هذه البيعة ، وهو أقضى الأمة وباب مدينة العلم (ومن عنده علم الكتاب) .

وهذا أبو سفيان صخر بن حرب تخلف عن البيعة أيضاً وهو القائل يومئذ (٨) اني أرى غبرة لا يطفئها إلا دم ، وجعل يطوف في أزقة المدينة ويقول:

بني هاشم لا تطمع الناس فيكم ولا سيما تيم بن مرة أو عدي
فما الأمر إلا فيكمُ واليكمُ وليس لها إلا أبو حسن علي

وقال (٩) فما بال هذا الأمر في أقل حي من قريش ، ثم قال لعلي : ابسط يدك أبايعك ، فوالله لئن شئت لأملأنها عليه خيلاً ورجلاً ، فأبى أمير المؤمنين عليه السلام ، فتمثل بقول المتلمس :

ولن يقيم على خسف يراد به إلا الأذلان عير الحي والوتد
هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يبكي له أحد

هذا بعض ما كان منه يومئذ ، ونحن (الامامية) لا نحمل فعله هذا إلا على ارادة الفتنة ، وشق عصا المسلمين ، ولذا زجره أمير المؤمنين عليه السلام وقال له (١٠) والله إنك ما أردت بهذا إلا الفتنة ، وانك والله طالما بغيت للاسلام شراً .

علي مع القرآن والقرآن مع علي لا يفترقان حتى يردا علي الحوض .

(٨) هذا وما بعده حتى البيتان موجود في حديث السقيفة من العقد الفريد فراجع .

(٩) هذا وما بعده حتى البيتان الأخيران موجود في حديث السقيفة من كامل ابن الأثير .

(١٠) نقلناه عن كامل ابن الأثير .

وإنما ذكرناه في عداد المتأولين مجاراة لمن يحمل أفعاله على الصحة ، لتتم حجتنا عليهم به في معذرة المتأولين ، ضرورة أنه لا يمكن أن يكون معذوراً عندهم في هذا التخلف إلا بناء على ذلك الاصل .

وهذه سيدة نساء العالمين ، وبضعة خاتم النبيين والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم ، قد علم الناس ماكان بينها وبين أبي بكر إذ هجرته فلم تكلمه حتى ماتت ودفنها أمير المؤمنين ليلا ، ولم يؤذن بها إلا نفرا من شيعته لئلا يصلي عليها غيرهم ، وهذا من المسلمات أخرجه البخاري ومسلم في الصحيحين (١١) ورواد الامام أحمد من حديث أبي بكر في أواخر صفحة ٦ من الجزء الاول من مسنده ، وذكره أهل الاخبار ، ونص عليه أرباب السير ، وحسبك من ذلك ما أودعه الامام ابن قتيبة في كتابه الامامة والسياسة ونقله العلامة المعتزلي عن ثقاة المؤرخين في شرحه لنهج البلاغة .

ولها خطبتان تفرغ فيهما عن لسان أبيها صلى الله عليه وآله وسلم ، احداهما في ميراثها والثانية في أمر الخلافة ، أوردهما أحمد بن عبد العزيز الجوهري في كتابه والعلامة المعتزلي في الجزء ١٦ من شرح النهج (١٢) واليكهما في كتاب بلاغات النساء (١٣) والاحتجاج والبحار وغيرها من كتب الفريقين ،

---

(١١) راجع أواخر باب غزوة خيبر في صفحة ٣٦ من الجزء ٣ من صحيح البخاري أو اول كتاب الفرائض في صفحة ١٠٥ من الجزء الرابع من صحيحه أيضا أو باب قول النبي (ص) لا نورث ما تركنا فهو صدقة من كتاب الجهاد في صفحة ٧٢ من الجزء ٢ من صحيح مسلم .

(١٢) اما الاولى فموجودة في صفحة ٧٩ والثانية في صفحة ٨٧ من المجلد الرابع من شرح النهج طبع مصر .

(١٣) لمؤلفه أبي الفضل أحمد بن أبي طاهر المتوفي سنة ٢٨٠ فراجع منه صفحة ١٦ و ٢٣ .

لتكون على يقين من معذرة المتأولين .

وهذا أبو سليمان خالد بن الوليد المخزومي ، قتل يوم البطاح مالك بن نويرة بن حمزة بن شداد بن عبد بن ثعلبة بن يربوع التميمي ، ونكح زوجته أم تميم بنت المنهال وكانت من أجمل النساء ، ثم رجع الى المدينة وقد غرز في عمامته أسهماً فقام اليه عمر (رض) فنزعها وحطمها ، وقال له (كما في تاريخ ابن الاثير وغيره) قتلت امرءاً مسلماً ثم نزوت على امرأته ، والله لأرجمنك بأحجارك . ثم قال لابي بكر (كما في ترجمة وثيمة بن موسى من وفيات ابن خلكان) إن خالدا قد زنى فارجمه . قال :ماكنت لأرجمه ، فانه تأول فأخطأ . قال : إنه قتل مسلماً فاقتله به . قال : ما كنت لاقتله به ، إنه تأول فأخطأ .

فلما أكثر عليه قال : ما كنت لأشيم سيفا سلّه الله تعالى ، وودى مالكا من بيت المال ، وفك الاسرى والسبايا من آله . وهذه الواقعة من المسلمات ، لا ريب في صدورها من خالد (١٤) وقد ذكرها محمد بن جرير الطبري في

(١٤) وله واقعة أخرى أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وذلك انه بعثه الى بني جذيمة داعيا ولم يبعثه مقاتلا ، وكانت جذيمة قتلت في الجاهلية عمه الفاكه بن المغيرة ، فلما ورد عليهم قال لهم : ضعوا سلاحكم فان الناس قد أسلموا ، فوضعوا سلاحهم فأمر بهم فكتفوا ثم عرضهم على السيف وقتل منهم مقتلة عظيمة ، فلما انتهى الخبر الى النبي (ص) رفع يده الى السماء فقال « كما في باب بعث خالد بن الوليد الى جذيمة من كتاب المغازي من صحيح البخاري في صفحة ٤٧ من جزئه الثالث » : اللهم اني أبرأ اليك مما صنع خالد — مرتين .

ثم أرسل علياً « كما في كامل ابن الاثير وغيره » ومعه مال ، وأمره ان ينظر في أمرهم فودي لهم الدماء والاموال حتى انه ودى ميلغة الكلب ، وبقى معه من المال فضلة ، فقال لهم : هل بقى لكم مال أو دم لم يود ؟قالوا:لا . قال : فاني أعطيكم هذه البقية احتياطاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ،

تاريخه وابن الاثير في كامله ، ووثيمة بن موسى بن الفرات والواقدي في كتابيهما ، وسيف بن عمر في كتاب الردة والفتوح ، والزبير بن بكار في الموفقيات ، وثابت بن قاسم في الدلائل ، وابن حجر العسقلاني في ترجمة مالك من أصابته ، وابن الشحنة في روضة المناظر ، وأبو الفداء في المختصر ، وخلق كثير من المتقدمين والمتأخرين ، والكل ذكروا أعتذار أبي بكر عن خالد بأنه تأول فأخطأ .

واذا كان أبو بكر أول من نص على معذرة المتأولين ، فمن دا يرتاب في ذلك من جمهور المسلمين .

وليت شعري متى كان التأول في الفروع شيئا نكراً أم كيف لا يكون عند الله والمؤمنين عذرا ، وقد تأول السلف كثيرا من ظواهر الادلة لأمور ظنوا فيها صلاح الملة ، فبخع لتأولهم جمهور المسلمين ، وانقطع اليهم في كل ما يتعلق بالدين ، تقديسا لتأولهم واجتهادهم ، وتنزيهاً لغرضهم ومرادهم ، واليك مضافا الى ما تلوناه تلميحا الى بعض تأولاتهم وإشارة الى اليسير من اجتهاداتهم ، أذكر ذلك مختصرا في العبارة والحر تكفيه الاشارة .

فمنها تأولهم في الطلاق الثلاث وحكمهم فيه بخلاف ما كان عليه زمن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر كما هو مقرر معلوم .

ففي باب طلاق الثلاث من كتاب الطلاق من صحيح مسلم في صفحة ٥٧٤ من جزئه الاول عن ابن عباس بطرق مختلفة قال : كان الطلاق على عهد

ففعل ثم رجع فأخبر النبي (ص) فقال : أصبت وأحسنت .

هذا ما نقله جميع المؤرخين وكل من ترجم خالداً ، حتى قال ابن عبد البر بعد أن ذكر هذا الخبر عنه في ترجمته من الاستيعاب ، ما هذا لفظه : وخبره في ذلك من صحيح الاثر اهـ .

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وسنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة . قال : فقال عمر بن الخطاب إن الناس قد استعجلوا في أمر قد كانت لهم فيه أناة ، فلو أمضيناه عليهم . قال : فأمضاه عليهم اهـ .

ونقله قاسم بك أمين في صفحة ١٧٣ من كتابه « تحرير المرأة » عن صحيح البخاري ونقله الفاضل الرشيد في صفحة ٢١٠ من المجلد الرابع من مناره عن أبي داود والنسائي والحاكم والبيهقي ثم قال ما هذا لفظه : ومن قضاء النبي بخلافه ما أخرجه البيهقي عن ابن عباس (١٥) قال : طلق ركانة امرأته ثلاثا في مجلس واحد فحزن عليها حزناً شديدا ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وآله كيف طلقها ؟ قال : ثلاثاً . قال : في مجلس واحد ؟ قال : نعم . قال: فانما تلك واحدة فارجعها إن شئت اهـ .

قلت : وهذا مذهبنا في المسألة ، ويدل عليه مضافا الى ما سمعت (١٦) وكونه مقتضى الاصل قوله تعالى « الطلاق » الذي تحل المطلقة من بعده انما هو « مرتان » فان طلقها مرتين فالواجب عليه بعد ذلك ما أشار اليه سبحانه بقوله « فأمساك » بعد التطليقتين المتفرقتين « بمعروف او تسريح » حينئذ « بأحسان »

---

(١٥) وذكره ابن اسحاق في صفحة ١٩١ من الجزء ٢ .

(١٦) ويدل عليه أيضا ما نقله قاسم بك أمين في صفحة ١٧٢ من كتابه تحرير المرأة عن النسائي والقرطبي والزيلعي بالاسناد الى ابن عباس قال : أخبر رسول الله (ص) عن رجل طلق امرأته ثلاثاً جمعا ، فقام غضبان ثم قال : أتلعبون بكتاب الله وأنا بين أظهركم اهـ ، قلت : وفي تفسير سورة الطلاق من الكشاف نحوه ، وربما قيل إن هذا الحديث دال على فساد الطلاق الثلاث بالمرة لكونه لعباً ، وبذلك قال سعيد بن المسيب وجماعة من التابعين ، لكن الحق ان اللعب إنما هو في قوله ثلاثاً فيلغى واما قوله أنت طالق فيؤثر أثره إذ لا لعب فيه كما هو واضح .

الى ان قال عز اسمه : « فان طلقها » أي مرة ثالثة بعد المرتين المتفرقتين «فلا تحل له من بعد » ذلك التطليق الثالث « حتى تنكح زوجا غيره » .

وعلى هذا فلو قال لزوجته « أنت طالق ثلاثا » ولم يكن طلقها من قبل أصلا ، او كان قد طلقها مرة واحدة فلا مانع لهما ان يتراجعا وان لم ينكحها غيره ، لأن المنفي في الآية انما هو حل ارجاعها من بعد التطليق الثالث المسبوق بتطليقتين كما لايخفى . بيد أن أبا حفص (رض) تأول الآية وسائر ادلة المسألة (١٧) عقوبة للمستعجلين وردعا لاهل الطيش والجاهلين ، وهـذا كاف لك في معذرة المتأولين . فتدبر ولا تكن من الغافلين .

ومنها تأولهم في متعة الحج ومتعة النساء وحكمهم فيهما بخلاف ما كانتا عليه أيام النبي (ص) كما هو مقرر معلوم، وبيان ذلك على التفصيل يستوجب مباحث :

« المبحث الاول »
في أصل مشروعيتهما

أعلم أن هذا المقدار ثابت بأجماع المسلمين ، وبكل من الكتاب والسنة :

أما الاجماع فلأن اهل القبلة كافة متفقون على ان الله تعالى قد شرع هاتين المتعتين في دين الاسلام ، واهل التوحيد من هذه الامة قاطبة متصافقون على ذلك ، بحيث لاريب فيه لأحد من المتقدمين والمتأخرين من كافة المسلمين ، بل لعل ذلك ملحق لدى أهل العلم بالضروريات الثابتة عن سيد النبيين (ص) فلا ينكره أحد من أهل المذاهب الاسلامية مطلقا .

---

(١٧) وفي الصفحة ٢١٢ من المجلد ٤ من المنار تصريح بأن عمر قد اجتهد في هذه المسألة .

وأما الكتاب العزيز ففيه آيتان محكمتان : إحداهما في تشريع متعة الحج والاخرى في تشريع متعة النساء (١) .

أما آية متعة الحج فهي قوله تعالى : « فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استيسر من الهدي » الى قوله عز اسمه : « ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام » إذ لاخلاف بين المسلمين في نزولها في متعة الحج كما لا يخفى .

(١) متعة النساء (التي هي موضوع الخلاف بين الشيعة والسنة) أن تزوجك المرأة نفسها حيث لا يكون لك مانع في دين الاسلام عن نكاحها من نسب أو سبب أو رضاع أو احصان او عدة أو غير ذلك من الموانع الشرعية ، ككونها منكوحة لابيك ، أو كونها اختاً لزوجتك ، أو غير ذلك ــ تزوجك نفسها بمهر معلوم الى أجل مسمى ، بعقد نكاح جامع لشرائط الصحة الاسلامية ، فتقول لك بعد الاتفاق والتراضي : « زوجتك ، أو انكحتك ، أو متعتك نفسي ، بمهر قدره كذا يوما أو شهراً أو سنة أو تذكر مدة أخرى معينة على الضبط ، فتقول أنت لها على الفور : « قبلت » . وتجوز الوكالة في هذا العقد كغيره من العقود ، وبتمامه تكون زوجة لك ، وأنت تكون زوجاً لها الى منتهى الاجل المسمى في العقد ، وبمجرد انتهائه تبين من غير طلاق كالاجارة ، وللزوج فراقها قبل انتهائه بهبة المدة المعينة لا بالطلاق عملا بالنصوص الخاصة الدالة على ذلك ، ويجب عليها مع الدخول وعدم بلوغها سن اليأس أن تعتد بعد هبة المدة أو انقضائها بقرءين اذا كانت ممن تحيض وإلا فبخمسة وأربعين يوماً كالأمة عملا بالادلة الخاصة أيضا ، فاذا وهبها المدة أو انقضت قبل ان يمسها فماله عليها من عدة كالمطلقة قبل الدخول .

وولد المتعة ذكراً كان أو انثى يلحق كغيره من الابناء بأبيه ، فانه أشرف الابوين ، ولا يدعى إلا له عملا بقوله تعالى « ادعوهم لآبائهم » ، وله من الارث ما أوصى به الله سبحانه حيث يقول : « يوصيكم الله في أولادكم للذكر مثل حظ الانثيين » ولا فرق (عند مبيحي المتعة) بين ولديك المولود أحدهما منها والآخر من النكاح المألوف بين عامة المسلمين ، وجميع العمومات الواردة

أما آية متعة الحج فهي قوله تعالى : « فمن تمتع بالعمرة الى الحج فما استمتعم به منهن فآتوهن أجورهن » حتى ان كلا من أُبي بن كعب في الابناء والآباء والامهات شاملة لابناء المتعة وآبائهم وأمهاتهم ، وكذا القول في العمومات الواردة في الاخوة والاخوات وأبنائهما والاعمام والعمات والاخوال والخالات وأبنائهم « وأولوا الارحام بعضهم أولى ببعض » مطلقا .

نعم عقد نكاح المتعة لا يوجب توارثاً بين الزوجين المتمتعين ولا ليلة ولا نفقة للمتمتع بها ، وللزوج أن يعزل عنها عملا بالادلة الخاصة المخصصة للعمومات الواردة في أحكام الزوجات .

هذه هي متعة النساء التي فهم الامامية من الكتاب والسنة دوام أباحتها ، وأهل المذاهب الاربعة قالوا بتحريمها مع اعترافهم بأن الله تعالى شرعها في دين الاسلام ، وليس عندنا متعة نساء غيرها بحكم الضرورة الاولية من مذهبنا المدون في الوف من مصنفات علمائنا المنتشرة بفضل الطبع في أكثر بلاد الاسلام لكن محمود شكري الالوسي غفر الله له لفق رسالة بذيئة شحنها بإفكه الواضح وبهتانه الفاضح ، وقد وقفت عليها في الجزء ٦ من المجلد ٢٩ من المنار فاذا هي كذب وسباب وتنابز بالالقاب نعوذ بالله السميع العليم من الافاك الاثيم ، إذ يقول غير متأثم : إن عند الشيعة متعة أخرى يسمونها المتعة الدورية ويروون في فضلها ما يروون ، وهي ان يتمتع جماعة بامرأة واحدة فتقول لهم من الصبح الى الضحى في متعة هذا ومن الضحى الى الظهر في متعة هذا ومن الظهر الى العصر في متعة هذا ومن العصر الى المغرب في متعة هذا ومن المغرب الى العشاء في متعة هذا ومن العشاء الى نصف الليل في متعة هذا ومن نصف الليل الى الصبح في متعة هذا . . . الى آخر بهتانه المبين فراجعه في صفحة ٤٤١ من المجلد ٢٩ من المنار .

وليت المنار سأل هذا المرجف المجحف فقال له : من الذي سماها من الشيعة بهذا الاسم وأي راوٍ منهم روى في فضلها شيئا أو أتى في رواياته على ذكرها ، وما تلك الروايات التي زعمت أنهم رووها في فضلها ، ومن أخرج تلك الروايات من محدثيهم ، وأي عالم أو جاهل منهم افتى بها أو ذكرها ، وأي كتاب من كتب حديثهم أو فقههم أو تفسيرهم يشتمل على ذكرها ؟ ؟

ولو تقدم المنار بهذا السؤال لعرف حقيقة الحال ، ونحن الآن نحيله

وابن عباس (٢) وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم كانوا يقرؤونها : « فما

على مصنفات الامامية في الفقه والحديث والتفسير وسائر الفنون ، وقد انتشر منها بفضل المطابع عشرات الالوف مختصرة ومطولة متونا وشروحا بعضها للمتقدمين وبعضها للمتأخرين ، فليتتبعها المنار كتابا كتابا وليتصفحها حرفا حرفا ليعلم ان الآلوسى وأمثاله من المرجفين الظالمين لاحياء المؤمنين ولامواتهم ، وقد بهت السلف الصالح بما تستك به المسامع وترتعد منه الفرائص :

من كان يخلق ما يقو ل فحيلتي فيه قليله

(ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وان تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الامور) .

(٢) أرسل الزمخشري في كشافه هذه القراءة عن ابن عباس ارسال المسلمات ، والرازي ذكر في تفسير الآية أنه روى عن أبي بن كعب أنه كان يقرأ « فما استمعتم به منهن الى أجل مسمى فآتوهن اجورهن » . قال : وهذا أيضا هو قراءة ابن عباس . قال : والامة ما أنكروا عليهما في هذه القراءة . قال :فكان ذلك اجماعا من الامة على صحة هذه القراءة ــ هذا كلامه بلفظه فراجعه في صفحة ٢٠١ من الجزء ٣ من تفسيره الكبير .

ونقل القاضى عياض عن المازري (كما في أول باب نكاح المتعة من شرح صحيح مسلم للفاضل النووي) ان ابن مسعود قرأ « فما استمتعتم به منهن الى أجل » والاخبار في ذلك كثيرة . وصرح عمران بن حصين الصحابي بنزول هذه الآية في المتعة وأنها لم تنسخ حتى قال رجل فيها برأيه ما شاء .

ونص على نزول الآية في المتعة مجاهد أيضا فيما أخرجه عنه الطبري في تفسيره بأسناده اليه ، فراجع الصفحة ٩ من الجزء ٥ من تفسيره الكبير .

ويشهد لنزولها في ذلك بالخصوص ان الله سبحانه قد أبان في أوائل السورة حكم نكاح الدائم بقوله تعالى : « فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع » الى أن قال : « وآتوا النساء صدقاتهن نحلة » فلو كانت هذه الآية في بيان الدائم أيضا للزم تكرار ذلك في سورة واحدة ، أما اذا كانت لبيان المتعة المشروعة بالاجماع فانها تكون لبيان معنى جديد .

وأهل النظر ممن تدبر القرآن الحكيم يعلمون ان السورة قد اشتملت على بيان الانكحة الاسلامية كلها ، فالدائم وملك اليمين تبينا بقوله تعالى : « فانكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى وثلاث ورباع فإن خفتم أن لا تعدلوا

استمتعتم به منهن الى أجل مسمى » أخرج ذلك عنهم الامام الطبري في تفسير الآية من أوائل الجزء الخامس من تفسيره الكبير، ورواه عنهم وعن ابن مسعود جماعة كثيرون من ثقاة الامة وحفظتها ، لايسعنا استقصاؤهم .

وأما نصوص السنة في أصل مشروعية المتعتين فمتواترة ، ولا سيما من طريقنا عن العترة الطاهرة ، وحسبك في ثبوت متعة الحج واستمرارها ما أخرجه الشيخان (البخاري ومسلم) في التمتع والافراد والقران من كتاب الحج من صحيحهما فراجع .

على أن متعة الحج قد انعقد الاجماع بعد الخليفة الثاني على استرارهاولم يعملوا بنهيه عنها ، فهي مما لا كلام في دوامه ، وانما الكلام في متعة النساء ، وقد أخرج الشيخان في أصل مشروعيتها أحاديث في صحيحهما كثيرة عن كل من سلمة بن الاكوع ، وجابر بن عبد الله ، وعبد الله بن مسعود ، وابن عباس، وسبرة بن معبد الجهني ، وأبي ذر الغفارى ، وعمران بن حصين ، والاكوع بن عبدالله الاسلمي ، وأخرجها أحمد بن حنبل في مسنده من حديث هؤلاء كلهم ، ومن حديث عبد الله بن عمر ، وأخرج مسلم في باب نكاح المتعة من كتاب النكاح من الجزء الاول من صحيحه عن جابر بن عبد الله ، وسلمة بن الاكوع ، قالا : خرج علينا منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : إن رسول الله أذن لكم ان تستمعوا يعني متعة النساء اهـ . والصحاح في هذا المعنى كثيرة وفيما أشرنا اليه كفاية .

فواحدة أو ما ملكت أيمانكم » .

والمتعة مبينة بآيتها هذه « فما استمتعتم به منهن » ونكاح الاماء مبين بقوله تعالى : « ومن لم يستطع منكم طولا ان ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات » الى أن قال : « وآتوهن اجورهن بالمعروف » .

« المبحث الثاني »
في دوام حلها واستمرار اباحتها

وقد ذهب الى ذلك أئمتنا الاثنا عشر من أهل البيت (وأهل البيت أدرى بالذي فيه) وتبعهم في ذلك شيعتهم وأولياؤهم ، وحسبك حجة لهم ما قد سمعته من إجماع المسلمين على أن الله تعالى شرعها في دينه القويم وصدع بأباحتها في الذكر الحكيم ، وأذّن في الاذن بها منادي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ولم يثبت نسخها عن الله تعالى ، ولا عن رسوله (ص) حتى انقطع الوحي بأختيار الله تعالى لنبيه دار كرامته ومأوى اصفيائه ، بل ثبت عدم نسخها بحكم صحاحنا المتواترة من طريق العترة الطاهرة ، فراجعها في كتاب وسائل الشيعة الى أحكام الشريعة .

وإن ابتغيت صحاحاً سواها فاليك ما أخرجه محدثوك « أيها القائل بتحريمها » انقله اليك بعين ألفاظهم فأقول :

أخرج مسلم في باب نكاح المتعة من صحيحه [1] عن عطاء قال : قدم جابر بن عبد الله معتمراً ، فجئناه في منزله فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة ، فقال : نعم ، استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأبي بكر وعمر اهـ .

وأخرج مسلم في الباب المذكور أيضا عن أبي نضرة قال : كنت عند جابر ابن عبد الله فأتاه آت فقال : ابن عباس وابن الزبير اختلفا في المتعتين . فقال جابر : فعلناهما مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ثم نهانا عنهما عمر ، فلم نعدلهما اهـ .

---

(١) في صفحة ٥٣٥ من جزئه الاول .

وأخرج مسلم في الباب المذكور أيضا عن أبي الزبير قال : سمعت جابر ابن عبد الله يقول : كنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق الايام على عهد رسول الله (ص) وأبي بكر حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث اهـ .

وأنت تعلم ان ليس المراد من قول جابر في هذه الاحاديث استمتعنا على عهد رسول الله (ص) مرة ، وفعلناهما مع رسول الله (ص) أخرى ، وكنا نستمتع بالقبضة من التمر والدقيق على عهد رسول الله (ص) تارة ، إلا بيان أنهم كانوا يستمتعون بمرأى منه صلى الله عليه وآله وسلم ومسمع ، فيقرهم على ذلك وأنه لم ينههم عنها حتى اختار الله له لقاءه . وناهيك بهذا برهانا على دوام الاباحة . واذا نظرت الى قوله تمتعنا واستمتعنا ، وكنا نستمتع ، وفعلناهما مع رسول الله (ص) تجده ظاهرا في نسبة فعلهما أيام النبي (ص) وأبي بكر الى عموم الصحابة لا الى نفسه بالخصوص ، ولو كان ثمة ناسخ ما فعلوهما بعد النبي (ص) ولايجوز أن يخفى الناسخ عليهم مع ملازمتهم للرسول في حضره وسفره ليلا ونهاراً ، وكيف يخفى عليهم ، ثم يظهر للمتأخرين عنهم . على أن قول جابر « حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث » صريح بأن النهي عنها لم يكن من الله تعالى ولا من رسوله (ص) وانما كان من عمر لقضية وقعت من عمرو بن حريث — وقوله ثم نهانا عمر دال على أن النهي كان متوجهاً منه الى كافة الصحابة لا الى شخص منهم مخصوص ، وأما قوله « فلم نعد لها » فانما هو للتقية والخوف من العقوبة ، والاخبار الدالة على دوام إباحة المتعة واستمرار حلها لاتستقصى في هذه العجالة ، وسأتلو عليك في المبحث الرابع والمبحث الخامس لمعة من الصحاح تدل على ذلك أيضا .

« المبحث الثالث »
في الاحاديث التي زعموا أنها ناسخة لحكم المتعة

أمعنا النظر فيها فوجدناها احاديث ملفقة وضعها المتأخرون عن زمن الخلفاء الاربعة تصحيحا لرأي من حرّمها، وقد استقصيناها في رسالتنا الموسومة بالنجعة في أحكام المتعة ، فأثبتنا من طريق خصومنا تضعيف تلك الاحاديث وان أخرجها الشيخان ، ونقلنا كلمات البعض من أئمتهم في الجرح والتعديل الدالة على ذلك ، على أن تلك الاحاديث الملفقة تناقض صحاحنا المتواترة من طريق العترة الطاهرة ، بل تناقض ما سمعته من صحاحهم الدالة على دوام حلها واستمرار إباحتها ، ومن تدبرها وجدها تناقض نفسها بنفسها ، وقدفصلنا ذلك كله في نجعتنا بما لا مزيد عليه .

وانت هداك الله سمعت النص من جابر بن عبدالله على أن التحريم . والنهي إنما كان من عمر في بادرة بدرت من ابن حريث ، وستسمع كلام عمران بن حصين ، وعبد الله بن مسعود ، وعبد الله بن عمر ، وعبد الله بن عباس ،وأمير المؤمنين ، فتراه صريحاً بأن التحريم لم يكن بناسخ شرعي وانما كان بنهي الخليفة الثاني ، ومحال أن يكون ثمة ناسخ فيجهلونه ، وهم من علمت منزلتهم من رسول الله وملازمتهم له (ص) وحرصهم على أخذ العلم منه .

على أنه لو كان هناك ناسخ لنبههم اليه بعض المطلعين عليه ، وحيث لم يعارضهم أحد من الصحابة فيما كانوا ينسبونه من التحريم الى عمر علمنا أنهم أجمع معترفون بذلك ، مقرون بأن لا ناسخ من الله تعالى ، ولا من رسوله صلى الله عليه وآله وسلم كما لا يخفى .

على أن عمر نفسه لم يدعِ النسخ كما ستسمع من كلامه الصريح في أسناد التحريم والنهي الى نفسه ، ولو كان هناك ناسخ لاسند التحريم الى الله تعالى أو الى الرسول (ص) فان ذلك أبلغ في الزجر وأولى بالذكر .

ومن غرائب الامور دعواهم النسخ بقوله تعالى : « والذين هم لفروجهم حافظون إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم » بزعم انها ليست بزوجة ولا ملك يمين . قالوا : أما كونها ليست بملك يمين فمسلم ، وأما كونها ليست بزوجة فلأنها لانفقة لها ولا إرث ولا ليلة ، والجواب أنها زوجة شرعية بعقد نكاح شرعي ، أما عدم النفقة والارث والليلة فانما هو بأدلة خاصة تخصص العمومات الواردة في أحكام الزوجات ، كما بيناه فيما علقناه على صفحة ٥٤ من هذه الفصول . على ان هذه الآية مكية نزلت قبل الهجرة بالاتفاق ، فلا يمكن أن تكون ناسخة لاباحة المتعة المشروعة في المدينة بعد الهجرة بالاجماع .

ومن عجيب أمر هؤلاء المتكلفين ان يقولوا بأن آية (المؤمنون) ناسخة للمتعة ، إذ ليست بزوجة ولا ملك يمين ، فاذا قلنا لهم ولم لا تكون ناسخة لنكاح الاماء المملوكات لغير الناكح ، وهو لسن بزوجات للناكح ولا ملك يمين له ، قالوا حينئذ : إن آية المؤمنين ونكاح الاماء المذكورات انما شرع بقوله تعالى في سورة النساء وهي مدنية : « فمن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات فمما ملكت ايمانكم » الآية ، والمكي لا يمكن أن يكون ناسخاً للمدني لوجوب تقدم المنسوخ على الناسخ ، يقولون هذا وينسون أن المتعة إنما شرعت في المدينة بقوله تعالى في سورة النساء أيضاً : « فما استمتعتم به منهن فآتوهن اجورهن » وقد منينا بقوم لايتدبرون فانا الله وإنا اليه راجعون .

« المبحث الرابع »

في يسير من الاحاديث الدالة على أن التحريم إنما كان من الخليفة الثاني رضي الله عنه .

أخرج مسلم في باب المتعة بالحج والعمرة من صحيحه [١] بالاسناد الى أبي نضرة قال : كان ابن عباس يأمر بالمتعة ، وكان ابن الزبير ينهى عنها ، فذكرت ذلك لجابر فقال : على يدي دار الحديث ، تمتعنا مع رسول الله (ص) فلما قام عمر قال : إن الله كان يحل لرسوله ما شاء بما شاء ، فأتموا الحج والعمرة ، وأيتوا نكاح هـذه النساء ، فلن أوتي برجل نكح امرأة الى أجل إلا رجمته بالحجارة ا هـ .

وهذا كما ترى صريح بما قلناه ، ولا تنس ما ذكرناه في المبحث الثاني من حديث جابر فانه صريح بذلك أيضا فراجعه وتأمل .

وقد استفاض قول الخليفة الثاني وهو على المنبر : « متعتان كانتا على عهد رسول الله وأنا انهى عنهما وأعاقب عليهما : متعة الحج ومتعة النساء » حتى نقل الرازي هذا القول عنه محتجا به على حرمة متعة النساء ، فراجع تفسير آيتها من تفسيره الكبير .

والذي نقله متكلم الاشاعرة وحكيمهم الامام القوشجي في أواخر مبحث الامامة من شرح التجريد أن عمر قال وهو على المنبر : أيها الناس ثلاث كن على عهد رسول الله (ص) وأنا انهى عنهن وأحرمهن وأعاقب عليهن : متعة النساء ، ومتعة الحج ، وحي على خير العمل . ثم اعتذر عنه بأن هذا إنما

(١) في صفحة ٤٦٧ من جزئه الاول .

كان منه على تأول واجتهاد ، والاخبار في ذلك كثيرة تضيق هذه الفصول عن استقصائها .

وقد استمتع في أيامه ربيعة بن أمية بن خلف القرشى الجمحي (وهو أخو صفوان) فيما أخرجه الامام مالك في باب نكاح المتعة من موطأه عن عروة بن الزبير : أن خولة بنت حكيم السلمية دخلت على عمر فقالت : إن ربيعة بن أمية استمتع بأمرأة فحملت منه ، فخرج عمر يجر رداءه (من العجلة والغضب) فقال : هذه المتعة ولو كنت تقدمت فيها لرجمت اهـ . أي لو كنت تقدمت في تحريمها والانذار برجم فاعلها قبل هذا لرجمت ، إذ كان هذا القول منه قبل نهيه عنها ، نصّ على ذلك ابن عبد البر كما في شرح الزرقاني لهذا الحديث من الموطأة ، وربما يكون المراد بقوله : « لو كنت تقدمت فيها لرجمت » أنه لو تقدم بأقامة الحجة من الكتاب والسنة على نسخها لرجم ، وحيث لا حجة على تحريمها فلا رجم .

وكيف كان فكلامه هذا ظاهر بأن التصرف في حكمها إنما هو منه لا من سواه ، وخطبته تلك على المنبر نص صريح بذلك ، حيث روى كون المتعتين كانتا على عهد النبي (ص) ولم يرو نهيه عنهما ، بل أسند النهي عنهما الى نفسه ، فقال : « وأنا انهى عنهما » مقدما للمسند اليه ليكون النهي عنهما مقصورا عليه ، ولو كان هناك ناسخ لذكره كما لا يخفى .

« المبحث الخامس »

في الاشارة الى يسير ممن تسنى لهم أن يبوحوا ببعض ما تكنه نفوسهم من الانكار على تحريمها وهم كثيرون .

فمنهم جابر بن عبد الله الانصاري وقد سمعت حديثه .

ومنهم أمير المؤمنين عليه السلام فيما أخرجه الامامان الطبري والثعلبي عند بلوغهما في تفسيريهما الكبيرين الى آية المتعة من سورة النساء بالاسناد الى علي [1] قال : لولا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقي ، وهذا المعنى متواتر عنه من طريق أبنائه الميامين .

ومنهم عبد الله بن عباس حيث قال : ما كانت المتعة إلا رحمة رحم الله بها امة محمد (ص) لولا نهيه (يعني عمر) عنها ما احتاج الى الزنى إلا شقي ، أي إلا قليل من الناس . نقل ذلك عنه ابن الاثير في مادة « شفى » من النهاية، ورواه عنه خلق كثير . وقوله في إباحة المتعة والانكار على من حرمها متواتر ، وله في ذلك مع ابن الزبير وغيره نوادر يطول المقام بذكرها ، وقد أخرج مسلم بعضها عن جابر فراجع صفحتي ٥٨ و ٦١ من كتابنا هذا .

ومنهم عبد الله بن عمر كما هو ثابت عنه . أخرج الامام احمد في صفحة ٩٥ من الجزء الثاني من مسنده من حديث عبد الله بن عمر قال : سأل رجل ابن عمر عن متعة النساء فقال : والله ما كنا على عهد رسول الله (ص) زانين ولا مسافحين . ثم قال : والله لقد سمعت رسول الله (ص) يقول : ليكونن قبل يوم القيامة المسيح الدجال وكذابون ثلاثون أو اكثر اهـ.

ونقل العلامة في نهج الصدق والشهيد الثاني في نكاح المتعة من روضته البهية عن صحيح الترمذي أن رجلا من أهل الشام سأل ابن عمر عن متعة النساء فقال : هي حلال . فقال : إن أباك قد نهى عنها . فقال ابن عمر: أرأيت إن كان أبي نهى عنها وصنعها رسول الله (ص) أتترك السنة وتتبع قول أبي ؟اهـ

ومنهم عبد الله بن مسعود ، كما هو مقرر معلوم ، أخرج البخاري ومسلم

(١) ونقله الرازي في صفحة ٢٠٠ من الجزء ٣ من تفسيره عن تفسير الطبري .

في الصحيحين ، واللفظ للأول في الصفحة الثانية أو الثالثة من كتاب النكاح عن عبد الله «ابن مسعود » قال : كنا نغزو مع رسول الله (ص) وليس لنا شيء [٢] فقلنا : ألا نستخصى ؟ فنهانا عن ذلك ثم رخص لنا ان ننكح المرأة بالثوب ، ثم قرأ علينا « يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين » اهـ .

وأنت تعلم ان استشهاده بالآية دال على قوله بأباحة المتعة وإنكاره على من حرمها كما صرح به كل من شرح صحيح البخاري .

ومنهم عمران بن حصين فيما صح عنه ، وقد نقل فخر الدين الرازي أثناء بحثه عن حكم متعة النساء في تفسير آيتها من تفسيره الكبير عن عمران بن حصين قال : انزل الله في المتعة آية وما نسخها بآية أخرى ، وأمرنا رسول الله « ص » بالمتعة وما نهانا عنها ، ثم قال رجل برأيه ما شاء « قال الرازي» يريد عمر اهـ .

وأخرج البخاري عن عمران بن حصين قال : نزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله (ص) ولم ينزل قرآن يحرمها ولم ينه عنها حتى مات (ص) قال رجل برأيه ما شاء اهـ .

وأخرج أحمد [٣] في مسنده من طريق عمران القصير عن أبي رجاء عن

---

(٢) يعني ليس لنا شيء من المال ، ولفظه في صحيح مسلم « وليس لنا نساء » فيكون الظاهر من رواية البخاري أن المرخص به إنما هو كون الثوب أجرة المتعة بدلا عن النقود ، وتكون المتعة مشروعة قبل ذلك ، والظاهر من رواية مسلم أن المرخص به نفس المتعة ، ويمكن دعوى ظهور الروايتين بهذا المعنى .

(٣) في صفحة ٤٣٦ من الجزء ٤ ــ وأخرج أيضا في صفحة ٤٣٨ من الجزء ٤ من طريق حميد عن الحسن عن عمران مثله .

عمران بن حصين قال : نزلت آية المتعة في كتاب الله تبارك وتعالى ، وعملنا بها مع رسول الله (ص) فلم تنزل آية تنسخها ولم ينه عنها النبي حتى مات (ص) اهـ

وأمر المأمون أيام خلافته فنودي بتحليل المتعة ، فدخل عليه محمد بن منصور وأبو العيناء فوجداه يستاك ويقول [٤] وهو متغيظ « متعتان كانتا على عهد رسول الله (ص) وعلى عهد أبي بكر وأنا أنهى عنهما ومن أنت ياجعل حتى تنهى عما فعله رسول الله (ص) وأبو بكر . فأراد محمد بن منصور أن يكلمه فأومأ اليه أبو العيناء وقال : رجل يقول في عمر بن الخطاب ما يقول نكلمه نحن يكلماه ، ودخل عليه يحيى بن أكثم فخوفه من الفتنة وذكر له أن الناس يرونه قد أحـدث في الاسلام بسبب هذا النداء حدثاً عظيما ، لا ترتضيه الخاصة ولا تصبر عليه العامة ، إذ لا فرق عندهم بين النداء بأباحة المتعة والنداء بأباحة الزنى ، ولم يزل به حتى صرف عزيمته احتياطاً على ملكه واشفاقا على نفسه .

خاتمـــة

قال العسكري « فيما نقله السيوطي عنه في ترجمة عمر من كتابه تاريخ الخلفاء » هو أول من سمي أمير المؤمنين ، وأول من كتب التاريخ من الهجرة ، وأول من اتخذ بيت المال ، وأول من سن قيام شهر رمضان « بالتراويح » ، وأول من عس بالليل ، وأول من عاقب على الهجاء ، وأول من ضرب في الخمر ثمانين ، وأول من حرم المتعة الخ .

والذين صرحوا بهذا من أعلام السلف والخلف لا يحيط بهم هذا الأملاء وفي هذا القدر كفاية إذ تبين به أن تحريم المتعتين إنما كان عن اجتهاد محض

(٤) فيما نقله ابن خلكان في ترجمة يحيى بن أكثم من وفيات الاعيان ، لكنه لم ينقل حديث يحيى بن أكثم مع المأمون على وجهه والصحيح ما نقلناه .

وتأول صرف ، وقد قوبل بالاذعان ولم يندد به من الجمهور انسان ، فثبت ما أردناه في هذه العجالة وتم ما أفردنا له هذه الرسالة من معذرة المجتهدين ونجاة المتأولين من المسلمين والحمد لله رب العالمين .

ولنرجع الى ما كنا فيه من موارد تأولهم فنقول عطفا على ما سبق .

ومنها تأولهم في أذان الصبح حيث تصرفوا فيه فنظموا في سلك فصوله فصلا لم يكن ايام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ألا وهو نداء مؤذنهم « الصلاة خير من النوم » بل لم يكن أيام أبي بكر وانما أمر به الخليفة الثاني فيما دلت عليه الاحاديث المتواترة من طريق العترة الطاهرة ، وحسبك من غيرها ما أخرجه الامام مالك في باب ما جاء في النداء للصلاة من موطأه من أنه بلغه ان المؤذن جاء الى عمر بن الخطاب يؤذنه لصلاة الصبح فوجده نائماً فقال: الصلاة خير من النوم ، فأمره عمر ان يجعلهافي نداء الصبح انتهى بلفظه. وقال العلامة الزرقاني عند بلوغه الى هـذا الحديث من شرح الموطأ ما هذا لفظه : هذا البلاغ أخرجه الدارقطني في السنن من طريق وكيع في مصنفه عن العمري عن نافع عن ابن عمر عن عمر . (قال) وأخرج عن سفيان عن محمد ابن عجلان عن نافـع ابن عمر عن عمر انـه قال لمؤذنه : اذا بلغت حي على الفلاح في الفجر فقل « الصلاة خير من النوم ، الصلاة خير من النوم» اهـ.

قلت : وأخرجه ابن أبي شيبة من حديث هشام بن عروة ، ورواه جماعة آخرون يطول المقام بذكرهم .

وأنت تعلم أن لاعين ولا أثر لهذه الكلمة فيما هو مأثور عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من كيفية الاذان ، فراجع إن شئت كتاب الاذان في الجزء الاول من صحيح البخاري ، وباب صفة الاذان وهو في أول كتاب

الصلاة من صحيح مسلم ، تعلم حقيقة ما نقول .

وأيضا ذكروا في أصل مشروعية الاذان [١] قضية تمنعها الامامية حاصلها أن عبد الله بن زيد بن ثعلبة الانصاري رأى ليلة فيما يراه النائم شخصا علمه الاذان والاقامة ، فلما انتبه قبل الفجر وقص الرؤيا على النبي صلى الله عليه وآله وسلم أمره ان يلقن بلالا ما حفظه في تلك الرؤيا ، وأمر بلالا أن ينادي به أول الفجر ، ففعلا ذلك وشرع الاذان بهذا الطيف فيما زعموا . ونحن نظرنا فيما نقلوه من تلقين عبد الله لبلال فلم نجد فيه مع كونه أذاناً للفجر « الصلاة خير من النوم » والادلة على كون هذه الكلمة ليست من الله تعالى ولا من رسوله (ص) كثيرة ، وما ذكرناه كاف لاثبات تأولهم في الاذان واف بمعذرة المتأولين في كل زمان .

ومنها تأولهم في اسقاط « حيَّ على خير العمل » من الاذان والاقامة ، وذلك أنهم كانوا يرغبون في إعلام العامة بأن خير العمل إنما هو الجهاد في سبيل الله ليشتاقوا اليه وتعكف هممهم عليه ، والنداء على الصلاة بخير العمل في كل يوم خمس مرات [٢] ينافي ذلك .

بل ربما رأوا أن في بقاء هذه الكلمة في الاذان والاقامة تثبيطا للعامة عن الجهاد ، اذ لو عرفوا أن الصلاة خير العمل مع ما فيها من الدعة والسلامة لاقتصروا في ابتغاء الثواب عليها ، وأعرضوا عن خطر الجهاد المفضول بالنسبة

---

(١) ذكر هذه القضية مالك في موطأه على سبيل الاجمال ، وفصلها كل من ابن عبد البر والزرقاني في شرحيهما ، وأوردها الحلبي في باب بدء الاذان ومشروعيته من الجزء الثاني من سيرته ، وكل من ذكر عبد الله بن زيد من أهل التراجم أشار الى هذه القضية وربما سموه صاحب الاذان ، وأصحابنا ينكرونها ويعدونها من المحال .

(٢) بل كل مسلم ملتزم بالسنة يقولها كل يوم عشر مرات .

اليها ، وكانت همم ولي الامر يومئذ « عمر بن الخطاب (رض) » مصروفة الى الاستيلاء على ممالك الارض ، وعزائمه مقصورة على امتلاكها في الطول والعرض .

وفتح الممالك لا يكون إلا بتشويق الجند الى التورط في سبيله بالمهالك، بحيث يشربون في قلوبهم الجهاد حتى يعتقدوا أنه خير عمل يرجونه يوم المعاد.

ولذا ترجح في نظره اسقاط هذه الكلمة تقديما لتلك المصلحة على التعبد بما جاء به الشرع الاقدس ، فقال وهو على المنبر « كما نص عليه القوشجي أواخر مباحث الامامة من شرح التجريد وهو من أئمة المتكلمين على مذهب الاشاعرة » : ثلاث كُنَّ على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أنهى عنهن وأحرمهن وأعاقب عليهن : متعة النساء ، ومتعة الحج ، وحي على خير العمل (٣) .

وتبعه في أسقاطها عامة من تأخر عنه من المسلمين ، حاشا أهل البيت ومن يرى رأيهم ، فان حي على خير العمل من شعارهم ، كما هو بديهي من مذهبهم حتى أن شهيد فخ الحسين بن علي بن الحسن بن الحسن بن أمير المؤمنين عليهم السلام لما ظهر بالمدينة أيام الهادي (٤) من ملوك العباسيين ، أمر المؤذن أن ينادي بها ففعل ، نصَّ على ذلك أبو الفرج الاصفهاني حيث ذكر صاحب فخ ومقتله في كتابه مقاتل الطالبيين . وذكر العلامة الحلبي في باب بدء الاذان ومشروعيته في صفحة ١١٠ من الجزء الثاني من سيرته أن ابن عمر (رض) والامام زين العابدين علي بن الحسين عليهما السلام كانا يقولان في الاذان بعد حي على الفلاح حي على خير العمل اهـ .

---

(٣) واعتذر بعد أن أرسله عنه إرسال المسلمات بأنه قد اجتهد في ذلك .

(٤) مضل الناس قد سموه هاد كما قد سمي الاعمى بصيرا

قلت : وهذا متواتر عن أئمة أهل البيت ، فراجع حديثهم في كتاب وسائل الشيعة الى أحكام الشريعة لتكون على بصيرة من مذهبهم .

ونحن الآن في أن السلف تأولوا ، فأسقطوا فصلا من الاذان والاقامة فلم يقدح ذلك عند الجمهور في تبوئهم منصة الخلافة وأريكة الامامة ، فكيف لايكون المتأول بعدهم معذورا ، أم كيف لا يكون مثابا مأجورا ، فأحكموا بالعدل أيها المنصفون .

ومنها صلاة التراويح (٥) إذ لم تكن أيام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا في ولاية أبي بكر ، وإنما سنها الخليفة الثاني سنة ١٤ للهجرة بالاجماع ، نصّ العسكري على ذلك في أوائله ، ونقله السيوطي في الفصل الذي عقده لخلافة عمر من كتابه تاريخ الخلفاء (٦) .

وقال ابن عبد البر في ترجمة عمر من الاستيعاب : وهو الذي نوّر شهر الصوم بصلاة الاشفاع فيه .

وقال العلامة أبو الوليد محمد بن الشحنة ، حيث ذكر وفاة عمر في حوادث سنة ٢٣ من تأريخه « روضة المناظر » (٧) هو أول من نهى عن بيع امهات الاولاد ، وجمع الناس على أربع تكبيرات في صلاة الجنائز ، وأول من جمع الناس على امام يصلي بهم التراويح الخ .

ولما ذكر السيوطي في كتابه « تاريخ الخلفاء » أوليّات عمر نقلا عن

---

(٥) هي نافلة رمضان جماعة ، وإنما سميت تراويح للاستراحة فيها بعد كل أربع ركعات ، ونحن نصلي نافلة رمضان فرادي كما كانت على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(٦) في صفحة ٥١ .

(٧) عرفت سابقا أنه مطبوع في هامش ابن الاثير وما نقلناه عنه هنا موجود في صفحة ١٢٢ من جزء ١١ .

العسكري قال : هو أول من سمي أمير المؤمنين ، الى أن قال : وأول من سن قيام شهر رمضان « بالتراويح » ، وأول من حرم المتعة ، وأول من جمع الناس في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات الخ .

وقال محمد بن سعد « حيث ترجم عمر في لجزء الثالث من الطبقات » وهو أول من سن قيام شهر رمضان « بالتراويح » وجمع الناس على ذلك وكتب به الى البلدان وذلك في شهر رمضان سنة أربع عشرة ، وجعل للناس بالمدينة قارئين قارئاً يصلي «التراويح» بالرجال وقارئا يصلي بالنساء .. الخ .

وأخرج البخاري « في أواخر الجزء الاول من صحيحه في كتاب صلاة التراويح » أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه . قال : فتوفي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والامر على ذلك ، ثم كان الامر على ذلك في خلافة أبي بكر رضى الله عنه وصدرا من خلافة عمر ا هـ.

وأخرج مسلم « في باب الترغيب في قيام رمضان من الجزء الاول من صحيحه » أن رسول الله (ص) كان يرغّب في قيام رمضان من غير ان يأمرهم فيه بعزيمة ، فيقول : من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه، قال : فتوفي (ص) والامر على ذلك ، ثم كان الامر على ذلك في خلافة أبي بكر وصدرا من خلافة عمر على ذلك ا هـ.

وأخرج البخاري في كتاب صلاة التراويح من صحيحه عن عبد الرحمن بن عبدٍ القاريّ (٨) قال : خرجت مع عمر ليلة في رمضان الى المسجد ، فاذا

(٨) « عبد القاري » بتنوين عبد وتشديد ياء القاري نسبة الى قاره ، وهو ابن ديش بن محلم بن غالب المدني . كان عبد الرحمن هذا عامل عمر على بيت المال وهو حليف بني زهرة روى عن عمر ، وابي طلحة ، وأبي أيوب ،

الناس أوزاع متفرقون . . . الى أن قال : فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد كان أمثل . ثم عزم فجمعهم على أبي بن كعب . « قال » ثم خرجت معه ليلة أخرى والناس يصلون بصلاة قارئهم ، قال عمر (رض) نعمت البدعة هذه ــ الحديث .

وقال العلامة القسطلاني « في أول الصفحة الرابعة من الجزء الخامس من ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري عند بلوغه الى قول عمر في هذا الحديث « نعمت البدعة هذه » ما هذا نصه : سماها بدعة لان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لم يسن لهم الاجتماع لها ، ولا كانت في زمن الصديق ولا أول الليل ، ولا كل ليلة ، ولا هذا العدد الخ .

وفي تحفة الباري مثله فراجع . وهذا أمر لا يناقش فيه أحد من المسلمين وحسبك به دليلا على معذرة المتأولين .

ومنها تأولهم آية الزكاة ، إذ أسقطوا منها سهم المؤلفة قلوبهم مع نص الكتاب والسنة على ثبوته ، وكونه معلوما بحكم الضرورة من دين الاسلام ، وقد أجمعت كلمة المسلمين واتفقت جميع طوائفهم على ان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان يعطيهم منها حتى لحق بربه عز وجل ، وأنه لم يعهد الى أحد من بعده بأسقاط سهمهم ، وقد ذكر (٩) صاحب كتاب الجوهرة

وأبي هريرة ، وروى عنه ابنه ، محمد ، والزهري ، ويحيى بن جعدة بن هبيرة مات سنة ثمانين ، وله ثمان وسبعون سنة .

(٩) وذكر المؤرخون نظير هذه الحكاية أيضا ، إذ قالوا جاء عيينة بن حصين والاقرع بن حابس الى أبي بكر ، فقالا له : إن عندنا أرضا سبخة ليس فيها كلأ ولا منفعة ، فان رأيت أن تقطعناها لعل الله أن ينفع بها بعد اليوم . فقال أبو بكر لمن حوله : ما تقولون ؟ قالوا : لا بأس ، فكتب لهما بها كتابا فانطلقا الى عمر ليشهد لهما فيه ، فأخذه منهما ثم تفل فيه فمحاه ، فتذمرا

النيِّرة على مختصر القدوري [١٠] في الفقه الحنفي في صفحة ١٦٤ من جزئه الاول : ان المؤلفة قلوبهم جاءوا بعد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى أبي بكر رضي الله عنه ليكتب لهم بعادتهم ، فكتب لهم بذلك فذهبوا بالكتاب الى عمر (رض) ليأخذوا خطه على الصحيفة ، فمزقها وقال : لا حاجة لنا بكم فقد أعز الله الاسلام وأغنى عنكم ، فان أسلمتم وإلا فالسيف بيننا وبينكم فرجعوا الى أبي بكر فقالوا له : أنت الخليفة أم هو ؟ فقال : بل هو إنشاء الله وأمضى ما فعله عمر واستقر الامر من يومها عند الجمهور على اسقاط هذا السهم ، بحيث لا تبرأ الذمة عندهم بأعطاء المؤلفة قلوبهم من الزكاة .

ومنها تأولهم آية الخمس ، وهي قوله تعالى في سورة الانفال : «واعلموا انما غنمتم [١١] من شيء فان لله خمسه وللرسول ولذي القربى واليتامى

وقالا له مقالة سيئة ، ثم ذهبا الى أبي بكر وهما يتذمران فقالا : والله ما ندري أأنت الخليفة أم عمر ؟ فقال : بل هو ، وجاء عمر حتى وقف على ابي بكر وهو مغضب فقال : اخبرني عن هذه الارض التي اقطعتها هذين أهي لك خاصة أم بين المسلمين ؟ فقال : بل بين المسلمين . فقال : ما حملك على ان تخص بها هذين ؟ قال : استشرت الذين حولي . فقال : اوكل المسلمين وسعتهم مشورة ورضا ؟ فقال أبو بكر (رض) : فقد كنت قلت لك انك أقوى على هذا الأمر مني لكنك غلبتني .

نقل هذه القضية ابن أبي الحديد في الجزء الثاني عشر من شرح النهج في صفحة ١٠٨ من المجلد الثالث ، والعسقلاني في ترجمة عيينة من أصابته وغيرهما . وليته كان يوم السقيفة وسع كل المسلمين مشورة ، ويا حبذا لو تأني حتى يفرغ بنو هاشم من أمر النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(١٠) هو من أشهر الكتب الحنفية يتبركون به ، ولمصنفه شأن عظيم ، وما نقلناه هنا عنه مصرح به في كلمات المحدثين والفقهاء كما لا يخفى .

(١١) الغنيمة لغة هي الفوز بالشيء ، وذلك أعم من غنائم دار الحرب ، وبهذا تعلم دلالة الآية على مذهبنا في الخمس .

والمساكين وابن السبيل إن كنتم آمنتم بالله [١٢] وما أنزلنا على عبدنا يوم الفرقان يوم التقي الجمعان والله على كل شيء قدير » حيث صرفوا الخمس الى خلاف منطوقها .

فذهب الامام مالك « كما هو معلوم من مذهبه » الى أن الخمس بأسره مفوض الى السلطان يصرفه كيف شاء وأنه لاحق لاحد بالمطالبة فيه ، وذهب الامام أبو حنيفة « كما هو بديهي من مذهبه » الى أنه يقسم ثلاثة أسهم : فيعطى لمطلق أيتام المسلمين سهم ، ولمطلق مساكينهم سهم ، ولمطلق أبناء السبيل منهم سهم ، ولا فرق عنده في ذلك بين ذي القربى منهم وغيره .

وأنت ترى نص الكتاب قد فرض لذي القربى في الخمس حقا قصره عليهم ، وتعلم أن السنة المطهرة قد جعلت لهم فيه سهما لن تبرأ الذمة إلا بدفعه اليهم ، وقد أجمع كافة أهل القبلة من أهل كل مذهب منهم ونحلة على أن رسول الله صلى الله عليه وآله كان يختص بسهم من الخمس ويخص منه أقاربه بسهم آخر ، ولم يعهد بتغيير ذلك الى أحد حتى لحق بربه عز وجل ، فلما ولي أبو بكر (رض) تأول الادلة فأسقط سهم النبي صلى الله عليه وآله وسهم ذوي القربى ، ومنع « كما في تفسير هذه الآية من الكشاف وغيره » بني هاشم من الخمس !.

وفي أواخر باب غزوة خيبر من صحيح البخاري في صفحة ٣٦ من جزئه الثالث أن فاطمة ارسلت الى أبي بكر تسأله ميراثها من رسول الله (ص) مما أفاء الله عليه بالمدينة وفدك وما بقي من خمس خيبر ، فأبى أبو بكر أن يدفع

---

(١٢) معنى هذا الشرط أن الخمس مصروف الى هذه الوجوه الستة فأقطعوا عنه اطماعكم وأدوه لاربابه ان كنتم آمنتم بالله ، وفيه من البعث على أداء الخمس والإنذار لتاركيه مالا تسع ببيانه عبارة .

اليها شيئاً ، فوجدت عليه فهجرته فلم تكلمه حتى توفيت ، وعاشت بعد النبي (ص) ستة أشهر ، فلما توفيت دفنها زوجها علي ليلا ، ولم يؤذن بها أبا بكر وصلى عليها ــ الحديث . وهو موجود أيضا في باب قول النبي « لا نورث ما تركناه فهو صدقة » من صحيح مسلم في صفحة ٧٢ من جزئه الثاني ، وفي مواضيع أخر من الصحيحين كما لا يخفى .

وأخرج مسلم في أواخر كتاب الجهاد والسير من الجزء الثاني من صحيحه عن قيس بن سعد عن يزيد بن هرمز قال : كتب نجدة بن عامر (الحروري الخارجي) الى ابن عباس قال (يزيد بن هرمز) فشهدت ابن عباس حين قرأ كتابه وحين كتب جوابه . قال : فقال ابن عباس : والله لولا أن أرده عن تنن يقع فيه ما كتبت اليه ولا نعمة عين . قال : فكتب اليه إنك سألت عن سهم ذي القربى الذين ذكر الله من هم ؟ وإنا كنا نرى أن قرابة رسول الله (ص) هم نحن ، فأبى ذلك علينا قومنا ــ الحديث [١٣] .

وأخرجه أيضا الامام أحمد من حديث ابن عباس في أواخر صفحة ٢٩٤ من الجزء الاول من مسنده ، ورواه المحدثون بطرق كلها صحيحة ، وهذا هو مذهب أهل البيت والمتواتر عن أئمتهم عليهم السلام .

ومنها اقتصارهم في صلاة الجنائز على أربع تكبيرات ، كما هو معلوم من فقه أهل المذاهب الاربعة وسيرتهم ، وأول من جمع الناس على ذلك عمر ابن الخطاب (رض) كما نص عليه جماعة كثيرون ، منهم السيوطي حيث ذكر أوليات عمر في تاريخ الخلفاء ، وابن الشحنة حيث ذكر وفاة عمر في حوادث

(١٣) فراجعه في أول صفحة ١٠٥ من ج ٢ من صحيح مسلم المطبوع سنة ١٣٢٧ على نفقة الحلبي واخويه .

سنة ٢٣ من تأريخه روضة المناظر (١٤) وغيرهما من أهل الاخبار .

ويدلك على تأولهم في هذه المسألة ما أخرجه الامام احمد بن حنبل من حديث زيد بن أرقم في صفحة ٣٧٠ من الجزء الرابع من مسنده عن عبد الاعلى قال : صليت خلف زيد بن أرقم على جنازة فكبر خمسا ، فقام اليه أبو عيسى عبد الرحمن بن ابي ليلى فأخذ بيده فقال : نسيت ؟ قال لا ولكن صليت خلف أبي القاسم خليلي صلى الله عليه وآله وسلم فكبر خمسا فلا أتركها أبدا اهـ .

ومنها تأولهم في البكاء على الميت حيث حرمه الخليفة الثاني ، حتى أخرج الطبري عند ذكر وفاة ابي بكر في حوادث سنة ١٣ من الجزء الرابع من تأريخه بالاسناد الى سعيد بن المسيب قال : لما توفي أبو بكر اقامت عليه عائشة النوح ، فأقبل عمر بن الخطاب حتى قام ببابها فنهاهن عن البكاء على أبي بكر فأبين ان ينتهين فقال عمر لهشام بن الوليد : أدخل فأخرج إلي ابنة أبي قحافة . فقالت عائشة لهشام حين سمعت ذلك من عمر : اني أحرج عليك بيتي . فقال عمر لهشام : ادخل فقد أذنت لك . فدخل هشام فأخرج أم فروة اخت ابي بكر الى عمر فعلاها بالدرة فضربها ضربات فتفرق النوح حين سمعوا ذلك اهـ .

هذا مع ما أخرجه الامام احمد من حديث ابن عباس في صفحة ٣٣٥ من الجزء الاول من مسنده من جملة حديث ذكر فيه موت رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبكاء النساء عليها قال : فجعل عمر يضربهن بسوطه فقال النبي دعهن يبكين ، وقعد على شفير القبر وفاطمة الى جنبه تبكي . قال: فجعل النبي يمسح عين فاطمة بثوبه رحمة لها اهـ .

وأخرج أحمد أيضا من حديث ابي هريرة في صفحة ٣٣٣ من الجزء

(١٤) وهو مطبوع في هامش ابن الاثير وما نقلناه عنه هنا موجود في صفحة ١٢٢ من جزء ١١ .

الثاني من مسنده حديثاً جاء فيه انه : مر على رسول الله جنازة معها بواكي فنهرهن عمر فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : دعهن فان النفس مصابة والعين دامعة .

وأخرج الامام أحمد من حديث ابن عمر في صفحة ٤٠ من مسنده قال : رجع رسول الله من أحد فجعلت نساء الانصار يبكين على من قتل من أزواجهن فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : ولكن حمزة لا بواكي له . قال : ثم نام فانتبه وهن يبكين حمزة قال : فهن اليوم اذا بكين يندبن حمزة اهـ وهذا الحديث مستفيض بين المسلمين ، وقد ذكره ابن جرير ، وابن الاثير ، وصاحب العقد الفريد ، وجميع أهل السير والاخبار .

وفي ترجمة حمزة من الاستيعاب نقلا عن الواقدي ، قال : لم تبك امرأة من الانصار على ميت بعد قول رسول الله « لكن حمزة لا بواكي له » الى اليوم إلا بدأت بالبكاء على حمزة . وذكر ابن عبد البر في ترجمة جعفر من استيعابه قال : لما جاء النبي (ص) نعي جعفر أتى امرأته اسماء بنت عميس فعزاها . قال ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول واعماه ، فقال رسول الله (ص) على مثل جعفر فلتبك البواكي .

وأخرج البخاري في الصفحة الثالثة من أبواب الجنائز من صحيحه انه صلى الله عليه وآله وسلم بكى على زيد وجعفر ، وذكر ابن عبد البر في ترجمة زيد من استيعابه أنه صلى الله عليه وآله وسلم بكى على جعفر وزيد ، وقال : أخواي ومؤنساي ومحدثاي . وبكى على ولده ابراهيم فقال له عبد الرحمن ابن عوف (كما في الجزء الاول من صحيح البخاري) وأنت يا رسول الله ؟ قال : يابن عوف انها رحمة ، ثم اتبعها ـ يعني عبرته ـ بأخرى فقال : إن

العين تدمع والقلب يحزن ، ولا نقول إلا ما يرضى ربنا ، وإنا بفراقك يا ابراهيم لمحزونون .

وقد علم الناس كافة بكاءه على عمه حمزة حتى قال ابن عبد البر في ترجمته من الاستيعاب : لما رأى النبي حمزة قتيلا بكى ، فلما رأى ما مثل به شهق .

وذكر الواقدي (كما في أواخر صفحة ٣٨٧ من المجلد الثالث من شرح النهج أن النبي (ص) كان يومئذ اذا بكت صفية يبكي واذا نشجت ينشج . قال : وجعلت فاطمة تبكي فلما بكت بكى رسول الله .

وبكى صلى الله عليه وآله على صبي مات لاحدى بناته ، فقال له سعد : (كما في صحيحي البخاري ومسلم) ما هذا يا رسول الله ؟ قال : هذه رحمة جعلها الله في قلوب عباده ، وانما يرحم الله من عباده الرحماء اهـ الى ما لا يحصى من قبيل هذه الاحاديث المشهورة ، مما لا يمكن استقصاؤه وفي هذا المقدار كفاية .

وأما ما جاء في الصحيحين من أن الميت يعذب ببكاء أهله عليه ، وفي رواية ببعض بكاء أهله عليه ، وفي رواية ببكاء الحي ، وفي رواية يعذب في قبره بما نيح عليه ، وفي رواية من يُبك عليه يعذب ، فانه خطأ من الراوي بحكم العقل والنقل .

قال الفاضل النووي (عند ذكر هذه الروايات في باب الميت يعذب ببكاء أهله عليه من شرح صحيح مسلم) : هذه الروايات كلها من رواية عمر ابن الخطاب وابنه عبد الله . قال : وانكرت عائشة عليهما ، ونسبتهما الى النسيان والاشتباه واحتجت بقوله تعالى : «ولا تزر وازرة وزر أخرى» .

قلت : وأنكر هذه الرويات أيضا ابن عباس واحتج على خطأ راويها ، والتفصيل في الصحيحين وشروحهما ، وما زالت عائشة وعمر في هذه المسألة على طرفي نقيض حتى ناحت على أبيها يوم مات ، فكان بينها وبين عمر ما قد سمعت ، والتفصيل في رسالتنا « الاساليب البديعة في رجحان مآتم الشيعة » وفي مقدمة مجالسنا الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة (١٥) .

وللسلف تأولات غير الذي ذكرناه كتأخيرهم مقام ابراهيم الى موضعه اليوم (١٦) وكان ملصقا بالبيت ، وتوسعتهم المسجد الحرام سنة ١٧ للهجرة بأضافة دور جماعة من حوله اليه ، وكانوا أبوا بيعها فهدمها الخليفة الثاني عليهم (١٧) ووضع أثمانها في بيت المال حتى أخذوها ، وكحكمه على اليمانيين بداية أبي خراش الهذلي الشاعر الصحابي المشهور (١٨) إذ باتوا ضيوفا عنده ، فذهب يستقي لهم فمات من حية نهشته في الطريق ، وكنفيه نصر بن الحجاج ابن علابط السلمي الى البصرة (١٩) إذ تغنت به امرأة في دارها وكان في غاية

---

(١٥) المطبوعة سنة ١٣٣٢ .

(١٦) أخره الخليفة الثاني كما هو مستفيض عنه فراجع صفحة ١١٣ من المجلد الثالث من شرح النهج الحديدي طبع مصر ، ومادة « الديك » من حياة الحيوان للفاضل الدميري . وقال ابن سعد في ترجمة عمر من طبقاته ما هذا لفظه : وهو الذي أخر مقام ابراهيم الى موضعه اليوم وكان ملصقا بالبيت اهـ ونقل السيوطي ذلك في أحوال عمر من تاريخ الخلفاء .

(١٧) نص على ذلك جميع أرباب السير كابن الاثير في حوادث تلك السنة من كامله وغيره .

(١٨) ذكر هذه القضية ابن عبد البر في ترجمة أبي خراش من كتاب الكنى من الاستيعاب ، ونقلها عنه الدميري في مادة « الحية » من كتاب حياة الحيوان

(١٩) هذه القضية مستفيضة فراجع صفحة ٩٩ من المجلد الثالث من شرح ابن أبي الحديد طبع مصر تجد تفصيلها ، وقد ذكرها ابن خلكان في ترجمة نصر بن الحجاج من وفياته تفصيلا .

من الحسن والجمال [٢٠] وكقضاياه المختلفة في ميراث الجد مع الاخوة [٢١] حتى رجع الى رأي زيد بن ثابت الانصاري .

وكتأوله آية التجسس ، إذ رأى فيه صلاح المملكة ونفع الرعية ، فكان يتجسس نهارا ويعس ليلا ، حتى ذكر الغزالي في احياء العلوم [٢٢] انه سمع وهو يعس بالمدينة صوت رجل يتغنى في بيته فتسور عليه ، فوجد عنده امرأة وعنده خمر فقال : يا عدو الله اظننت أن الله يسترك وأنت على معصيته ؟ فقال : إن كنتُ عصيتُ الله في واحدة فقد عصيتَه أنت في ثلاث . قال الله : « ولا تجسسوا » وقد تجسست ، وقال : « وليس البر بأن تأتوا البيوت من ظهورها » وقد تسورت عليَّ ، وقال : « لاتدخلوا بيوتا غير بيوتكم » الآية ، وقد دخلت بيتي بغير إذن ولا سلام . فقال عمر (رض) : هل عندك من خير إن عفوتُ عنك ؟ قال : نعم فتركه وخرج ، الى غير ذلك من مصاديق اجتهاداته وموارد تأولاته التي عدل بها عن ظواهر الادلة حرصا على توطيد دعائم السياسة وابتغاءً لتنظيم شؤونها ، وتقديما لمصلحة المملكة ، وإيثارا لتقوية الشوكة من وضعه الخراج على السواد ، وكيفية ترتيبه للجزية وعهده بالشورى على الوجه المعلوم ، وقوله [٢٣] يومئذ : « لو كان سالم (ابن معقل مولى

---

(٢٠) وكنفيه ضبيع التميمي الى البصرة أيضا بعد صربه الضرب المبرح إذ سأله عن تفسير آية من القرآن في قضية ذكرها ابن أبي الحديد في صفحة ١٢٢ من المجلد الثالث من شرح نهج البلاغة .

(٢١) روى ذلك طارق بن شهاب الزهري ، والتفصيل في مادة « الحية » من حياة الحيوان للدميري .

(٢٢) في صفحة ١٧٣ من الجزء الثاني المطبوع في هامشه كتاب عواف المعارف

(٢٣) هذا القول متواتر عنه ، وهو موجود في كامل ابن الاثير وغيره من كتب السير والاخبار حتى صرح ابن عبد البر ، حيث أورد هذه المقالة في

ابي حذيفة) حيا استخلفته » مع انعقاد الاجماع (٢٤) نصا وفتوى على عدم جواز عقد الامامة لمثله ، ضرورة انه من أهل فارس ، إما من اصطخر أو من كرمد ، استرقته زوجة أبي حذيفة بن عتبة بن ربيعة بن عبد شمس وكانت من الانصار .

تنبيه

أفادتنا سيرة بعض الصحابة أنهم إنما كانوا يتعبدون بالنصوص ويجمدون عليها اذا كانت متمحضة للدين مختصة بالشؤون الاخروية ، كنصه صلى الله عليه وآله وسلم على صوم شهر رمضان دون غيره ، واستقبال القبلة في الصلاة لا غيرها ، ونحو ذلك من أوامره المتمحضة للنفع الاخروي ، أما ما كان منها متعلقا بالسياسة كالولايات والتأميرات وتدبير قواعد الدولة وتقرير شؤون المملكة وتسريب الجيش ، فانهم لم يكونوا يرون التعبد به والالتزام في جميع الاحوال بالعمل على مقتضاه ، بل جعلوا لأفكارهم فيه مسرحا للبحث ومجالا للنظر والاجتهاد ، فكانوا اذا رأوا في خلافه رفعا لكيانهم أو نفعا في سلطانهم عدلوا عنه الى ما يرفعون به كيانهم أو ينتفعون به في سلطانهم ، ولذلك عدل هؤلاء في الخلافة عن وليها المنصوص عليه من نبيها فجعلوها

ترجمة سالم من استيعابه بأنها عن رأي رآه عمر واجتهاد أدى اليه نظره ، وأخرج احمد من حديث عمر في صفحة ٢٠ من مسنده أنه قال : لو أدركني أحد رجلين لو ثقت به سالم مولى أبي حذيفة وأبو عبيدة .

(٢٤) صرح بانعقاد الاجماع على ذلك جماعة كثيرون ، منهم النووي في أول كتاب الامارة من شرحه لصحيح مسلم ، ولو راجعت ذلك الكتاب في صحيح مسلم لازددت بصيرة في أئمتك الاثنى عشر عليهم السلام .

للخلفاء الثلاثة (رضي الله عنهم) واحدا بعد واحد ، مع عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم بها الى أخيه ووليه ، ووارثه ووصيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام .

لم يكونوا غائبين عن عهد النبي بها اليه ، ولا جاهلين بنصوصه [١] المتواترة عليه ، وكانت تترى من مبدأ أمره بأبي هو وأمي الى آخر عمره ، كما أوضحناه في مراجعاتنا الازهرية وفي سبيل المؤمنين ، وانما غلب على ظنهم أن العرب لاتخضع لعلي ولا ترتضيه مالكا لأزمة الحكم عليها ، حيث أنه وترها في سبيل الله وسفك دماءها بسيفه في إعلاء كلمة الله ، وكشف القناع منابذا لها في نصرة الحق حتى ظهر أمر الله على رغم كل عات كفور .

فهم لايطيعونه إلا عنوة ولا يخضعون لامامته إلا بالقوة ، وقد عصبوا به كل دم أراقه الاسلام أيام النبي صلى الله عليه وآله وسلم جريا على عادتهم فى أمثال ذلك ، إذ لم يكن بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في عشيرته أحد يستحق ان تعصب به تلك الدماء عند العرب غيره ، لانه الامثل في عشيرته والافضل في قبيلته ، ولذلك تربصوا به الدوائر وقلبوا له الامور وأضمروا له ولذريته كل حسيكة ووثبوا عليهم كل وثبة ، وكان ما كان مما طار في الاجواء وطبق رزؤه الارض والسماء .

وأيضا فان قريشا خاصة والعرب عامة كانت تنقم من علي شدة وطأته على أعداء الله ونكال وقعته فيمن يتعدى حدود الله أو يهتك حرماته عز وجل ، وكانت ترهب من أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، وتخشى عدله في الرعية

(١) لم نذكر شيئا من هذه النصوص هنا اكتفاء بمراجعاتنا الازهرية ومناظراتنا المصرية ، وقد استقصتها باسانيدها المعتبرة عند أهل السنة ، وسنطبع تلك المناظرات وكل قريب آت إلا أن يشاء الله تعالى .

ومساواته بين الناس في كل قضية ، ولم يكن لها فيه مطمع ولا لأحد عنده هوادة ، فالقوي العزيز عنده ضعيف ذليل حتى يأخذ منه الحق ، والضعيف الذليل عنده قوي عزيز حتى يأخذ له بحقه ، فمتى تخضع الاعراب لمثله (وهم أشد كفرا ونفاقا وأجدر أن لايعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله) ، (ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم) وفيها بطانة لا يألونها خبالا .

على أن قريشا وسائر العرب كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من فضله ، حيث بلغ فى علمه وعمله رتبة عند الله ورسوله تقاصر عنها الا قران وتراجع عنها الأكفاء ، ونال من الله ورسوله بسوابقه وخصائصه منزلة تشرئب اليها أعناق الاماني وشأوا تنقطع دونه هوادي المطامع ، وبذلك دبت عقارب الحسد له في قلوب المنافقين واجتمعت على نقض مجده كلمة الفاسقين والناكثين والقاسطين والمارقين ، فاتخذوا النص ظهريا وكان لديهم نسيا منسيا .

وكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

على أن قريشا وسائر العرب كانوا قد تشوفوا الى تداول الخلافة بين قبائلهم واشرأبت الى ذلك أطماعهم ، فأمضوا نياتهم عليه ووجهوا عزائمهم اليه ، فتصافقوا على تناسي النص وعدم ذكره بالمرة ، وتبايعوا على صرف الخلافة من أول أيامها عن وليها المنصوص عليه من نبيها ، فجعلوها بالاختيار والانتخاب ليكون لكل حي من أحيائهم أمل في الوصول اليها ولو بعد حين ، ولو عملوا بالنص فقدموا عليا بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لما خرجت الخلافة من عترته الطاهرة ، حيث قرنها يوم الغدير وغيره بمحكم الكتاب وجعلها قدوة لأولي الالباب الى يوم الحساب ، وما كانت العرب لتصبر على حصر الخلافة في بيت مخصوص بعد أن طمحت اليها الابصار من

كافة قبائلها وحامت عليها النفوس من جميع أحيائها .

وقد هزلت حتى بدا من هزالها كلاها وحتى استامها كل مفلس

ومن ألمَّ بتاريخ قريش والعرب فى صدر الاسلام يعلم أنهم لم يخضعوا للنبوة الهاشمية إلا بعد أن تهشموا ولم يبق فيهم من رمق ، فكيف يرضون بأجتماع النبوة والخلافة في بني هاشم وقد قال الخليفة الثاني لابن عباس في كلام دار بينهما : إن قريشا كرهت أن تجتمع فيكم النبوة والخلافة فتجحفون على الناس .

والسلف الصالح لم يتسنَّ له أن يقهرهم يومئذ على التعبد بالنص فرقا من أنقلابهم اذا قاومهم وخشية من سوء عواقب الاختلاف في تلك الحال ، وقد ظهر النفاق بموت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقويت بفقده شوكة المنافقين وعتت نفوس الكافرين وتضعضعت أركان الدين وانخلعت قلوب المسلمين ، حيث صاروا بعده كالغنم المطيرة في الليلة الشاتية بين ذئاب كاسرة ووحوش ضارية ، وقد ارتدت طوائف من العرب وهمت بالردة أخرى وعظم قلق السلف الصالح على الاسلام واشتد فرقهم على أمة سيد الانام ، فصبروا على مخالفة النص بقيا على المسلمين واحتياطا على الدين — صبروا وفي أعينهم من ذلك قذى وفي حلوقهم منه شجى كما قالوا عليهم السلام — وأشفق علي أمير المؤمنين أن يُظهر إرادة القيام بأمر الناس مخافة البائقة وفساد العاجلة والآجلة ، والقلوب على ما وصفنا والمنافقون على ما ذكرنا ، يعضون عليهم الانامل من الغيظ وأهل الردة على ما بينا والانصار قد خالفوا المهاجرين ، وانحازوا عنهم يقولون منا أمير ومنكم أمير و . و . فدعاه النظر للدين الى الكف عن الاظهار والتجافي عن الامور ، وعلم أن طلب الخلافة

والحال هذه يستوجب التغرير في الدين والخطر بالامة ، فأختار الكف ضنا بالدين وإيثارا للآجلة على العاجلة .

غير أنه قعد في بيته (ولم يبايع حتى أخرجوه كرها) احتفاظا بحقه واحتجاجا على من عدل عنه ، ولو أسرع الى البيعة ما تمت له حجة ولا سطع له برهان ، لكنه جمع فيما فعل بين حفظ الدين والاحتفاظ بحقه من إمرة المؤمنين ، فدل ذلك على إصالة رأيه ورجاحة علمه وسعة صدره وشدة زهده وفرط سماحه وقلة حرصه ، ومتى سخت نفس امرىء عن هذا الخطب الجليل والامر الجزيل ينزل من الله تعالى بغاية منازل الدين ، وانما كانت غايته مما فعل أربح الحالين له وأعود المقصودين عليه .

أما الخليفة الاول وأتباعه رضي الله تعالى عنهم أجمعين فقد تأولوا النص عليه بالخلافة للأسباب التي قدمناها ، ولا عجب منه فى ذلك بعد الذي نبهناك اليه من عدم تعبدهم بما كان من نصوصه صلى الله عليه وآله وسلم ، متعلقا بالسياسات والتأميرات وتدمير قواعد الدولة وتقرير شؤون المملكة ، واليك مضافا الى ما تلوناه نبذة من موارد تأولهم تكون نموذجا لرأيهم في تلك النصوص ، وحسبك بها أدلة على معذرة المتأولين ، وهي كثيرة :

فمنها سرية اسامة بن زيد بن حارثة الى غزو الروم ، وهي آخر السرايا على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد اهتم فيها بأبي هو وأمي اهتماما عظيما ، فأمر أصحابه بالتهيؤ لها وحضهم على ذلك ، ثم عبأهم بنفسه الزكية ارهافا لعزائمهم واستنهاضا لهممهم ، فلم يبق أحدا من وجوه المهاجرين والانصار كأبي بكر وعمر (٢) وأبي عبيدة وسعد وأمثالهم إلا وقد عبأه

(٢) أجمع اهل السير والاخبار على ان أبا بكر وعمر كانا في الجيش ،

بالجيش [٣] وكان ذلك لاربع ليال بقين من صفر سنة أحدى عشرة للهجرة [٤] فلما كان من الغد دعا اسامة فقال له : سر الى موضع قتل أبيك فأوطئهم الخيل ، فقد وليتك هذا الجيش فأغز صباحا على أهل أبني [٥] وحرق عليهم ، وأسرع السير لتسبق الاخبار ، فان أظفرك الله عليهم فأقل اللبث فيهم وخذ معك الادلاء وقدم العيون والطلائع معك . فلما كان يوم الثامن والعشرين من صفر بدأ به صلى الله عليه وآله وسلم مرض الموت فحمّ بأبي هو وامي

وأرسلوا ذلك في كتبهم ارسال المسلمات ، وهذا مما لم يختلفوا فيه ، فراجع ما شئت من الكتب المشتملة على هذه السرية كطبقات ابن سعد وتاريخي الطبري وابن الاثير والسيرة الحلبية والسيرة الدحلانية وغيرها لتعلم ذلك ، وقد أورد الحلبي حيث ذكر هذه السرية في الجزء الثالث من سيرته حكاية ظريفة نوردها بعين لفظه . قال : ان الخليفة المهدي لما دخل البصرة رأى اياس ابن معاوية الذي يضرب به المثل في الذكاء وهو صبي وخلفه أربعمائة من العلماء واصحاب الطيالسة فقال المهدي : أف لهذه العثانين — أي اللحى — أما كان فيهم شيخ يتقدمهم غير هذا الحدث ؟ ثم التفت اليه المهدي وقال : كم سنك يا فتى ؟ فقال : سني اطال الله بقاء أمير المؤمنين سن أسامة بن زيد ابن حارثة لما ولاه رسول الله (ص) جيشا فيه أبو بكر وعمر . فقال : تقدم بارك الله فيك . قال الحلبي : وكان سنه سبع عشرة سنة اهـ .

(٣) كان عمر يقول لاسامة : مات رسول الله (ص) وانت علي أمير . نقل ذلك عنه جماعة من الاعلام كالحلبي في سرية اسامة من سيرته الحلبية وغير واحد من المحدثين والمؤرخين .

(٤) هذا بناء على ما صرح به كثير من أعلام السنة كابن سعد في سرية أسامة من طبقاته والحلبي والدحلاني في هذه السرية من سيرتيهما ، وقد اعتمدنا في شؤون هذه السرية على هاتين السيرتين .

(٥) أبنى بضم الهمزة وسكون الباء ثم نون مفتوحة بعدها ألف مقصورة ناحية بالبلقاء من أرض سوريا بين عسقلان والرملة ، وهي قرب مؤتة التي أستشهد عندها زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب ذو الجناحين في الجنة (ع) .

وصدع ، فلما أصبح يوم التاسع والعشرين ووجدهم مثاقلين خرج اليهم فحضهم على السير وعقد صلى الله عليه وآله وسلم اللواء لأسامة بيده الشريفة تحريكا لحميتهم وإرهافا لعزيمتهم ، ثم قال : اغز بسم الله وفي سبيل الله وقاتل من كفر بالله ، فخرج بلوائه معقوداً فدفعه الى بريدة وعسكر بالجرف ثم تثاقلوا هناك فلم يبرحوا — مع ما وعوه ورأوه من النصوص الصريحة في وجوب اسراعهم كقوله صلى الله عليه وآله وسلم «أغز صباحا على أهل أبني » وقوله « واسرع السير لتسبق الاخبار » الى كثير من أمثال هذه الاوامر التي لم يعملوا بها في تلك السرية — وطعن قوم منهم في تأمير اسامة كما طعنوا من قبل في تأمير أبيه ، وقالوا في ذلك فأكثروا مع ما شاهدوه من عهد النبي له بالامارة وقوله صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ« فقدوليتك هذا الجيش » ورأوه يعقد له لواء الامارة وهو محموم بيده الشريفة فلم يمنعهم ذلك من الطعن في تأميره حتى غضب صلى الله عليه وآله وسلم من طعنهم غضبا شديدا فخرج بأبي هو وامي معصب الرأس (٦) مدثرا بقطيفته محموما ألما ، وكان ذلك يوم السبت لعشر خلون من ربيع الاول قبل وفاته بأبي هو وأمي بيومين (٧) فصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال فيما أجمع أهل الاخبار

(٦) كل من ذكر هذه السرية من المحدثين وأهل السير والاخبار نقل طعنهم في تأمير أسامة وأنه صلى الله عليه وآله وسلم غضب غضبا شديدا فخرج على الكيفية التي ذكرناها فخطب الخطبة التي أوردناها ، فراجع سرية أسامة من طبقات ابن سعد وسيرتي الحلبي والدحلاني وغيرها من المؤلفات في هذا الموضوع .

(٧) هذا بناء على ما ذكره الحلبي والدحلاني في سيرتيهما ورواه المحدثون من أهل السنة كابن سعد في سرية اسامة من طبقاته ، وهي في آخر القسم الاول من الجزء الثاني من الطبقات .

على نقله واتفق أولوا العلم على صدوره : أيها الناس ، ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأمري اسامة ، ولئن طعنتم فى تأمري اسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله ، وأيم الله ان كان لخليقا بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بها .. وحضهم على المبادرة الى السير فجعلوا يودعونه ويخرجون الى العسكر بالجرف وهو يحضهم على التعجيل ، ثم ثقل (بأبي هو وأمي) في مرضه فجعل يقول جهزوا جيش اسامة أنفذوا جيش اسامة أرسلوا بعث اسامة ــ يكرر ذلك وهم مثاقلون ، فلما كان يوم الاثنين الثاني عشر من ربيع الاول دخل اسامة من معسكره على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأمره بالسير قائلا له أغد على بركة الله تعالى ، فودعه وخرج الى العسكر ، ثم رجع ومعه عمر وأبو عبيدة فأنتهوا اليه بأبي هو وأمي وهو يجود بنفسه فتوفي (روحي وأرواح العالمين له الفداء) في ذلك اليوم (٨) فرجع الجيش باللواء الى المدينة الطيبة ، ثم عزموا على الغاء البعث بالمرة ، وكلموا أبا بكر في ذلك وأصروا عليه غاية الاصرار ، مع ما رأوه بعيونهم من اهتمام النبي صلى الله عليه وآله وسلم في انفاذه وعنايته التامة في تعجيل إرساله ونصوصه المتوالية في الاسراع به على وجه يسبق الاخبار وبذله الوسع في ذلك منذ عبأه بنفسه وعهد الى أسامة فى أمره وعقد لواءه بيده الى أن احتضر بأبي هو وأمي فقال « إغدُ على بركة الله تعالى » كما سمعت ، ولولا الخليفة لاجمعوا يومئذ على رد البعث وحل اللواء لكنه أبى عليهم ذلك ، فلما رأوا منه العزم على ارسال البعث جاءه عمر ابن الخطاب حينئذ يلتمس منه بلسان الانصار أن يعزل اسامة ويولي غيره .

(٨) وهذا أيضا بناء على ما في سيرتي الحلبي والدحلاني ورواية المحدثين من أهل السنة كابن سعد وغيره ، والمأثور عندنا انه توفي (ص) لليلتين بقيتا من صفر .

هذا ولم يطل العهد منهم بغضب النبي وانزعاجه من طعنهم في تأمير أسامة ، ولا بخروجه من بيته بسبب ذلك محموما مألوما معصبا مدثرا يرسف في مشيته ورجله لا تكاد تقله مما كان به من لغوب ، فصعد المنبر وهو يتنفس الصعداء ويعالج البرحاء فقال : أيها الناس ما مقالة بلغتني عن بعضكم في تأميري أسامة ، ولئن طعنتم في تأميري اسامة لقد طعنتم في تأميري أباه من قبله ، وايم الله ان كان لخليقا بالامارة وان ابنه من بعده لخليق بها ، فأكد صلى الله عليه وآله وسلم الحكم بالقسم وان اسمية الجملة ولام التأكيد ليقلعوا عما كانوا عليه فلم يقلعوا ، لكن الخليفة أبى أن يجيبهم الى عزل أسامة ، كما أبى ان يجيبهم الى الغاء البعث ، ووثب فأخذ بلحية عمر [٩] فقال : ثكلتك أمك وعدمتك يابن الخطاب استعمله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وتأمرني أن أنزعه .

ولما سيروا الجيش ـ وما كادوا يفعلون ـ خرج اسامة في ثلاثة آلاف مقاتل فيهم ألف فرس [١٠] وتخلف عنه جماعة ممن عبأهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في جيشه ، وقد قال صلى الله عليه وآله وسلم « جهزوا جيش أسامة لعن الله من تخلف عنه » [١١] .

---

(٩) نقله الحلبي والدحلاني في سيرتيهما وابن جرير الطبري فى أحداث سنة ١١ من تاريخه وغير واحد من أهل الاخبار .

(١٠) فشن الغارة على أهل ابنى فحرق منازلهم وقطع نخلهم وأجال الخيل في عرصاتهم وقتل من قتل منهم واسر من أسر ، وقتل يومئذ قاتل أبيه ولم يقتل والحمد لله رب العالمين من المسلمين أحد ، وكان اسامة يومئذ على فرس أبيه شعارهم يا منصور امت ـ وهو شعار النبي (ص) يوم بدر ـ وأسهم للفارس سهمين وللراجل سهما واحدا وأخذ لنفسه مثل ذلك .

(١١) أرسل هذه الكلمة ارسال المسلمات جماعة من أعلام الاثبات

وأنت تعلم أنهم انما تثاقلوا عن السير أولا وتخلفوا عن الجيش أخيراً ، ليحكموا قواعد سياستهم ، ويقيموا عمدها ترجيحا منهم لذلك على التعبد بالنص ، حيث رأوه أولى بالمحافظة وأحق بالرعاية ، اذ لايفوت البعث بتثاقلهم عن السير ، ولا بتخلف من تخلف منهم عن الجيش . أما الخلافة فانها تنصرف عنهم لامحالة ، اذا أنصرفوا الى الغزوة قبل وفاته صلى الله عليه وآله وسلم وكان بأبي هو وأمي أراد ان تخلو منهم العاصمة ، فيصفو الامر من بعده لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب على سكون وطمأنينة ، فاذا رجعوا وقد أبرم عهد الخلافة وأحكم لعلي عقدها ، كانوا عن المنازعة والخلاف أبعد .

وانما أمر عليهم اسامة وهو ابن سبع عشرة سنة (١٢) ليا لأعنة البعض وردا لجماح أهل الجماح منهم واحتياطا على الامن في المستقبل من نزاع أهل التنافس لو أمَّر أحدهم كما لايخفى ، لكنهم فطنوا الى كل ما دبر (ص) فطعنوا في تأمير اسامة وتثاقلوا عن السير معه ، فلم يبرحوا من الجرف حتى لحق النبي صلى الله عليه وآله وسلم بربه ، فهموا حينئذ بالغاء البعث وحل اللواء تارة وبعزل اسامة أخرى ، ثم تخلف كثير منهم عن الجيش كما سمعت . فهذه خمسة مأمور في هذه السرية لم يتعبدوا فيها بالنصوص الجلية إيثارا لرأيهم في الامور السياسية وترجيحا لاجتهادهم فيها على التعبد بنصوصه

كالامام ابي الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني في المقدمة الرابعة من المقدمات التي ذكرها في أوائل كتابه الملل والنحل ، وأخرجها أبو بكر احمد ابن عبد العزيز الجوهري في كتاب السقيفة بالاسناد المرفوع الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ونقلها عنه جماعة من أهل الاخبار كالعلامة المعتزلي الحنفي في آخر صفحة ٢٠ من المجلد ٢ من شرحه لنهج البلاغة طبع مصر .

(١٢) على الاظهر ، وقيل كان ابن ثمان عشرة سنة ، وقيل ابن تسع عشرة سنة ، وقيل ابن عشرين سنة ، ولا قائل بأن عمره كان أكثر من ذلك .

صلى الله عليه وآله وسلم .

ومنها رزية يوم الخميس ، وهي من الرزايا الفادحة والقضايا الثابتة نقلها أهل السير والاخبار ، وأخرجها المحدثون كافة بالطرق المجمع على صحتها وحسبك منها ما أخرجه البخاري في باب قول المريض « قوموا عني » من كتاب المرضى من صحيحه (١٣) بسنده الى عبيد الله بن عبد الله عن ابن عباس قال : لما حضر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال النبي (ص) : هلم أكتب لكم كتابا لا تضلوا (١٤) بعده فقال عمر : ان النبي قد غلب عليه الوجع وعندكم القرآن حسبنا كتاب الله ، فأختلف أهل البيت فاختصموا ، منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي كتابا لن تضلوا بعده ، ومنهم من يقول ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف عند النبي (ص) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : قوموا . قال عبيد الله : فكان ابن عباس يقول : ان الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب من أختلافهم ولغطهم ـ اهـ .

وهذا الحديث مما لا كلام في صحته ، وقد أورده البخاري في كتاب العلم أيضا من صحيحه (١٥) ، وفي مواضع أخر يعرفها المتتبعون .

وأخرجه مسلم في آخر الوصية من صحيحه (١٦) ورواه أحمد من حديث ابن عباس في مسنده (١٧) وسائر المحدثين ، وقد تصرفوا فيه اذ نقلوه بالمعنى ولفظه الثابت عن عمر رضي الله عنه « ان النبي يهجر » لكنهم ذكروا أنه قال

(١٣) راجع صفحة ٥ من الجزء ٤ من الصحيح .
(١٤) بحذف النون مجزوما لكونه جوابا ثانيا لهم .
(١٥) في صفحة ٢٢ من جزئه الاول .
(١٦) في صفحة ١٤ من جزئه الثاني .
(١٧) راجع صفحة ٣٢ من جزئه الاول .

« ان النبي قد غلب عليه الوجع » تهذيبا للعبارة وتقليلا لما يستهجن منها ، ويدل على ذلك ما أخرجه ابو بكر احمد بن عبد العزيز الجوهري فى كتاب السقيفة (١٨) بالاسناد الى عبد الله بن عباس قال : لما حضرت رسول الله الوفاة وفي البيت رجال فيهم عمر بن الخطاب قال رسول الله (ص) : ائتوني بدواة وصحيفة أكتب كتابا لاتضلوا بعده . قال : فقال عمر كلمة معناها أن الوجع قد غلب على رسول الله (ص) ثم قال : عندنا القرآن حسبنا كتاب الله ، فأختلف من في البيت واختصموا فمن قائل قربوا يكتب لكم النبي ومن قائل ما قال عمر ، فلما أكثروا اللغط واللغو والاختلاف غضب صلى الله عليه وآله وسلم فقال : قوموا ــ الحديث .

وتراه صريحا بأنهم انما نقلوا معارضة عمر بالمعنى لا بعين لفظه ، ويدلك على هذا أيضا أن المحدثين حيث لم يصرحوا باسم المعارض يومئذ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم نقلوا الحديث بعين لفظه . قال البخاري في باب جوائز الوفد من كتاب الجهاد والسير من صحيحه (١٩) : حدثنا قبيصة حدثنا ابن عيينة عن سلمان الاحول عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثم بكى حتى خضب دمعه الحصباء فقال : اشتد برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وجعه يوم الخميس فقال : ائتوني بكتاب أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا ، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع فقالوا : هجر رسول الله (ص) قال : دعوني فالذي أنا فيه خير مما تدعوني اليه . قال : وأوصى عند موته بثلاث : أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ،

---

(١٨) كما في صفحة ٢٠ من المجلد الثاني من شرح النهج للعلامة المعتزلي طبع مصر .

(١٩) فى صفحة ١١٨ من جزئه الثاني .

وأجيزوا الوفد بنحو ماكنت أجيزهم. قال: ونسيت الثالثة [٢٠] . وهذا الحديث أخرجه مسلم أيضا في آخر كتاب الوصية من صحيحه ، واحمد من حديث ابن عباس في مسنده [٢١] ونقله كافة المحدثين .

وأخرج مسلم في كتاب الوصية من الصحيح عن سعيد بن جبير من طريق آخر عن ابن عباس انه قال : يوم الخميس وما يوم الخميس ، ثم جعل تسيل دموعه حتى رؤيت على خديه كأنها نظام اللؤلؤ قال : قال رسول الله(ص) ائتوني بالكتف والدواة ، أو اللوح والدواة أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا . فقالوا : أن رسول الله (ص) يهجر اه [٢٢] .

ومن ألم بمجموع ما حول هذه الرزية من الاحاديث يعلم أن أول من قال يومئذ هجر رسول الله (ص) انما هو الخليفة الثاني رضي الله عنه ، ثم نسج على منواله من الحاضرين من كانوا يرون رأيه ويؤثرون هواه ، كما يدل عليه الاحاديث الاول الذي رواه البخاري بسنده الى عبيد الله بن عبدالله عن ابن عباس ، وقد سمعت قول ابن عباس فيه ، فأختلف أهل البيت فأختصموا منهم من يقول قربوا يكتب لكم النبي كتابا لن تضلوا بعده ومنهم من يقول ما قال عمر .

وكيف كان فانهم لم يتعبدوا هنا بنصه الذي لو تعبدوا به لأمنوا من

---

(٢٠) الثالثة ليست الا الامر الذي أراد ــ بأبي وأمي ــ ان يكتبه حفظا لهم من الضلال فصدوه عن كتابته ، وهو العهد لعلي بالخلافة من بعده ، لكن السياسة في تلك الاوقات اضطرت رواة الحديث الى القول بأنهم قد نسوا ذلك ، فانا لله وانا اليه راجعون .

(٢١) راجع صفحة ٢٢٢ من جزئه الاو .

(٢٢) وأخرج هذا الحديث بهذه الالفاظ احمد في صفحة ٣٥٥ من الجزء الاول من مسنده وغير واحد من الاثبات .

الضلال ، بل لم يكتفوا بعدم الامتثال لامره حتى ردوا عليه بقولهم « حسبنا كتاب الله » كما يزيف أحدنا رأي الآخر ، كأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا يعلم بمكان كتاب الله منهم ، أو انهم أعلم منه بخواص كتاب الله وفوائده ، وليتهم اكتفوا بهذا كله ولم يفاجئوه بكلمتهم تلك وهو محتضر بأبي هو وأمي بينهم ، وأي كلمة كانت منهم وداعا له صلى الله عليه وآله وسلم ، وكأنهم حيث لم يأخذوا بهذا النص اكتفاء منهم بكتاب الله على ما زعموا لم يسمعوا هتاف الكتاب آناء الليل وأطراف النهار في أنديتهم قائلا : « وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فأنتهوا » وكأنهم حيث قالوا كلمتهم تلك لم يقرأوا قوله تعالى : « انه لقول رسول كريم ❊ ذي قوة عند ذي العرش مكين ❊ مطاع ثم أمين ❊ وما صاحبكم بمجنون » وقوله عز من قائل : « أنه لقول رسول كريم ❊ وما هو بقول شاعر قليلا ما تؤمنون ❊ ولا بقول كاهن قليلا ما تذكرون ❊ تنزيل من رب العالمين » وقوله سبحانه وتعالى : « ما ضل صاحبكم وما غوى ❊ وما ينطق عن الهوى ❊ إن هو إلا وحي يوحى ❊ علمه شديد القوى » الى كثير من هذه الآيات المحكمة المنصوص فيها على عصمة قوله من الهجر صلى الله عليه وآله وسلم .

على أن العقل يستقل بذلك ويحكم جازما به كما لا يخفى على أولي الالباب ، لكن القوم علموا أنه صلى الله عليه وآله وسلم يريد توثيق العهد الى علي بالخلافة وتأكيد النص بها عليه خاصة وعلى الائمة من عترته عامة احتياطا على أمته ومبالغة في النصح لها واهتماما في شأن خلفائه بتسجيل عهده اليهم بالخلافة خطا بعد أن أعلنه قولا وفعلا ، فصدوه عن هذه المهمة

بكلمتهم هذه ، كما اعترف به الخليفة الثاني في كلام دار بينه وبين ابن عباس (٢٣)

وأنت هداك الله اذا تأملت في قوله (ص) : « ائتوني اكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده » وقوله في حديث الثقلين « اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي أهل بيتي » تعلم ان المرمي في الحديثين واحد ، وأنه (ص) انما أراد في مرضه بأبي هو وأمي ان يكتب لهم تفصيل ما أوجبه عليهم في حديث الثقلين ، وانما عدل عن ذلك لان كلمتهم التي فاجأوه بها اضطرته الى العدول ، اذا لم يبق بعدها أثر لكتابة الكتاب سوى اختلاف الامة من بعده في أنه هجر فيما كتبه فيه (والعياذ بالله) أو لم يهجر ، كما اختلفوا في ذلك فأختصموا وأكثروا اللغط نصب عينيه ، فلم يتسن له يومئذ أكثر من طردهم من مجلسه ، فقال : « قوموا عني » كما سمعت .

ولو أصر فكتب الكتاب للجوا في قولهم هجر ولا وغل اشياعهم في أثبات هجره (والعياذ بالله) فسطروا به أساطيرهم وملأوا منه طوامیرهم ردا على علي وشيعته اذا احتجوا بذلك الكتاب .

لهذا اقتضت حكمته البالغة أن يضرب صلى الله عليه وآله وسلم عن ذلك الكتاب صفحا لئلا يفتح هؤلاء المعارضون وأولياؤهم بابا الى الطعن فى نبوته (نستجير بالله) وقد رأى صلى الله عليه وآله وسلم أن أولياء علي خاضعون لخلافته ، كتب ذلك الكتاب أو لم يكتب ، وغيرهم لا يعمل به ولا يعتبره ولو كتب ، فالحكمة والحال هذه توجب تركه اذ لا أثر له بعد تلك المعارضة سوى وقوع الفتنة كما لا يخفى . ومن تأمل احوالهم زمن النبي

(٢٣) راجع الجزء ١٢ من شرح النهج الحديدي تجد ذلك في السطر ٢٧ من صفحة ١١٤ من المجلد ٣ طبع مصر .

صلى الله عليه وآله وسلم فضلا عن أيام خلافتهم علم أنهم كانوا كما نبهناك اليه.

ألا تراهم يوم تبوك كيف انكروا إذن النبي صلى الله عليه وآله وسلم يومئذ بنحو ابلهم وأكل لحومها ، إذ أملقوا في تلك الغزوة وجاعوا فانكر عمر رضي الله عنه ذلك وقال : ما بقاؤكم بعد ابلكم والقضية ثابتة معروفة ، اخرجها البخاري في باب حمل الزاد في الغزو من كتاب الجهاد والسير من الجزء الاول من صحيحه ، ورواها سائر المحدثين .

وأنكروا عليه صلح الحديبية بتلك العبارات المزعجة ، وكان صلى الله عليه وآله وسلم مأمورا به والحكمة كانت فيه بالغة ، إذ دخل بسببه في الدين اضعاف ما دخل فيه قبل ذلك ، فكان في الواقع فتحا مبينا (٢٤) ونصرا عزيزا بيد أن أبا حفص رضي الله عنه لم يدرك يومئذ حكمته واعتقده خطة خسف ، فأنكره جهرة وصادر به علانية ، والقضية مشهورة وحسبك منها ما أخرجه مسلم في باب صلح الحديبية من الجزء الاول من صحيحه ان عمر بن الخطاب قال يومئذ : ألسنا على حق وهم على باطل ؟ قال رسول الله (ص) : بلى . قال : أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال : بلى . قال : ففيم نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال (ص) : يابن الخطاب اني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا . قال : فانطلق عمر (رض) فلم يصبر متغيضا ، فأتى أبا بكر رضي الله عنه فقال : يا أبا بكر ألسنا على حق وهم على

(٢٤) وفيه أنزل الله تعالى « إنا فتحنا لك فتحا مبينا » عن الشعبي وغيره كما في الكشاف وغيره . وعن موسى بن عقبة كما في الكشاف أيضا أقبل رسول الله (ص) من الحديبية راجعا فقال رجل من أصحابه : ما هذا بفتح ، لقد صدونا عن البيت وصد هدينا ، فبلغ النبي (ص) ذلك فقال : بئس الكلام هذا ، بل هو أعظم الفتوح ــ الحديث .

باطل ؟ قال : بلى • قال : أليس قتلانا فى الجنة وقتلاهم في النار ؟ قال: بلى• قال : فعلى م نعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا وبينهم ؟ فقال : ابن الخطاب انه رسول الله ولن يضيعه الله أبدا ــ الحديث • وأخرجه غير واحد من المحدثين بلهجة أشد مما سمعت •

وأخرج البخاري في آخر كتاب الشروط [٢٥] من صحيحه حديثا جاء فيه : أن عمر (رض) قال : فقلت ألست نبي الله حقا ؟ قال : بلى• قلت: ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال : بلى • قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذن ؟ قال (ص) : اني رسول الله ولست أعصيه وهو ناصري • قلت : أو ليس كنت تحدثنا أنا سنأتي البيت فنطوف به ؟ قال : بلى أفأخبرتك أنا نأتيه العام • قلت : لا قال : فانك آتيه ومطوف به ؟ قال : فأتيت أبا بكر فقلت : أليس هذا نبي الله حقا ؟ قال : بلى • قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل ؟ قال: بلى• قلت : فلم نعطي الدنية في ديننا إذن ؟ قال : أيها الرجل انه لرسول الله ،وليس يعصي ربه وهو ناصره فاستمسك بغرزه [٢٦] فوالله انه على الحق • فقلت : أليس كان يحدثنا أن سنأتي البيت ونطوف به ؟ قال : بلى أفأخبرك أنك تأتيه العام • قلت: لا • قال : فانك آتيه ومطوف به •قال عمر (رض) فعملت لذلك

---

(٢٥) في صفحة ٨١ من جزئه الثاني •

(٢٦) الغرز ركاب من جلد يضع الراكب رجله فيه ، فيكون المعنى اعتلق به وأمسكه واتبع قوله وفعله ولا تخالفه ، فاستعار له الغرز كالذي يمسك بركاب الراكب ويسير بسيره • وفي القاموس : غرز كسمع اطاع السلطان بعد عصيان ، وعلى هذا فلفظ غرزه هنا مصدر غرز فيكون المعنى استمسك بطاعته بعد العصيان •

أعمالا [٢٧] قال : فلما فرغ رسول الله (ص) من قضية الكتاب (الذي كتبه يومئذ في الصلح) قال صلى الله عليه وآله وسلم لاصحابه : قوموا فأنحروا ثم أحلقوا . قال : فو الله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات — الحديث . وأخرجه الامام احمد من حديث المسور بن مخرمة ومروان بن الحكم فى مسنده [٢٨] .

وذكر الحلبي في غزوة الحديبية من سيرته [٢٩] أن عمر (رض) جعل يرد على رسول الله (ص) الكلام ، فقال له أبو عبيدة بن الجراح : ألا تسمع يابن الخطاب رسول الله (ص) يقول ما يقول ، نعوذ بالله من الشيطان الرجيم . قال الحلبي : وقال رسول الله (ص) يومئذ : يا عمر اني رضيت وتأبى .

وقال الحلبي وغيره ان عمر (رض) كان بعد ذلك يقول : ما زلت اصوم وأتصدق واصلي وأعتق مخافة كلامي الذي تكلمت به ... الى آخر ما هو مأثور عنه في هذه القضية .

وأنكر رضي الله عنه يوم بدر أخذ الفداء من الاسرى واطلاق سراحهم ، وكان من رأيه ان يعمد حمزة الى أخيه العباس فيقتله ، ويأخذ علي اخاه عقيلا فيقتله ، وهكذا كل مسلم له قرابة في أسرى المشركين يقتله بيده حتى لا يبقى منهم أحد ، فأعرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن هذا الرأي ، تعبدا بالوحي الموافق للرحمة وللحكمة « وما ينطق عن الهوى . ان هو إلا

---

(٢٧) لاتخفى دلالة كلمته هذه على أن أعماله كانت عظيمة وبسببها لم يمتثلوا أمره اياهم بالنحر حتى أمرهم بذلك ثلاثا كما ستسمعه في الاصل .

(٢٨) راجع آخر الصفحة ٢٣٠ من جزئه الرابع .

(٢٩) في الصفحة ١٩ من الجزء الثالث .

وحي يوحى • علمه شديد القوى» لكن الجاهلين بعصمته وحكمته «لايقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا انما » كان الحق في هذه الواقعة مع عمر (رض) ، معتمدين في ذلك على أحاديث أختلقها بعض المنافقين من أعداء الله ورسوله « وما أنزل الله بها من سلطان » ، « فما قدروا الله حق قدره » وقد أمعنوا في التيه وأوغلوا في الجهل وتسكعوا في تفسير قوله تعالى « ما كان لنبي أن يكون له أسرى حتى يثخن في الارض تريدون عرض الدنيا والله يريد الآخرة والله عزيز حكيم • لولا كتاب من الله سبق لمسكم فيما أخذتم عذاب عظيم » حيث اشتبهت عليهم فى هـــذه الآية معالم القصد وعميت لديهم فيها وجوه الرشد ، فقالوا بنزولها في التنديد برسول الله (ص) واصحابه ، حيث آثروا (بزعم هؤلاء الجهلاء) عرض الدنيا على الآخرة ، فأتخذوا الاسرى وأخذوا منهم الفداء قبل أن يثخنوا في الارض وزعموا أنه لم يسلم يومئذ من الخطيئة الا عمر رضي الله عنه ، وأنه لو نزل العذاب لم يفلت منه الا ابن الخطاب ، ورووا في ذلك من الروايات الموضوعة ما شاءه جهلهم ، واقتضاه نفاق الواضعين وعداوتهم •

وكذب من زعم انه (ص) اتخذ الاسرى واخذ منهم الفداء قبل أن يثخن في الارض ، فأنه بأبي وأمي انما فعل ذلك بعد أن أثخن في الارض ، وقتل صناديد قريش وطواغيتها ، كأبي جهل وعتبة وشيبة والوليد وحنظلة الى سبعين من رؤس الكفر وزعماء الضلال ، كما هو معلوم بالضرورة الاولية ، فكيف يمكن بعد هذا أن يتناوله صلى الله عليه وآله وسلم اللوم المذكور في الآية (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا) ؟ !

والصواب أن الآية انما نزلت في التنديد بالذين كانوا يودون العير

وأصحابه على ما حكاه الله تعالى عنهم بقوله في هذه الواقعة عز من قائل : « واذ يعدكم الله احدى الطائفتين انها لكم وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم ويريد الله أن يحق بكلماته ويقطع دابر الكافرين » وكان صلى الله عليه وآله وسلم قد استشار اصحابه ، فقال لهم (٣٠) أن القوم قد خرجوا على كل صعب وذلول فما تقولون العِير أحب اليكم أم النفير ؟ قالوا : بل العِير أحب الينا من لقاء العدو ، وقال بعضهم حين رآه (ص) مصرا على القتال : هلا ذكرت لنا القتال لنتأهب له إنا خرجنا للعِير لا للقتال ، فتغير وجه رسول الله (ص) فأنزل الله تعالى : « كما أخرجك ربك من بيتك بالحق وان فريقا من المؤمنين لكارهون يجادلونك في الحق بعدما تبين كأنما يساقون الى الموت وهم ينظرون » .

وحيث أراد الله عز وجل أن يقنعهم بمعذرة النبي (ص) في أصراره على القتال وعدم مبالاته بالعِير واصحابه قال عز من قائل : « ما كان لنبي » من الانبياء المرسلين قبل نبيكم محمد صلى الله عليه وآله وسلم « ان يكون له أسرى حتى يثخن في الارض » فنبيكم لا يكون له أسرى حتى يثخن في الارض على سنن غيره من الانبياء عليهم السلام ، ولذلك لم يبال اذ فاته أسر أبي سفيان واصحابه حين هربوا بعِيرهم الى مكة ، لكنكم انتم « تريدون » اذ تودون أخذ العير واسر اصحابه « عرض الدنيا والله يريد الآخرة « باستئصال ذات الشوكة من أعدائه « والله عزيز حكيم » والعزة والحكمة تقتضيان يومئذ اجتثاث عز العدو واطفاء جمرته . ثم قال تنديدا بهم وتهديدا لهم « لولا

(٣٠) كما في السيرتين الحلبية والدحلانية وغيرهما من الكتب المشتملة على ذكر هذه الواقعة .

كتاب من الله سبق » في علمه الازلي بأن يمنعكم من أخذ العير واسر اصحابه لأسرتم القوم واخذتم عيرهم ، ولو فعلتم ذلك « لمسكم فيما اخذتم » قبل أن تثخنوا في الارض « عذاب عظيم » هذا معنى الآية الكريمة (٣١) وحاشا لله أن يريد منها ما ذكره أولئك الجهلاء .

بقي هنا أمر ننبهك اليه لتكون على يقين بمعذرة المتأولين ، وهو أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال لا صحابه (٣٢) (يوم التقي الجمعان في بدر) قد عرفت رجالا من بني هاشم وغيرهم أخرجوا أكراها ، فمن لقي منكم أحدا من بني هاشم فلا يقتله ، ومن لقي العباس بن عبد المطلب فلا يقتله ، فأنه أخرج كرها . نهى عن قتل بني هاشم عموما وعن قتل العباس منهم بالخصوص حين كانوا في ساحة القتال لكونهم مكرهين على ذلك ، فالعجب ممن اقترح بعدها عليه بأبي هو وأمي أن يقتل العباس وعقيلا بيدي أخويهما حمزة وعلي فهل هذا من مظاهر رفقه بالنبي وأهل بيته (ص) ، أو من موارد تعبده بنصوصه المقدسة ؟ ! كلا بل هو من الشواهد على أنه كان يؤثر رأيه على التعبد بها كما لا يخفى .

وقد استاء أبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة من نهي النبي (ص) عن قتل العباس وسائر بني هاشم حتى قال (كما في تاريخي ابن الاثير وابن جرير وسيرتي الحلبي والدحلاني وغيرهما) : أنقتل آباءنا وابناءنا واخواننا ونترك العباس ، والله لئن لقيته لا لجمنه بالسيف ، فبلغ النبي ذلك فقال لعمر رضي

(٣١) يجوز أن يكون المعنى « لولا كتاب من الله سبق » في علمه الازلي بأن لايعذبكم والنبي فيكم كما صرحت به محكمات الفرقان « لمسكم فيما أخذتم » به من الرأي والعزم في شأن العير واصحابه « عذاب عظيم » .

(٣٢) كما في تاريخي ابن جرير وابن الاثير وسيرتي الدحلاني والحلبي وغيرها .

الله عنه : يا أبا حفص أما تسمع قول أبي حذيفة ، أيضرب وجه عم رسول الله بالسيف ؟ فانظر كيف استنجده للدفاع عن عمه ، واعجب من اقتراحه بعد ذلك عليه قتله .

وقد ذكر المؤرخون كافة أنه لما أمسى العباس مأسورا بات رسول الله بأبي هو وأمي ساهرا ، فقال له الصحابة : يارسول الله مالك لاتنام ؟ فقال : سمعت تضور العباس في وثاقه فمنع مني النوم ، فقاموا اليه فأطلقوه فنام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم .

وان رحمته (ص) للعالمين ورأفته بالمؤمنين واشفاقه على عشيرته الاقربين ، وخصوصا على أبي الفضل صنو أبيه والبقية من أهليه لما هو غني عن البيان ومن ذا يجهل حرصه يومئذ على سلامتهم ورغبته التامة في بقائهم ليفوزوا بعد ذلك بخدمته ، وكانوا في الواقع مؤمنين لكنهم لم يتمكنوا من الهجرة اليه فأكرهوا على الخروج كما نص عليه النبي (ص) فاقتراح قتلهم والحال هذه أكبر شاهد على أنهم كانوا يؤثرون إراداتهم في مثل هذا المقام على التعبد بارادته وأوامره عليه وآله الصلاة والسلام .

ولهم في أحد حالات تشهد بما قلناه ، وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد استقبل المدينة في هذه الغزوة وترك أحدا خلف ظهره وجعل الرماة وراءه وكانوا خمسين رجلا أمر عليهم عبد الله بن جبير رحمه الله وقال له (فيما نص عليه المؤرخون والمحدثون كافة) إنضح عنا الخيل بالنبل لايأتونا من خلفنا واثبت [٣٣] مكانك ان كانت لنا أو علينا ، وحضهم على ذلك بما

---

(٣٣) راجع تاريخي الطبري وابن الاثير وغيرهما تجد قوله (ص) هذا بعينه : وكل من أرخ واقعة أحد ذكره أو أشار اليه .

لامزيد عليه وشدد عليهم الامر في طاعة أميرهم عبدالله ــ لكنهم (وأسفاه) لم يتعبدوا يومئذ بأوامره ونواهيه (ص) ترجيحا لارائهم عليها ، وذلك حيث حمي الوطيس واشتد بأس المسلمين بسطوة حيدرة الكرار على فيالق المشركين وصولته على اصحاب لوائهم وهم ثمانية من بني عبد الدار ، كانوا أسود الوقائع واحلاس الخيل وتاسعهم عبدهم صواب كان من طينتهم وعلى شاكلتهم فقتلهم أمير المؤمنين (٣٤) واحداً بعد واحد وبقي لواؤهم مطروحا على الارض لا يدنو منه أحد ، فأنكشف الكفار حينئذ عن المسلمين هاربين على غير انتظام ودخل المسلمون عسكرهم ينهبون ما تركوه من أسلحة وامتعة وذخائر ومؤن فلما نظر الرماة الى المسلمين وقد اكبوا على الغنائم دفعهم الطمع في النهب الى مفارقة محلهم (٣٥) الذي أمروا أن لايفارقوه فنهاهم أميرهم عبدالله بن جبير رضي الله عنه فلم ينتهوا وقالوا : ما مقامنا هاهنا وقد انهزم المشركون . فقال عبدالله (٣٦) والله لا أجاوز أمر رسول الله (ص) وثبت مكانه مع اقل من عشرة فنظر خالد بن الوليد المخزومي الى قلة من في الجبل من الرماة فكر بالخيل عليهم (٣٧) ومعه عكرمة بن أبي جهل ، فقتلوهم ومثلوا بعبد الله بن جبير فأخرجوا حشوة بطنه وهجموا على المسلمين وهم غافلون وتنادوا بشعارهم يا للعزى يا لهبل ، ووضعوا السيوف في المسلمين وهم آمنون فكاز البلاء ،

(٣٤) نص ابن الاثير في غزوة احد من كامله على أن الذي قتل اصحاب اللواء يومئذ علي بن أبي طالب ، وصرح بذلك غير واحد من المؤرخين والمحدثين .

(٣٥) كما في غزوة أحد من تاريخ ابن الاثير وغيره من سائر كتب السير والاخبار .

(٣٦) كما في تاريخ ابن الاثير وغيره .

(٣٧) صرح بهذا كل من أرخ غزوة احد فراجع ما شئت من كتب السير والاخبار .

وقتل حمزة سيد الشهداء وسبعون من صناديد المهاجرين والانصار ، وأصيب النبي بأبي هو وأمي بجروح يقرح القلوب ذكرها ويهيج الاحزان بيانها ، فجزاه الله عنا خير ما جزى نبيا عن أمته ، وانما كان هذا البلاء كله بعدهم بأوامره ونواهيه المقدسة عفا الله تعالى عنهم .

ولهم ثمة واقعة ثانية قدموا فيها رأيهم أيضا ، وهي أعظم من الاولى ، وذلك أنه لما اشتد البلاء بهجوم خالد على المسلمين تركوا سيد الانبياء بين أولئك الاعداء ، وأسلموه لاحقادهم البدرية وضغائنهم الكفرية ، وفروا مصعدين لا يلوون على أحد والرسول يدعوهم في أخراهم فلا يلبونه كما حكاه الله عز وجل حيث يقول (٣٨) « إذ تصعدون ولا تلوون على أحد والرسول يدعوكم فى أخراكم فأثابكم غما بغم » ولم يثبت معه إلا نفر يسير لا يزيدون على أربعة عشر رجلا (٣٩) يحمل لواءهم علي بن أبي طالب (٤٠) وله ثمة مواقف شكرها الله له ورسوله وجبرئيل والمؤمنون ، حيث قام في نصرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم على ساقه وشد لها حيازيمه ، فحمل على جموع الاعداء حملته العظيمة فكشفهم عن النبي وقد أثخن بأبي هو وأمي فجعل تارة يدافع عن الاعداء وأخرى ينقل له الماء من المهراس في درقته فيغسل جرحه (٤١) ، وجعل صلى الله عليه وآله وسلم كلما أبصر جماعة من الاعداء

(٣٨) أجمع المفسرون والمحدثون والمؤرخون على نزول هذه الآية في هذه الواقعة .

(٣٩) كما في تاريخ ابن الأثير وغيره .

(٤٠) لا كلام في ان حامل لواء المسلمين يوم أحد انما كان أولا مصعب ابن عمير ، فلما استشهد رحمه الله حمله علي بأتفاق اهل الاخبار ، ولم يزل يومئذ حاملا له حتى انتهى القتال .

(٤١) كل من أرخ غزوة احد من الاولين والآخرين ذكر نقل علي الماء

يقول : اكفنيهم يا علي [٤٢] ، فيشد عليهم بسيفه فلا يرجع حتى يفرق شملهم ويمزق جمعهم وقد عجبت بذلك ملائكة السماء من مواساته فقال جبرائيل عليه السلام [٤٣] : يارسول الله هذه المواساة . فقال (ص) : انه مني وأنا منه فقال جبرائيل عليه السلام : وانا منكما . وسمعوا حينئذ مناديا ينادي لاسيف إلا ذو الفقار [٤٤] ولا فتى إلا علي .

شط بنا القلم عن المقصود فلنعد اليه فنقل : ان القوم اسلموا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واوغلوا في الهرب حتى قال المحدثون والمؤرخون واللفظ لابن الاثير في كامله : قد انتهت الهزيمة بجماعة المسلمين وفيهم عثمان ابن عفان وغيره الى الاحوص ، فأقاموا به ثلاثا ثم أوتوا النبي (ص) فقال لهم حين رآهم : لقد ذهبتم فيها عريضة .

هذا مع ما سمعوه من النواهي الصريحة في تحريم ذلك ، وحسبك منها قوله تعالى : « يا أيها الذين آمنوا اذا لقيتم الذين كفروا زحفا فلا تولوهم الادبار » الآية .

وهناك نص آخر عدل البعض عن العمل به أيضا ، وذلك انه لما اشتد البلاء وعظم الخطب بفرار المسلمين ارهف المشركون لقتل رسول الله (ص) غرار عزمهم وارصدوا لذلك جميع إهبهم ، فتعاقد خمسة من شياطينهم على ذلك كانوا كالفدائية في هذا السبيل ، وهم عبد الله بن شهاب الزهري وعتبة ابن أبي وقاص وابن قمأة الليثي وأبي بن خلف وعبدالله بن حميد الاسدي

من المهراس بدرقته الى رسول الله (ص) فراجع .

(٤٢) راجع غزوة أحد من تاريخ ابن الاثير وغيره .

(٤٣) كما في تاريخ ابن الاثير وابن جرير وسيرتي الحلبي والدحلاني وغيرها .

(٤٤) راجع غزوة أحد من تاريخي ابن جرير وابن الاثير والسيرة الحلبية وغيرها تجد هذا النداء .

القرشي لعنهم الله واخزاهم ، فأما ابن شهاب فأصاب جبهته الميمونة ، وأماعتبة فرماه (تبت يداه) بأربعة أحجار فكسر رباعيته وشق شفته ، وأما ابن قمأة (قاتله الله) فكم وجنته ودخل من خلق المغفر فيها ، وعلاه بالسيف (شلت يداه) فلم يطق أن يقطع فسقط صلى الله عليه وآله وسلم الى الارض . وأما أبي بن خلف فشد عليه بحربته فأخذها رسول الله منه وقتله بها ، وأما عبد الله ابن حميد فقتله ابو دجانةالانصاري شكر اللهسعيهواعلا في الجنان مقامه فأنه ممن أبلى يومئذ بلاء حسنا ، ثم حمل ابن قمأة على مصعب بن عمير وهو يظنه رسول الله (ص) فقتله ورجع الى قريش يبشرهم بقتل محمد ، فجعل الناس يقولون قتل محمد قتل محمد ، فأنخلعت قلوب المسلمين جزعا وكادت نفوسهم أن تزهق هلعا وأوغلوا في الهرب مدلهين مدهوشين لايرتابون في قتل رسول الله (ص) وقد سقط في أيديهم ، وكان أول من عرف أن رسول الله صلى الله وآله وسلم حي كعب بن مالك . قال (٤٥) فناديت يا معشر المسلمين ابشروا هذا رسول الله حي لم يقتل ، فأشار اليه النبي (ص) أن انصت مخافة أن يسمعه العدو فيثب عليه ، فسكت الرجل ثم اشرف ابو سفيان على المسلمين فقال : أفي القوم محمد ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لا تجيبوه (٤٦) مخافة أن يعرف أنه حي فيشد عليه بمن معه من أعداء اللهورسوله ثم نادى : أنشدك الله يا عمر اقتلنا محمدا ؟ فقال عمر (٤٧) اللهم لا وانه والله

(٤٥) كما في غزوة أحد من تاريخ ابن الاثير وغيره .

(٤٦) كما في غزوة أحد من تاريخي ابن الاثير وابن جرير ومن طبقات ابن سعد ومن السيرتين الحلبية والدحلانية وسائر الكتب المشتملة على هذه الغزوة .

(٤٧) فيما رواه عنه كل من أرخ غزوة احد كأبن سعد في طبقاته وابن جرير وابن الاثير وسائر اهل السير والاخبار .

ليسمع كلامك . فقال أبو سفيان : انت اصدق من ابن قمأة . وانت تراه قد أجاب ابا سفيان مع نهيه (ص) اياهم عن جوابه ، وما ذاك إلا لكونه متأولا وحسبك بهذا دليلا على معذرة المتأولين .

وأنكر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يوم مات المنافق ابن أبي حيث جاء ابنه فقال : يا رسول الله أعطني قميصك اكفنه فيه وصل عليه واستغفر له ، فأعطاه قميصه وقال : اذا فرغت منه فآذنا . ولم يكن صلى الله عليه وآله وسلم حينئذ قد نهي عن الصلاة على المنافقين (٤٨) وكانت الحكمة فيما فعله صلى الله عليه وآله وسلم بالغة ، وقد قيل له (ص) (٤٩) لم وجهت قميصك اليه يكفن فيه ؟ فقال : ان قميصي لن تغني عنه من الله شيئا ، واني أؤمل أن يدخل بهذا السبب في الاسلام خلق كثير . فروي أنه أسلم بهذا السبب ألف من الخزرج (٥٠) ولكن عمر رضي الله عنه لم يدرك الحكمة فيما فعله رسول الله (ص) فأنكر عليه فعله حتى جذبه بردائه وهو واقف للصلاة عليه ، والقضية ثابتة أخرجها البخاري في الصفحة الثانية من كتاب اللباس من صحيحه (٥١) ورواها كافة محدثي السنة ومؤرخيهم ، وقد بلغت القحة هنا ببعض الجاهلين مبلغا لايليق بذي دين ، والاولى بفصولنا الاعراض عن فضولهم .

---

(٤٨) فيما رواه أصحابنا عن أئمة الهدى من آل محمد (ص) ونقله صاحب مجمع البيان عن ابن عباس وجابر وقتادة .

(٤٩) في رواية ذكرها صاحب مجمع البيان في تفسير قوله تعالى « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا » من سورة التوبة .

(٥٠) نقل الامام الطبرسي هذه الرواية في تفسير الآية من مجمع البيان عن الزجاج .

(٥١) في أول صفحة ١٨ من جزئه الرابع .

وأنكر عليه أمره صلى الله عليه وآله وسلم أبا هريرة أن يبشر بالجنة كل من لقيه من أهل التوحيد ، حيث اقتضت الحكمة يومئذ تنشيط الموحدين وتشويق النـاس الى التوحيد وترغيبهم في الاسلام بتسهيل الأمر عليهم ، وكانت الحاجة في تلك الاوقات الى ذلك شديدة ، فأنكر عمر ذلك وضرب أبا هريرة (وهو رسول النبي (ص) ردعا له عن أداء ما أمره به رسول الله) ضربة خر بها الى الارض ، والقضية ثابتة فراجعها في صحيح مسلم (٥٢) .

وترك أبو بكر وعمر رضي الله عنهما قتل رجل أمرهما النبي صلى الله عليه وآله وسلم بقتله وأخبرهم أنه لو قتل ما أختلف بعده اثنان ، في قضية مستفيضة أخرجها المحدثون بأسانيدهم المعتبرة ونقلها أهل السير والاخبار . وحسبك منها ما أخرجه الامام احمد بن حنبل في صفحة ١٥ من الجزء الثالث من مسنده من حديث ابي سعيد الخدري قال : أن أبا بكر جاء الى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال : يارسول الله اني مررت بوادي كـذا وكذا فاذا رجل متخشع حسن الهيئة يصلي . فقال له النبي (ص) : اذهب اليه فأقتله قال : فذهب اليه أبو بكر فلما رآه على تلك الحال كره أن يقتله ، فرجع الى رسول الله (ص) قال : فقال النبي (ص) لعمر اذهب فأقتله ، فذهب عمر فرآه على تلك الحال التي رآه ابو بكر . قال : فكره أن يقتله . قال : فرجع فقال يارسول الله اني رأيته يصلي متخشعا فكرهت أن اقتله . قال : يا علي اذهب فأقتله . قال : فذهب علي فلم يره ، فرجـع علي فقال : يا رسول الله انه لم يره . قال : فقال النبي (ص) ان هذا وأصحابه يقرأون القرآن لا يجاوز

(٥٢) في باب من لقى الله بالايمان وهو غير شاك فيه دخل الجنة وحرم على النار ، وهو في أوائل الجزء الاول من الصحيح .

تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية ثم لايعودون فيه حتى يعود السهم في فوقه ، فاقتلوهم هم شر البرية اهـ .

وأخرج أبو يعلي في مسنده (كما في ترجمة ذي الثدية من أصابة ابن حجر) عن أنس قال : كان في عهد رسول الله رجل يعجبنا تعبده واجتهاده وقد ذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بأسمه فلم يعرفه ، فوصفناه بصفته فلم يعرفه ، فبينا نحن نذكره اذ طلع الرجل قلنا : هو هذا . قال :انكم لتخبروني عن رجل ان في وجهه لسفعة من الشيطان ، فأقبل حتى وقف عليهم ولم يسلم ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أنشدك الله هل قلت حين وقفت على المجلس ما في القوم أحد أفضل مني أو خير مني ؟ قال : اللهم نعم . ثم دخل يصلي فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : من يقتل الرجل ؟ فقال : أبو بكر انا ، فدخل عليه فوجده يصلي ، فقال : سبحان الله أقتل رجلا يصلي ؟ ! فخرج فقال رسول الله (ص) : ما فعلت ؟ قال :كرهت أن أقتله وهو يصلي ، وأنت قد نهيت عن قتل المصلين . قال : من يقتل الرجل؟ قال عمر : أنا ، فدخل فوجده واضعا جبهته فقال عمر : أبو بكر افضل مني ، فخرج فقال له النبي صلى الله عليه وآله وسلم : مهيم ؟ قال : وجدته واضعا جبهته لله فكرهت ان أقتله . فقال : من يقتل الرجل ؟ فقال علي : أنا .فقال صلى الله عليه وآله وسلم : أنت ان أدركته ، فدخل عليه فوجده قد خرج ، فرجع الى رسول الله (ص) فقال : مهيم ؟ قال : وجدته قد خرج . قال :لو قتل ما أختلف من أمتي رجلان ــ الحديث .

وأخرجه الحافظ محمد بن موسى الشيرازي في كتابه الذي استخرجه

من تفاسير يعقوب بن سفيان ومقاتل بن سليمان ويوسف القطان والقاسم بن سلام ومقاتل بن حيان وعلي بن حرب والسدي ومجاهد وقتادة ووكيع وابن جريج . وأرسله ارسال المسلمات جماعة من الاثبات ، كابن عبد ربه الاندلسي عند انتهائه الى القول في أصحاب الاهواء من الجزء الاول من عقده الفريد ، وقد جاء في آخر ما حكاه في هذه القضية أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ان هذا لأول قرن يطلع في أمتي لو قتلتموه ما أختلف بعده اثنان ، أن بني اسرائيل افترقت اثنين وسبعين فرقة وان هذه الامة ستفترق ثلاثا وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا فرقة (٥٣) واحدة اهـ .

وقريب من هذه القضية ما أخرجه الامام احمد من حديث علي (في صفحة ١٥٥ من مسنده) قال : جاء النبي (ص) أناس من قريش فقالوا : يامحمد إنا جيرانك وحلفاؤك وان ناسا من عبيدنا قد أتوك ليس بهم رغبة في الدين ولا رغبة في الفقه انما فروا من ضياعنا وأموالنا فأرددهم الينا . فقال لابي بكر : ماتقول ؟ قال : صدقوا أنهم جيرانك . قال : فتغير وجه النبي (ص) ثم قال لعمر ما تقول ؟ قال : صدقوا انهم لجيرانك وحلفاؤك ، فتغير وجه النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

وكان بعضهم يلمزه في الصدقات قال الله تعالى : « ومنهم من يلمزك في الصدقات فان اعطوا منها رضوا وان لم يعطوا منها اذا هم يسخطون » وأخرج البخاري (٥٤) عن عبد الله بن مسعود قال : قسم النبي (ص) قسمة كبعض ما كان يقسم فقال رجل من الانصار : والله انها لقسمة ما أريد بها وجه

(٥٣) فرقة وشيعة لفظان « بحساب الجمل » مترادفان لان كلا منهما ٣٨٥ ، وهذا بما تتفأل به تلك الفرقة .

(٥٤) في باب الصبر على الاذى من كتاب الآداب في صفحة ٤٤ من

الله . قلت : أما أنا لاقولن للنبي (ص)، فأتيته وهو في أصحابه فسارررته فشق ذلك على النبي (ص) وتغير وجهه وغضب حتى وددت اني لم أكن اخبرته ، ثم قال : قد أوذي موسى (ع) بأكثر من ذلك فصبر اهـ .

وأخرج البخاري أيضا (٥٥) عن عبد الله قال : لما كان يوم حنين آثر النبي صلى الله عليه وآله وسلم أناسا في القسمة فأعطى الأقرع بن حابس مائة من الابل ، واعطى عيينة مثل ذلك ، واعطى أناسا من أشراف العرب فآثرهم في القسمة تألفا لقلوبهم وقلوب عشائرهم وترغيبا لهم في الأسلام . فقال رجل : والله ان هذه القسمة ما عدل بها . فقلت : والله لاخبرن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فأتيته فأخبرته فقال : فمن يعدل اذا لم يعدل الله (٥٦) ورسوله ، رحم الله موسى قد أوذي بأكثر من هذا فصبر اهـ .

وأخرج الامام احمد من حديث عمر في صفحة ٢٠ من الجزء الأول من مسنده عن الاعمش عن شقيق سلمان بن ربيعة قال : سمعت عمر يقول : قسم رسول الله قسمة فقلت : يا رسول الله لغير هؤلاء احق منهم أهل الصفة . قال : فقال رسول الله انكم تسألوني بالفحش ــ الحديث .

وكان بعضهم يتنزه عن الشيء يرخص فيه رسول الله ويفعله صلى الله عليه وآله وسلم ... اخرج البخاري (٥٧) عن عائشة قالت : صنع النبي (ص)

الجزء الرابع من صحيحه .

(٥٥) في أواخر كتاب الجهاد والسير في صفحة ١٣٢ من الجزء الثاني من صحيحه ، وهناك عدة أحاديث بهذا المعنى .

(٥٦) قوله اذا لم يعدل الله ورسوله نص بأنه بأبي هو وأمي كان مأمورا من الله تعالى بتلك القسمة التي أنكرها المنافقون الجاهلون بحكمته البالغة « ان هو الا وحي يوحى » .

(٥٧) في كتاب الآداب في صفحة ٤٤ من الجزء الرابع من صحيحه .

شيئا فرخص فيه فتنزه عنه قوم ، فبلغ ذلك النبي (ص) فخطب فحمد الله ثم قال : ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء اصنعه ، فوالله اني لاعلمهم بالله واشدهم له خشية اهـ .

وسأل رسول الله (ص) حاطب بن بلتعة حين أرسل صحيفته الى المشركين فقال له : ما حملك على ما صنعت ؟ قال : أردت ان يكون لي عند القوم يد يدفع بها عن أهلي ومالي ، وليس من أصحابك أحد إلا له هناك من قومه من يدفع الله به عن أهله وماله . فقال رسول الله (ص) صدق لا تقولوا له الا خيرا . فقال عمر : قد خان الله ورسوله والمؤمنين دعني فلاضرب عنقه — الحديث . أخرجه البخاري في آخر كتاب استتابة المرتدين من الجزء الرابع من صحيحه ، وفي مواضع أخر من الصحيح .

ولا يخفي ما فيه من الدلالة على ما قلناه . ولو أردنا استيفاء ما كان من هذا القبيل من موارد تأولهم في مقابل الدليل لطال الباب وخرجنا عن خطة الكتاب ، فعساك تقنع بعد هذا بمعذرة المتأولين وتقلع عما ابتدعه طغام المرجفين .

وان أردت المزيد وابتغيت التأكيد فخذ مني مضافا الى ما تلوناه وعلاوة على ما أسلفناه دليلا قاطعا وبرهانا ساطعا لا ترتاب بعده في معذرة المتأولين ولا تشك في نجاتهم يوم الدين ، وحاصله ان الجمهور أجمعوا على خلافة عثمان منذ بويع حتى قتل ، مع ما كان في أيامه من الاحداث التي لولا حمله فيها على التأول لبطلت أمامته وسقط عن اريكة الخلافة ، وحسبك من تلك الاحداث ما هو معلوم بالتواتر وضرورة التاريخ ، وسأتلو عليك يسيرا منها

نقلا من كتاب الملل والنحل للشهرستاني بعين لفظه : قال (٥٨) منها رده الحكم ابن أمية الى المدينة بعد ان طرده النبي عليه السلام وكان يسمى طريد رسول الله ، وبعد ان تشفع الى أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ايام خلافتيهما فما أجاباه الى ذلك ونفاه عمر من مقامه اربعين فرسخا . قال : ومنها نفيه أباذر الى الربذة ، وتزويجه مروان بن الحكم بنته ، وتسليمه خمس غنائم أفريقية له ، وقد بلغت مئتي الف دينار . قال : ومنها ايواؤه عبدالله بن سعيد بن ابي سرح ، بعد ان أهدر النبي عليه السلام دمه وتوليته اياه مصر بأعمالها ، وتوليته عبد الله بن عامر البصرة حتى أحدث ما أحدث ، الى غير ذلك مما نقموا عليه اهـ .

قلت : كاحراقة المصاحف جمعا للناس على قراءة واحدة ، كما هو مقرر معلوم ، وقد نص عليه المؤرخون وأرسله ابن الاثير في كامله أرسال المسلمات (٥٩) وكحماية الحمى ، واعطائه المقاتلة من مال الصدقة ، وايثاره اهل بيته بالاموال وضربه عمار بن ياسر وعبدالله بن مسعود ، وعدم اقامته الحدّ على عبيد الله ابن عمر قاتل الهرمزان ، وكتابه الى أهل مصر بقتل محمد بن أبي بكر وجماعة آخرين من فضلاء المسلمين .

ومن موارد تأوله انه كان اذا خرج من مكة الى عرفات يتم فيها وفي منى صلاة الظهرين والعشاء ، مع أن النبي (ص) وأبا بكر وعمر كانوا اذا خرجوا اليها يقصرون صلاتهم فيهما ، بل كان عثمان أول أمارته يقصر أيضا ،

---

(٥٨) في أثناء الخلاف التاسع من الاختلافات التي أوردها في المقدمة الرابعة من المقدمات الخمس التي جعلها في أول كتابه « الملل والنحل » فراجع .

(٥٩) وذلك حيث ذكر غزوة حذيفة الباب وأمر المصاحف في صفحة ٤٢ من الجزء ٣ .

روى ذلك البخاري في باب الصلاة بمنى من كتاب الحج من صحيحه (٦٠)

وأنت تعلم ان عذره في كل هذه الأمور كونه متأولا مجتهدا ، وبهذا حفظت عندهم عدالته وأمامته ، فمن بعدها لا يقول بمعذرة المتأولين ؟ .

والابلغ من هذا كله في معذرة المتأولين اجماعهم على عدالة كثير من المجلبين عليه ، كعائشة وطلحة والزبير وعمار بن ياسر وعمرو بن الحمق الخزاعي وعمرو بن العاص وغيرهم ، ضرورة أنه لا يتسنى لهم الحكم بأمامة المقتول وعدالة من أمر بقتله ونبزه باسم اليهود « فقال اقتلوا نعثلا قتل الله نعثلا أقتلوا نعثلا فقد كفر » إلا بناء على ما قلناه .

وان أردت المزيد فأعتق رقبتك من رق التقليد وانظر فيما كان من عائشة وطلحة أيام عثمان من تأليب الناس عليه ، وما كان منهما بعد قتله ، وانعقاد البيعة لامير المؤمنين من الذهاب الى البصرة طلبا بثار عثمان ، فهم غير مصيبين في أحدى الحالين ، أو في كليهما قطعا ، لكن الجمهور عذروهم أولا وآخرا ، وذلك ليس الا لما قلناه وبه يتم ما أردناه .

وان أوجست في نفسك ريبة فيما نقول فأنظر الى ما كان من طلحة والزبير وعائشة في البصرة مع عثمان بن حنيف الانصاري وحكيم بن جبلة العبدي وغيرهما من شيعة علي عليه السلام مما لا يخلو منه كتاب من كتب الاخبار ، وقد اشتهر اشتهار الشمس في رائعة النهار ، من القتل الذريع والنهب الفظيع والمثلة بعثمان بن حنيف حيا (٦١) هذا كله قبل مجيء أمير

---

(٦٠) وأخرجه مسلم في باب قصر الصلاة بمنى من كتاب صلاة المسافر من الجزء الاول من صحيحه بأسانيد متعددة وطرق مختلفة .

(٦١) ان أردت التفصيل فعليك بتاريخ ابن جرير أو كامل ابن الاثير او ما شئت من كتب الاخبار .

المؤمنين عليه السلام الى البصرة ثم جاء :

فكان ما كان مما لست أذكره فظن خيرا ولا تسأل عن الخبر

فهل تجد وجها للجزم بعدالة هؤلاء والقطع بمعذرتهم الا ما يذكره الجمهور من تأولهم في كل ما فعلوه ، وبه يتجلى لك عذر المتأولين .

دع كل ما ذكرناه وعرج على رأي الجمهور في معاوية تجد هناك معذرة المتأولين قالبا حسيا ، وتلفها امامك شخصا مرئيا ، فانه لما كان متأولا على زعمهم ، لم يقدح في عدالته عندهم الحاقه زيادا بأبيه (أبي سفيان) بدعوى انه عاهر سمية وهي على فراش عبيد ، مستندا في ذلك الى شهادة ابي مريم القواد الخمار مع قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الولد للفراش وللعاهر الحجر » (٦٢) .

وقوله من حديث (٦٣) ومن عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو راد ، وقوله تعالى : « أدعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله » وكان فعله هذا أول عمل جاهلي عمل به في الاسلام علانية ، فلم يقدح مع ذلك عند الجمهور في عدالته ولم يمنع محمد بن اسماعيل البخاري عن الاحتجاج به في صحيحه (٦٤) .

---

(٦٢) هذا الحديث متواتر قاله رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حين ترافع اليه سعد بن ابي وقاص وعبد بن زمعة في غلام عهد عتبة بن أبي وقاص الى أخيه سعد انه أبنه بسفاح الجاهلية ، فقال سعد : يا رسول الله انه ابن أخي وقد عهد به الي وعليه شبهة . وقال عبد بن زمعة : انه أخي وابن أبي ولد على فراشه من جاريته . فنظر النبي (ص) الى الغلام فرأى عليه شبه عتبة بينا ولم يلحقه مع ذلك به وانما ألحقه بزمعة ، وقال « الولد للفراش وللعاهر الحجر » أخرج البخاري هذه القضية بهذه الكيفية في ثلاثة مواضع من كتاب البيوع في أول الجزء الثاني من صحيحه ، وأخرجه مسلم بطرق مختلفة في باب الولد للفراش من كتاب الرضاع من صحيحه .

(٦٣) أخرجه البخاري في باب النجش من كتاب البيوع في صفحة ١٢ من الجزء الثاني من صحيحه .

(٦٤) جميع المحدثين من أهل السنة يحتجون بمعاوية ويعتمدون عليه

وأيضا لم يخدش في وثاقته عندهم عهده بالخلافة الى أبنه يزيد ، وهو صبي يشرب الشراب ويلعب بالكلاب ولا يعرف من الدين موطيء قدمه مع معرفته بليله ونهاره واعلانه وأسراره وعلمه بمنزلة الحسين عليه السلام من الله عز وجل ومكانته من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومحله في نفوس المؤمنين ، على أنه كان يومئذ في المهاجرين والانصار وبقية البدريين وأهل بيعة الرضوان جم غفير وعدد كثير كلهم قارىء للقرآن عالم بمواقع الاحكام خبير بالسياسة حقيق على رأي الجمهور بالخلافة والرياسة ، فلم يراع سابقتهم في الاسلام ولا عناءهم في تأييد الدين وأمَّر عليهم شريره المتهتك وسكيره المفضوح ، فكان منه في طف كربلاء مع سيد شباب أهل الجنة وخامس أصحاب الكساء ما أثكل النبيين وابكى الصخر الاصم دما ، ورمى المدينة الطيبة بمجرم ابن عقبة ، وكان أبوه معاوية قد عهد [٦٥] بذلك اليه كما نص عليه جماعة [٦٦] فكانت أمور تكاد السماوات يتفطرن منها . وحسبك انهم أباحوا المدينة المنورة ثلاثة أيام حتى افتض فيها الف عذراء من بنات المهاجرين

في مسانيدهم وصحاحهم ، أما البخاري فقد احتج به في كتاب الجهاد والسير في باب قوله تعالى « فان لله خمسه وللرسول » من صحيحه ، واحتج به أيضا في أول باب وصل الشعر من كتاب اللباس ، وفي مواضع أخر لا تخفى على المتتبع .

(٦٥) غير مبال بدعاء النبي صلى الله عليه وآله وسلم على من أخاف أهل المدينة ، ولا مكترث بقوله (ص) « من أخاف أهل المدينة أخافه الله عز وجل وعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفا ولا عدلا » أخرجه احمد من حديث السائب بن خلاد بطريقين في صفحة ٥٦ من الجزء ٤ من مسنده .

(٦٦) منهم الامام ابن جرير الطبري في الصفحة الاخيرة من حوادث

والانصار ، كما نص عليه السيوطي في تاريخ الخلفاء وعلمه جميع الناس (٦٧) ، وقتل يومئذ من المهاجرين والانصار وأبناءهم وسائر المسلمين اللائذين بضريح سيد النبيين صلى الله عليه وآله وسلم ١٠٧٨٠ رجلا ، ولم يبق بعدها بدري (٦٨) ، وقتل من النساء والصبيان عدد كثير ، وكان الجندي يأخذ برجل الرضيع فيجذبه من أمه ويضرب به الحائط فينتشر دماغه على الارض وأمه تنظر اليه (٦٩) ، ثم أمروا بالبيعة ليزيد ، على أنهم خول وعبيد ان شاء استرق وان شاء اعتق ، فبايعوه على ذلك وأموالهم مسلوبة ورحالهم منهوبة ودماؤهم مسفوكة ونساؤهم مهتوكة ، وبعث مجرم بن عقبة برؤوس أهل المدينة الى يزيد ، فلما القيت بين يديه قال :

سنة ٦٣ في أوائل الجزء ٧ من تاريخه ، وابن عبد ربه المالكي حيث ذكر وقعة الحرة في الجزء الثاني من العقد الفريد .

(٦٧) حتى قال ابن الطقطقي في صفحة ١٠٧ من تاريخه المعروف بالفخري ما هذا لفظه : فقيل ان الرجل من أهل المدينة بعد ذلك كان اذا زوج ابنته لا يضمن بكارتها ويقول لعلها افتضت في وقعة الحرة ا هـ . وقال الفاضل الشبراوي في صفحة ٦٦ من كتابه الاتحاف : وافتض فيها نحو الف بكر وحمل فيها من النساء اللاتي لا أزواج لهن نحو من الف امرأة . وقال ابن خلكان وقد ذكر الحرة في ترجمة يزيد بن القعقاع القارىء المدني من وفياته ما هذا لفظه : كان يزيد بن معاوية في مدة ولايته قد سير الى المدينة جيشا مقدمه مسلم بن عقبة المري فنهبها واخرج أهلها الى هذه الحرة ، فكانت الوقعة بها وجرى فيها ما يطول شرحه ، وهو مسطور في التواريخ حتى قيل انه بعد وقعة الحرة ولدت أكثر من الف بكر من أهل المدينة بسبب ما جرى فيها من الفجور .

(٦٨) نص على ذلك ابن قتيبة في كتاب الامامة والسياسة وغير واحد من أهل الاخبار .

ليت اشياخي ببدر شهدوا : الابيات [٧٠] .

ثم توجه مجرم لقتال ابن الزبير فهلك في الطريق ، وتأمر بعده الحصين ابن نمير بعهده من يزيد ، فأقبل حتى نزل على مكة المعظمة ونصب عليها العرادات والمجانيق [٧١] وفرض على اصحابه عشرة آلاف صخرة في كل يوم يرمونها بها ، فحاصروهم بقية المحرم وصفر وشهري ربيع يغدون على القتال ويروحون ، حتى جاءهم موت يزيد وكانت المجانيق اصابت جانب البيت فهدمته مع الحريق الذي اصابه .

وفظائع يزيد من أول عمره الى انتهاء أمره أكثر من ان تحويها الدفاتر ، أو تحصيها الاقلام والمحابر ، قد شوهت وجه التاريخ وقبحت صحائف السير ، وكان أبوه يرى كلابه وقرده وصقوره وفهوده ويعلع على خموره وفجوره ، ويشاهد الفظائع من كل أموره ويعاين لعبه من الغواني ويعرف خبثه بكل المعاني ، ويعلم أنه ممن لا يؤتمن على نقير ولا يولى أمر قطمير ، فكيف رفعه والحال هذه الى أوج الخلافة وأحله عرش الملك والامامة وملكه رقاب المسلمين وسلطه على احكام الدنيا والدين ، فغش بذلك أمته ولم ينصح رعيته وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فيما أخرجه البخاري في الورقة الاولى من كتاب الاحكام من صحيحه [٧٢] : ما من وال يلي رعية من المسلمين فيموت وهو غاش لهم إلا حرم الله عليه الجنة . وقال صلى الله عليه وآله

---

(٧٠) أرسال رؤوس أهل المدينة الى يزيد وانشاده ابيات ابن الزبعري مشهور مستفيض ، وقد ذكره ابن عبد ربه في أواخر وقعة الحرة من العقد الفريد ، ونقل هناك اعتراف يزيد بارتداده عن الاسلام .

(٧١) ذكر ذلك ابن قتيبة في صفحة ٢١٤ من كتابه الامامة والسياسة .

(٧٢) في صفحة ٢٥٠ من جزئه الرابع .

وسلم فيما أخرجه احمد من حديث أبي بكر في صفحة ٦ من الجزء الاول من مسنده : من ولي من أمور المسلمين شيئا فأمر عليهم أحدا محاباة فعليه لعنة الله لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا حتى يدخله جهنم .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه البخاري في تلك الورقة أيضا : ما من عبد استرعاه الله رعية فلم يحطها بنصيحة الا لم يجد رائحة الجنة . والجمهور يعذرونه في ذلك بناء على اجتهاده ، كما عذر بعضهم في وقعتي الطف والحرة أكفر أولاده (٧٣) .

وعذروه أيضا في قتله عباد الله الصالحين كعمرو بن الحمق الخزاعي ، وكان بحيث ابلته العبادة ورأسه أول رأس حمل في الاسلام ، قتله (وهو من

---

(٧٣) بل اعتقد قوم من الجمهور أن يزيد كان من أولياء الله ، وان من توقف فيه وقفه الله على نار جهنم ، فراجع ما حكاه ابن تيمية عنهم في الرسالة ٧ من مجموعة الرسائل الكبرى في صفحة ٣٠٠ من جزئها الاول . ونقل القسطلاني في باب ما قيل في قتال الروم من كتاب الجهاد من ارشاد الساري في شرح صحيح البخاري في صفحة ٢٣٠ من جزئه السادس عن المهلب انه كان يقول بثبوت خلافة يزيد وانه من أهل الجنة . ونقل ابن خلدون في صفحة ٢٤١ أثناء الفصل الذي عقده في مقدمته لولاية العهد عن القاضي ابي بكر ابن العربي المالكي أنه قال في كتابه الذي سماه بالعواصم والقواصم ما معناه أن الحسين قتل بشرع جده (ص) . وذكر ابن الاثير في عده حوادث سنة ٥٨٣ في آخر ورقة من الجزء ١١ من كامله أن في تلك السنة مات عبد المغيث بن زهير ببغداد قال : وكان من أعيان الحنابلة قد سمع الحديث الكثير وصنف كتابا في فضائل يزيد بن معاوية أتى فيه بالعجائب ، وقد رد عليه أبو الفرج ابن الجوزي وكان بينهما عداوة اهـ قلت : والذين عذروا يزيد من أوليائه واعتذروا عنه كثيرون ، منهم ابن تيمية فيما تقدمت اليه الاشارة من رسالته السابعة والغزالي في الآفة الثامنة من كتاب آفات اللسان من احياء العلوم في صفحة ١١٢ من جزئه الثالث .

خيار الصحابة) بحبه عليا عليه السلام ، وكحجر بن عدي الكندي وكان من فضلاء الصحابة أيضا ، قتله واصحابه البررة الاتقياء اذ لم يلعنوا له عليا عليه السلام ، ومعاوية هو الذي قتل الحسن سلام الله عليه بسم دسه اليه ، فسقته إياه بنت الاشعث عليها اللعنة ، علم بذلك كافة اهل البيت وشيعتهم واعترف به جماعة من غيرهم .

قال أبو الحسن المدائني (كما في أوائل الجزء ١٦ من شرح النهج لابن أبي الحديد في الصفحة ٤ من المجلد ٤ طبع مصر) : كانت وفاة الحسن سنة ٤٩ وكان مريضا ٤٠ يوما وكان سنه ٤٧ سنة ، دس اليه معاوية سما على يد جعدة بنت الاشعث ، وقال لها : ان قتلتيه بالسم فلك مائة الف وأزوجك يزيد ، فلما مات وفى لها بالمال ولم يزوجها من يزيد وقال : أخشى ان تصنعي بابني ما صنعت بابن رسول الله (ص) اهـ .

ونقل المدائني عن الحصين بن المنذر الرقاشي (كما في صفحة ٧ من المجلد الرابع من شرح النهج طبع مصر أيضا) : أنه كان يقول : والله ما وفى معاوية للحسن بشيء مما أعطاه قتل حجرا واصحابه وبايع لابنه يزيد ، وسم الحسن اهـ .

وقال أبو الفرج الاصفهاني المرواني في كتابه مقاتل الطالبيين حيث ذكر السبب في وفاة الحسن عليه السلام ما هذا لفظه : وأراد معاوية البيعة لابنه يزيد ، فلم يكن شيء أثقل عليه من أمر الحسن بن علي وسعد بن أبي وقاص ، فدس اليهما سما فماتا منه الخ .

وفي صفحة ١٧ من المجلد ٤ من شرح ابن أبي الحديد طبع مصر ما يلفت الانظار في هذا المقام فراجعه لتعلم ما قلناه .

وروى ابن عبد البر في ترجمة الحسن من استيعابه عن قتادة وأبي بكر ابن حفص أن بنت الاشعث سقت الحسن بن علي السم ، ثم قال : وقالت طائفة كان ذلك منها بتدسيس معاوية اليها وما بذل لها في ذلك اهـ . والاخبار في ذلك لاتحتملها هذه العجالة .

ولو أردنا أن نستوفي من قتلهم معاوية من المصلحين وأولياء الله (٧٤) صبرا وأبادهم غدرا واستأصلهم عتوا وطحنهم حربا وسمل أعينهم ظلما وقطع أيديهم وأرجلهم بغيا واستل ألسنة لهم تنطق بالحق عنادا واسقط شهاداتهم زورا وتقوّل عليهم افتراء وطلق حلائلهم مكرا وأخذ أموالهم سلبا وصاح في حجراتهم نهبا وهدم دورهم عشيا واقصاهم نفيا واوسعهم ذلا وضيق عليهم حبسا ودفنهم أحياء ولعنهم على المنابر أمواتا ـ لافنينا المحابر واستغرقنا الصحف والدفاتر ثم لم نبلغ غايتنا المقصودة ولم نظفر بضالتنا المنشودة . وكذلك لو أردنا ان نتصدى للاحكام التي بدّلها والحدود التي عطلها والبوائق التي أرتكبها والفواقر التي احتقبها والدواهي التي حدثت في زمانه والغاشمين الذين اشركهم في سلطانه كابن شعبة وابن العاص وابن سعيد وابن ارطاة وابن جندب ومروان وابن السمط وزياد وابن مرجانة والوليد الذين فعلوا الافاعيل وقهروا الامة بالاباطيل وساموا عباد الله سوء العذاب يذبحون

(٧٤) لم يقتصر معاوية على أولياء الله في سبيل سياسته حتى قتل في ذلك اخص اوليائه به وأشدهم ملازمة له عبد الرحمن بن خالد بن الوليد ، حارب معه في صفين وحالفه على عداوة امير المؤمنين ثم بعدها باعه بالتافه الزهيد وقتله مخافة ان ترغب الناس به عن يزيد ، وقصته مشهورة عند أهل الاخبار مستفيضة بين أهل السير والآثار ، فراجع ترجمة عبد الرحمن من الاستيعاب تجد التفصيل .

أبناءهم ويستحين نساءهم ، وحسبك ما أجمع اهل الاخبار على نقله واتفق أهل العلم على صدوره من بعثه بسرا سنة اربعين لا ستئصال من في اليمن من عباد الله الصالحين ، فراجع ما شئت من كتب الأخبار ولاحظ ما يحضرك مما يشتمل على أحداث تلك السنة من كتب الآثار ، لتعلم فظاعة هذه الواقعة وتعرف كنه ما كان يوم هذه الفاجعة ، من قتل الشيوخ الركع وذبح الاطفال الرضع ونهب الاموال وسبي العيال ، وما يُنسىَ فلا ينس ما فعله يومئذ بنساء همدان ، إذ سباهن فأقمن (كما في ترجمة بسر من الاستيعاب) في السوق ، وكشف عن سوقهن فأيتهن كانت أعظم ساقا اشتريت على عظم ساقها .

قال في الاستيعاب : فكنَّ أول مسلمات سبين في الاسلام ، وما أدري هذه افظع وأوجع أم ما فعله بطفلي عبيدالله بن العباس ، وكان عبيد الله يومئذ عاملا لأمير المؤمنين على اليمن فهرب اليه من بسر ، واستخلف عبد الله بن عبد المدان الحارثي وكان جد الطفلين لامهما ، فقتله بسر فيمن قتلهم يومئذ من الالوف المؤلفة من خيار الناس وقتل ابنه ، وبحث عن الطفلين فوجدهما عند رجل من كنانة في البادية ، فلما أراد بسر قتلهما قال له الكناني (كما في تاريخ ابن الاثير) لِمَ تقتلهما وهما طفلان لا ذنب لهما ، فان كنت قاتلهما فأقتلني معهما ، فقتله ثم ذبحهما بين أيدي أمهما (٧٥) فهامت على وجهها جنونا مما نالها تأتي الموسم تنشدهما فتقول :

يا من أحسَّ بابنيَّ اللذين هما ... كالدرتين تشظى عنهما الصدف

يامن أحسَّ بابنيَّ اللذين هما ... مخ العظام فمخي اليوم مزدهف

يامن أحسنَّ بابنيَّ اللذين هما ... قلبي وسمعي فقلبي اليوم مختطف

---

(٧٥) كذا في ترجمة بسر من الاستيعاب .

من دل والهة حيري مدلهة [٧٦] على صبيين ذلا إذ غدا السلف

نبئت بسرا وما صدقت ما زعموا من إفكهم ومن الاثم الذي اقترفوا

احنى [٧٧] على ودجي ابني مرهفة مشحوذة وكذاك الاثم يقترف

وقالت له امرأة من كنانة لما ذبحهما (كما في تاريخ ابن الاثير) : يا هذا قتلت الرجال فعلى م تقتل هذين ؟ ! والله ما كانوا يقتلون في الجاهلية والاسلام والله يابن ابي ارطاة ان سلطانا لا يقوم الا بقتل الصبي الصغير والشيخ الكبير ونزع الرحمة وعقوق الارحام لسلطان السوء .

قال ابن الاثير : فلما سمع أمير المؤمنين بقتلهما جزع جزعا شديدا ودعا على بسر فقال اللهم اسلبه دينه وعقله . قال فأصابه ذلك فكان يهذي بالسيف فيؤتى بسيف من خشب ويجعل بين يديه زق منفوخ فلا يزال يضربه ، ولم يزل كذلك حتى مات اهـ . الى غيرذلك من بوائق معاوية واعوانه وجرائم وزرائه ومقوية سلطانه ، وكان أحدهم يقتل الالوف من أفاضل الرجال ويعمل الاعمال التي يهتز منها عرش العظمة والجلال ثم لا يستعظم ما احتقب ولا يتأثم مما ارتكب .

أخرج الامام الطبري في أحداث سنة خمسين من تاريخه [٧٨] بالاسناد الى محمد بن سليم قال : سألت انس بن سيرين هل كان سمرة قتل أحدا ؟ قال : وهل يحصى من قتلهم سمرة بن جندب ، استخلفه زياد على البصرة ستة أشهر حين كان واليا عليها وعلى الكوفة من قبل معاوية وأتى الكوفة فجاء وقد قتل ثمانية آلاف من الناس . فقال له زياد : هل تخاف أن تكون قتلت

(٧٦) الذاهبة العقل .
(٧٧) كذا في رواية ابن الاثير وفي رواية الاستيعاب وأبي الفداء انحى .
(٧٨) في صفحة ١٢٢ من جزئه السادس .

أحدا بريئا ؟ قال : لو قتلت اليهم مثلهم ما خشيت اهـ .

وأخرج هناك أيضا بالاسناد الى أبي سوار العدوي قال : قتل سمرة من قومي في غداة سبعة واربعين رجلا قد جمع القرآن اهـ .

وأخرج هناك أيضا بأسناده عن عوف قال : أقبل سمرة من المدينة ، فلما كان عند دور بني أسد خرج رجل من بعض أزقتهم ففاجأ أول الخيل ، فحمل عليه رجل من القوم فأوجره الحربة عبثا وعتوا . قال : ثم مضت الخيل فأتى عليه سمرة بن جندب وهو متشحط بدمه فقال : ما هذا ؟ قيل : أصابته أوائل خيل الامير ، قال عتوا واستكبارا : اذا سمعتم بنا قد ركبنا فأتقوا أسنتنا اهـ .

وهذه القضايا متفق على صدورها من سمرة نقلها كل من أرخ حوادث سنة الخمسين ، كابن جرير وابن الاثير وامثالهما . واذا كانت هذه أعمال سمرة في ستة أشهر وهو ثقة البخاري ودليله على دين الباري قد أحتج به في الورقة الثالثة من كتاب بدء الخلق من صحيحه (٧٩) .

وجزم بعدالته (٨٠) في ظاهر القول وصريحه ، فما ظنك بأعمال زياد بن

---

(٧٩) في آخر صفحة ١٣٨ من جزئه الثاني قبل باب ما جاء في صفة الجنة بأربعة أحاديث ، واحتج به في موارد يعرفها المتتبع ، ونص الامام محمد بن القيسراني في كتابه « الجمع بين كتابي ابي نصر الكلاباذي وابي بكر الاصفهاني » على احتجاج البخاري ومسلم كليهما في سمرة بن جندب مع ماله من الاعمال ، فراجع أحواله في الجزء الرابع من شرح النهج للعلامة ابن أبي الحديد في السطر الاول من صفحة ٣٦٣ من المجلد الاول طبع مصر لتعلم الحقيقة ، ولو سبرت من قبل تلك الصفحة الى ما بعدها بوريقات لعلمت أحوال جملة من رجال البخاري كأبن العاص والمغيرة ومروان وابي هريرة وغيرهم من عمال معاوية وأوليائه .

(٨٠) مع ما ثبت عنه من المساويء التي من جملتها بيع الخمر على عهد عمر فيما رواه المحدثون ، وأخرجه احمد بن حنبل من حديث عمر بن الخطاب

سمية الخبيث الفاسق بأجماع البرية ، وقد ولاه معاوية (كما نص عليه الطبري [٨١] في أحداث سنة خمسين من تاريخه) اعمال الكوفة والبصرة والمشرق كله ، وسجستان وفارس والسند والهند ، فكم حرة في تلك الولاية هتكت ، وكم حرمة لله انتهكت ، وكم دماء زكية سفكت ، وكم شرعة اندرست وكم بدعة أسست ، وكم أعين سملت وايد وارجل قطعت و . . و . . و . . ؟!الى مالا يحصى من الاعمال البربرية والفظائع الاموية التي تقشعر لها جلود البرية ويتصدع بها قلب الانسانية .

لكن الجمهور لما بنوا على اجتهاد معاوية عذروه في أعمال عماله ، ولم يخدش في عدالته عندهم بوائقه ولا بوائق رجاله .

وعذروه أيضا في حربه عليا عليه السلام ، وهو أخو النبي ووصيه ونفسه في آية المباهلة ووليه بعد انعقاد البيعة له حتى قتل من المسلمين ألوف مؤلفة ، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه البخاري [٨٢] ومسلم في صحيحيهما «سباب المسلم فسوق وقتاله كفر» [٨٣] وقال صلى الله عليه

في صفحة ٢٥ من الجزء الاول من مسنده قال : ذكر لعمر أن سمرة باع خمرا . فقال : قاتل الله سمرة ان رسول الله قال لعن الله اليهود حرمت عليهم الشحوم فباعوها .

(٨١) في صفحة ١٣٤ من جزئه السادس .

(٨٢) راجع من صحيح البخاري باب قول النبي (ص) لاترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض من كتاب الفتن في الجزء الرابع وراجع من صحيح مسلم كتاب الايمان .

(٨٣) فان قلت : كيف قاتل علي عليه السلام كلا من أهل الشام والبصرة والنهروان وهم مسلمون ؟ قلت : انما قاتلهم عملا بقوله تعالى « فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى امر الله » ولا ريب ببغي معاوية واصحابه بدليل قتلهم لعمار ، على ان بغيهم اوضح من النهار .

وآله وسلم يوم جلل عليا وفاطمة والحسن والحسين بالكساء فيما ذكره ابن حجر في صواعقه (٨٤) وابو بكر بن شهاب الدين في رشفته من جملة حديث : « أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم » (٨٥) وقال صلى الله عليه وآله وسلم : « حرب علي حربي وسلمه سلمي » الى غير ذلك من الصحاح التي لا حاجة الى أيرادها لتواترها بين المسلمين .

وعذروه أيضا في لعنه بقنوت الصلاة رجالا اذهب عنهم الرجس محكم التنزيل وهبط بتطهيرهم جبرائيل وباهل بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأمر ربه الجليل ، أولئك الذين فرض الله مودتهم واوجب الرسول ولا يتهم ، وهم أحد الثقلين اللذين لا يضل من تمسك بهما ولا يهتدي الى الله من ضل عنهما ، ألا وهم أمير المؤمنين أخو الرسول ووليه وصاحب العناء بتأسيس دينه ووصيه ومن شهد الرسول بأنه يحب الله ورسوله ، وأنه منه بمنزلة

وأيضا أخرج مسلم في باب حكم من فرق أمر المسلمين وهو مجتمع من كتاب الامارة من صحيحه عن عرفجة قال : سمعت رسول الله (ص) يقول: من أتاكم وأمركم مجمع على رجل واحد يريد ان يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فأقتلوه اهـ . وقال ابن عبد البر في ترجمة علي من الاستيعاب ما هذا لفظه : وروى من حديث علي ومن حديث ابن مسعود ومن حديث ابي أيوب الانصاري انه « يعني عليا » أمر بقتال الناكثين « يوم الجمل » والقاسطين « يوم صفين » والمارقين « يوم النهروان » قال : وروي عنه انه قال : ماوجدت الا القتال أو الكفر بما أنزل الله اهـ .

(٨٤) في الآية الاولى من الآيات التي أوردها في الفصل الاول من الباب الحادي عشر .

(٨٥) واخرج احمد بن حنبل من حديث ابي هريرة في صفحة ٤٤٢ من الجزء الثاني من مسنده ان رسول الله (ص) نظر الى علي وفاطمة والحسن والحسين فقال : أنا حرب لمن حاربكم وسلم لمن سالمكم .

هارون من موسى ، وولداه سبطا رسول الله وريحانتاه الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة .

ولعن معهم عبد الله بن عباس حبر هـذه الامة ، مع ما علم من وجوب تعظيمهم بحكم الضرورة من دين الاسلام وما ثبت بالعيان من شرف مقامهم لدى سيد الانام ، وكيف لا يكونون كذلك وهم أهل بيت النبوة وموضع الرسالة ومختلف الملائكة ومهبط الوحي ومعدن الرحمة .

وما اكتفى بذلك حتى أمر بلعن أمير المؤمنين عليه السلام في كـل كورة وترك ذلك سنة على أعوادها في كل عيد وجمعة ، وما زالت الخطباء في جميع الانحاء تعد تلك البدعة المكفرة جزء من الخطبة الى سنة ٩٩ فأزالها خير بني مروان عمر بن عبد العزيز . وهذا كله معلوم بالضرورة مقطوع فيه بحـكم البداهة قد أجمع اهل العلم على صدوره واتفقت كلمة أهل السير على نقله ، فراجع ما شئت من كتب الاخبار لتعلم ان المسألة كضوء النهار .

وكان الحسن قد شرط على معاوية اذ أصطلحا شروطا منها أن لايشتم أباه فلم يجبه الى هذه واجابه الى ما سواها ، فطلب الحسن أن لا يشتم عليا وهو يسمع ، قال ابن الاثير وابن جرير وابو الفداء وابن الشحنة وكـل من ذكر صلح معاوية والحسن : فأجابه الى ذلك ثم لم يف له به اهـ .

بل شتم عليا والحسن على منبر الكوفة ، فقام الحسين ليرد عليه فأجلسه الحسن عليهما السلام ، ثم قام بأبي هو وأمي ففضح معاوية وألقمه حجرا ، وهذه القضية ذكرها أبو الفرج الاصفهاني في مقاتل الطالبيين وكثير من أهل السير والاخبار ، ولم يزل معاوية يلعن أمير المؤمنين أمام البر والفاجر ويحمل عليها الاصاغر والاكابر حتى أمر سعد بن أبي وقاص فيما أخرجه مسلم في

باب فضائل علي من صحيحه بالاسناد الى عامر بن سعد قال : أمر معاوية بن أبي سفيان سعد بن أبي وقاص فقال : ما منعك أن تسب أبا تراب ؟ فقال : أما ما ذكرت ثلاثا قالهن له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلن أسبه لان تكون لي واحدة منهن أحب الي من حمر النعم ــ الحديث (٨٦) .

وأمر الاحنف بن قيس فقال له كما نص عليه جماعة منهم أبو الفداء في أحداث سنة ٦٧ من تاريخه : والله لتصعدن المنبر ولتلعننه طوعا أو كرها ، فكان بينهما كلام أفضى الى خوف معاوية من الفضيحة اذا أستوى الاحنف على المنبر فأعفاه من ذلك . وقد علم الناس كافة أن معاوية لم يقتل حجرا وأصحابه الابدال إلا لا متناعهم عن لعن أمير المؤمنين وسيد الوصيين ، ولو أجابوه الى لعنه لحقنت دماؤهم ، فراجع مقتل حجر في أول الجزء ١٦ من كتاب الاغاني لابي الفرج المرواني ، وفي أحداث سنة ٥١ من تاريخ ابن جرير وابن الاثير وغيرهما لتعلم الحقيقة ، وتعرف ان عبد الرحمن بن حسان العنزي لما أبى وامتنع عن لعن علي عليه السلام في مجلس معاوية أرسله الى زياد وأمره أن يقتله شر قتلة ، فدفنه حيا ، وما زال يلعن عليا على رؤوس الاشهاد ، ويحمل على لعنه بالترهيب والترغيب كافة العباد في كافة البلاد . هذا مع ما صح من قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم : «من سب عليا فقد سبني» أخرجه الحاكم وصححه ، وهو عندنا من المتواترات ، وأخرج النسائي في صفحة ١٧ من الخصائص العلوية وابن حنبل في صفحة ٣٢٣ من الجزء السادس من مسنده من حديث أم سلمة عن عبد الله أو أبي عبدالله الجدلي قال : دخلت

(٨٦) واخرجه النسائي في الصفحة الثانية من الخصائص العلوية ، وهو منقول عن الترمذي وعن الجمع بين الصحيحين والجمع بين الصحاح الستة .

على أم سلمة فقالت لي أيسب رسول الله فيكم ؟ ! قلت : معاذ الله أو سبحان الله أو كلمة نحوها . قالت : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من سب عليا فقد سبني (٨٧) اهـ .

وقال ابن عبد البر في ترجمة علي من أستيعابه ما هذا لفظه : وقال صلى الله عليه وآله وسلم : من أحب عليا فقد أحبني ومن أبغض عليا فقد أبغضني ، ومن آذى عليا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله اهـ (٨٨) .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه الطبراني وغيره : ما بال أقوام يبغضون عليا ومن أبغض عليا فقد أبغضني ومن فارق عليا فقد فارقني ، ان عليا مني وأنا منه ، خلق من طينتي وخلقت من طينة ابراهيم ، ذرية بعضها من بعض والله سميع عليم . يا بريدة أما علمت أن لعلي أفضل من الجارية التي أخذ وهو وليكم بعدي .

وقال صلى الله عليه وآله وسلم فيما أخرجه الترمذي والحاكم وغيرهما (كما في الفصل الثاني من الباب ٩ من الصواعق) عن عمران بن حصين أن رسول الله قال : ما تريدون من علي ما تريدون من علي ما تريدون من علي ، ان عليا مني وأنا منه ، وهو ولي كل مؤمن بعدي .

وفي ترجمة علي (ع) من الاستيعاب ما هذا نصه : وروى طائفة من الصحابة أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال لعلي رضي الله عنه : لا يحبك الا مؤمن ولا يبغضك الا منافق . قال : وكان علي رضي الله عنه يقول :

---

(٨٧) هذه الفضيلة من خصائص أمير المؤمنين ، ولذلك أوردها النسائي في خصائصه ، وبها وبأمثالها نكفر الخوارج واشباههم .

(٨٨) واخرج ابن خالويه في كتاب الآل عن ابن عباس وابو يعلى والبزاز عن سعد بن أبي وقاص والطبراني عن أم سلمة نحوه .

والله انه لعهد النبي الامي أنه لا يحبني الا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق اهـ .

قلت : وأخرجه مسلم في كتاب الايمان من صحيحه ، وقد تواتر قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « من كنت مولاه فعلي مولاه (٨٩) اللهم وال من والاه وعاد من عاداه وانصر من نصره واخذل من خذله وادر الحق معه حيث دار » اهـ .

ومقامنا لا يسع استقصاء ما جاء في وجوب موالاته ولا يفي باستيفاء ما دل على تحريم معاداته ، فنلفت الراغب في ذلك من أخواننا المسلمين الى ما أودعناه في كتابنا سبيل المؤمنين ، فانه متكفل بالتفصيل متعهد باقامة البرهان والدليل على أن هذا المقدار كاف لاولي الابصار ، واذا صح اجتهاد معاوية في مقابل هذه الاحاديث الصحيحة وجاز تأوله في عرض تلك النصوص الصريحة ، فتأول من يستفرغ وسعه في التعبد بالادلة ويستغرق جهده في العمل بقواعد الملة أولى بالصحة وأحق بالجواز على أن افعاله لم تكن الا لطلب الملك (٩٠) وانتزاعه من أهله وعداوته لعلي انما هي ناشئة عن الاحقاد البدرية والضغائن الجاهلية .

---

(٨٩) قد أعترف به صاحب الفتاوي الحامدية بتواتره وعده من المتواترات في رسالته المختصرة الموسومة بالصلاة الفاخرة بالاحاديث المتواترة ، وكذلك الحافظ السيوطي وغيره .

(٩٠) وقد صرح معاوية به يوم النخيلة حيث قال من جملة خطبه خطبها يومئذ : والله اني ما قاتلتكم لتصلوا ولا لتصوموا ولا لتحجوا ولا لتزكوا وانما قاتلتكم لا تأمر عليكم ، وقد اعطاني الله ذلك وانتم كارهون .

رواه الاعمش عن عمرو بن مرة عن سعيد بن سويد ، ونقله اهل الاخبار وكان عبد الرحمن بن شريك اذا حدث بذلك يقول : هذا والله التهتك ـ فراجع صفحة ١٦ من المجلد ٤ من شرح النهج الحديدي المطبوع في مصر .

وأما المتأولة من فقراء المسلمين ومساكين أهل الدين فانه لا طمع لهم بملك ، ولا أمل لهم بسلطان ولا ثار لهم يطلبونه ولا غرض لهم سوى الحق يقصدونه ، وقد أقتفوا أثر البرهان واتبعوا أدلة أهل الايمان فان أصابوا فمأجورون وان أخطأوا فمعذورون . وهذا آخر ما أردناه في هـذا الفصل فأحكموا أيها المنصفون بالعدل . والسلام على من أتبع الهدى وخشي عواقب الردى ورحمة الله وبركاته .

فصـــل

٩

فيمن أفتى بكفر الشيعة وتفصيل ما أستدل به على ذلـك ، والغرض استئصال بذور الشقاق بأيضاح خطأه واجتثاث ارومة الافتراق ببيان اشتباهه حرصا على أن لا يكال بصاعه ، واتقاء من تصديقه واتباعه ، وقد اقتصرنا من ذلك على ما وجدناه في باب الردة والتعزير من الفتاوي الحامدية وتنقيحها بأمضاء الشيخ نوح الحنفي لا شتهار هذين الكتابين ورجوع من بأيديهم منصب الفتوى في المملكة المحروسة اليهما .

قال في جواب من سأله عن السبب في وجوب مقاتلة الشيعة وجواز قتلهم : إعلم أسعدك الله أن هؤلاء الكفرة والبغاة الفجرة جمعوا بين اصناف الكفر والبغي والعناد وأنواع الفسق والزندقة والالحاد ، ومن توقف في كفرهم والحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافر مثلهم .

قال : وسبب وجوب قتالهم وجواز قتلهم البغي والكفر معا ، أما البغي فأنهم خرجوا عن طاعة الامام خلد الله تعالى ملكه الى يوم القيامة ، وقد قال الله تعالى : « فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء الى أمر الله » ، والامر للوجوب

فينبغي للمسلمين اذا دعاهم الامام الى قتال هؤلاء الباغين الملعونين على لسان سيد المرسلين أن لا يتأخروا عنه بل يجب عليهم أن يعينوه ويقاتلوهم معه .

قال : وأما الكفر فمن وجوه : منها أنهم يستخفون بالدين ويستهزئون بالشرع المبين ، ومنها أنهم يهينون العلم والعلماء ، ومنها انهم يستحلون المحرمات ويهتكون الحرمات ، ومنها أنهم ينكرون خلافة الشيخين ويريدون أن يوقعوا في الدين الشين ، ومنها أنهم يطولون ألسنتهم على عائشة الصديقة رضي الله تعالى عنها ويتكلمون في حقها مالا يليق بشأنها (من أمر الافك) مع أن الله تعالى أنزل عدة آيات في براءتها (قال والله يعلم أنه كاذب فيما قال) فهم كافرون بتكذيب القرآن العظيم وسابون النبي ضمنا بنسبتهم الى أهل بيته هذا الامر العظيم ، ومنها أنهم يسبون الشخين سود الله وجوههم في الدارين . . . الى أن قال : فيجب قتل هؤلاء الاشرار الكفار تابوا أو لم يتوبوا ، ثم حكم بأسترقاق نسائهم وذراريهم اهـ .

قلت : هذا الذي لا تبرك الابل على مثله ، هذا الذي لا تقوم السماء والأرض بحمله ، هذا الذي لا يتسنى للغيور أن يقيم في أرض ينشر فيه ، هذا الذي لا يستطيع الحمي أن يستظل بسماء تشرق شمسها على معتقديه ، هذا الذي ما أنزل الله به من سلطان ، هذا الذي يأباه الله ورسوله وكل ذي وجدان ، هذا هو الاختلاف الذي ليس بعده ائتلاف ، هذا هو الافتراق الذي ليس بعده اتفاق ، هذا هو المحاربة التي ليس بعدها مصاحبة . هذا والله الافك والبهتان ، هذا والله الظلم والعدوان .

بجدك قل لي هل درى صاحب الفتوى أي دماء من أهل الشهادتين سفكها ، وأي حرائر قانتات هتكها ، وأي حرمات لله عز وجل انتهكها ، وأي

صبية من بني الاسلام سلبها ، وأي أموال مزكيات نهبها ، وأي ديار معمورة بالصلاة وتلاوة القرآن خربها ، وأي كبد لرسول الله بذلك فراها ، وأي عين لآل محمد صلى الله عليه وآله وسلم بفتواه أقذاها ، وأي فتنة بين المسلمين أججها ، وأي حرب بينهم ألجمها واسرجها ، وأي شوكة لهم بذلك كسرها ، وأي دولة لاعدائهم أعزها ونصرها ، وأي مخالفة لحكم الله ارتكبها ، وأي أوزار بتكفيره للمسلمين احتقبها (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ؟ ! .

ولو درى الى أي غاية بلغ الشيعة في المحافظة على قوانين الدين ونواميس الشريعة ، أو علم الى أي أوج ارتقوا في الاحتياط بالاحكام ، أو الى أي حد انتهوا في التمسك بثقلي سيد الانام ، أو الى أي مرتبة اخذوا بالنسة السنية أو الى أي مقدار اقتدوا بالعترة الطاهرة الزكية ، لدعا بالويل والثبور وتمنى أن يكون قبل هذه البائقة من أهل القبور .

ظن الرجل انه قضى على الشيعة بعداوته ، وزعم أنه اسقطهم بافكه وبهتانه فطاش سهمه وظلت مطيته ، بل كان كالباحث عن حتفه بظلفه ، والجادع مارن أنفه بكفه .

أجل والله ما قضى إلا على مروءته ولا أسقط بأكاذيبه غير أمانته ، وقد افتضح بين علماء العالم واتضح تحامله بالزور لدى فضلاء بني آدم ، وكان كمبغضي الأنبياء إذ سطروا الاساطير افتراء عليهم وأعداء الاوصياء ، اذ ملأوا الطوامير في نسبة الاباطيل اليهم ، فما أثر ذلك فيهم الا رفعة ، ولا ازدادت شرائعهم الا عزاً ومنعة « سنة الله قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلا »

كان العزم على أن نربأ عن مناقشته ولا نلوث اليراع بمحاسبته لوضوح

افترائه وظهور ظلمه واعتدائه ، لكن اقتدينا بالكتاب الكريم والذكر الحكيم ، إذ تصدى للرد على كل أفاك أثيم فقال جل وعلا : « وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان ينفق كيف يشاء » الى غير ذلك مما كان في التنزيل من هذا القبيل .

ذكر الرجل لوجوب قتال الشيعة وجواز قتلهم سببين (البغي والكفر) وقد علم الله ورسوله وأولو الفضل من عباده أنه ظلم الشيعة بذلك وبغي عليهم ، كما افك اعداء الانبياء اذ نسبوا السحر والجنون اليهم ، ونحن نناشدكم الله أيها الناس متى كانت الشيعة غير خاضعة للسلطان ، وفي أي جهة من مملكته المحروسة كان ذلك منهم ، وبما بغوا عليه ؟ أرأيتموه تأخروا عن أداء الخراج ، أو توقفوا عن دفع الضرائب والاعشار والاعانات ، أو تخلفوا عن جهاد عدوه ، أو قصروا عن طليعة عساكره ، أو تقهقروا عن مقدمة جنوده ، أو خانوه في خدمة ، أو كفروا له نعمة ؟ ! كلا والله ما كان ذلك منهم ولا هو جائز عندهم ، والناصب الكاذب يعلم براءتهم منه [1] ويقطع بأنهم في غاية البعد عنه ، وانما أراد اغراء السلطان بهم وحمله على الوقيعة فيهم حرصا على استئصالهم ومبالغة في ابادتهم واحتياطا على أن لا يكون لهم نصيب من مراحم الدولة ولا حصة من عدل القانون ولا سهم من أنصاف الولاة ولا حظ من معاشرة العامة (ولا تحسبن الله غافلا عما

(١) يعلم الناصب وغيره أن الشيعة والسنة في الخضوع للسلطان وعدمه على حد سواء ، لان من كان منهما في مملكته فهو مطيع بحكم الوجدان والعيان ، ومن كان من كلا الطائفتين في ممالك الاجانب فهو ممنوع عن طاعته وأما شيعة ايران فكأهل السنة في مراكش وأفغان فأي فرق بين الشيعة والسنة في هذا الامر يا مسلمون ؟ .

يعمل الظالمون) .

وأما قوله بكفرهم فانه قول من لا يخاف من الله سطوة ولا يخشى منه نقمة ، قول لم يرجع فيه الى دين ولا عمل فيه بما تواتر عن سيد النبيين والمرسلين صلى الله عليه وآله وسلم من الحكم بالاسلام ، على كل من أقام الصلاة وآتى الزكاة وصام الشهر وحج البيت من أهل الشهادتين والايمان باليوم الآخر .

وقد أفردنا في أوائل هذه الرسالة فصلا لبيان معنى الاسلام والايمان ، وهو الفصل الثاني منها وأوردنا فيه وفي الفصول الثلاثة التي بعده طائفة من الصحاح الحاكمة بما قلناه ، وتكلمنا هناك بما يجدر بالباحث المدقق أن يقف عليه ، فالمرجو ممن وقف على هذا الفصل مراجعة تلك الفصول ، ليعلم أن قواعد الشريعة تحكم بأيمان الشيعة ، ويعرف ان الصحاح المتواترة تقضي بأحترامهم في الدنيا ونجاتهم في الآخرة .

وأما الوجوه التي اعتمد الناصب عليها في التكفير فانها من أوضح افراد الافك وافضح أنواع التزوير .

إفك لا يكون من صبي يرجى فلاحه ، وزور لا تأتي به أمة وكعاء الا أن تكون مدخولة العقل ، ونحن نذكر تلك الوجوه (وهي ستة) ونتكلم في كل منها بما يوجبه العلم وتقضي به الامانة :

الوجه الاول

زعم أن الشيعة تستخف بالدين وتهزأ بالشرع المبين ، وهذا قول لا يخفى زوره وإفك لايمطل ظهوره ، فان الشيعة أحوط الناس على الدين وأعظمهم

تقديسا للشرع المبين ، وتلك كتبهم في الاصول والفروع والتفسير والحديث تشهد (وقد ملأت ما بين الخافقين) لهم بذلك ، على ان هذا الامر غني عن البرهان بعد أن كان شاهده الحس والوجدان .

واذا أستطال الشيء قام بنفسه وصفات ضوء الشمس تذهب باطلا

وليته دلنا على الموارد التي استخف بها الشيعة من معالم الدين ، أو أخبرنا عن المقامات التي استهزؤا فيها بالشرع المبين . أتراهم استخفوا بالخالق تبارك وتعالى فشبهوه بخلقه تارة ، وجوزوا عليه القبيح أخرى ، أم استخفوا بالانبياء والاوصياء ، فنسبوا اليهم صلوات الله عليهم ما يليق بالاشقياء ، أم استخفوا بمقام سيد البشر فقالوا انه والعياذ بالله هجر ؟ ! .

كلا والله انهم لاعظم تقديسا لله واكبر تنزيها لانبيائه واكثر تعظيما لخلفائه ، واحكم قواعد في الاصول وأشد احتياطا في الفروع وأكثر تثبتا في قبول الحديث واحرز للواقع في كل ما يرجع للدين ، وانا ألفت الباحث الى أصول الامامية وفروعهم ليعلم الحقيقة ، على أن من ساح في بلادهم ، وجاس خلال ديارهم ير مواظبتهم على الصلاة والزكاة والصيام والحج وسائر الواجبات في جميع الاحوال رجالا ونساء كبارا وصغارا أحرارا ومماليك ، بحيث لا يتسامح في ذلك منهم إلا من سرى اليه الداء من معاشرة غيرهم ، ومن ترك فريضة من الصلوات الخمس أو أفطر يوما من شهر رمضان بلا عذر ، يعزر عندهم بخمس وعشرين سوطا فان أعاد عزر ثانيا فان أعاد قتل ، والاحوط تأخير إعدامه الى المرة الرابعة ، ولا يؤخر الى الخامسة (لو لم تكن الحدود معطلة) بأجماعهم .

هذا في غير المنكر أما المنكر لوجوب الصلاة أو الصوم أو الزكاة أو

الخمس أو الحج أو غيرها من الضروريات ، كحرمة الزنى واللواط والسرقة وشرب الخمر والغيبة والفساد في الارض واشباهها أو الشاك في شيء من ذلك فانه يقتل بمجرد الانكار أو الشك ، وقد امتازوا بالاستنابة عن الميت في الصلاة والصوم كما يستنيبون عنه في الحج ، وأوجبوا على وليه قضاء ما فاته من الصلاة والصوم في الجملة ، ولو علموا أن في ذمته زكاة أو خمسا أو مظالم أخرجوها من أصل ماله وان لم يوص بها كسائر الديون ، وهكذا احتياطهم في جميع العبادات والمعاملات والايقاعات وسائر الشرعيات ، فكيف يتسنى للناصب بعد هذا أن يرميهم بالاستخفاف بالدين والاستهزاء بالشرع المبين ، نعوذ بالله من سبات العقل وقبح الزلل ، وبه نستجير من بوائق العثرة وسوء الخطل ، أنه أرحم الراحمين .

الوجـه الثاني

أنهم يهينون العلم والعلماء ، سألتكم أيها المنصفون بالحقيقة التي ضيعها المرجفون هل سمعتم أوحش من هذا العدوان ، أو بلغكم أفحش من هذا البهتان ، أو رأيتم أحمق من هذا الدليل ، أو حدثتم بأسخف من هذا الوجه الساقط الرذيل ؟ أللشيعة يقال ذلك ؟ ! وهم الذين أسسوا العلوم ومهدوها وأحكموا المعارف وشيدوها وسبقوا بالتأليف فلم يلحقوا وعرجوا الى أوج الفضل فحلقوا ، فما من علم من العلوم الدينية الا وهم أصله وفرعه ، وما من فن من الفنون الاسلامية الا وهم معدنه (١) .

(١) من أبتغى تفصيل هذه الجملة والوقوف على حقيقتها فعليه بكتاب « تأسيس الشيعة » لمؤلفه شيخ المسلمين ومن انتهت اليه النوبة في الاستواء

وما أدري بأي شيء أهانوا العلم والمعارف أبالمدارس التي عمروها ، أم بالاوطان التي رغبة في العلم هجروها ، أم بالاعمار التي على التعلم قصروها أم بالافكار التي في خدمة العلم حصروها ، أم بالاموال التي في سبيله اتلفوها أم بالقرى التي على طلابه وقفوها ، أم بالقواعد التي أحكموها ، والاصول التي أبرموها ، والاحكام التي أقاموا دليلها ، والغاية التي اوضحوا للعالمين سبيلها ؟؟؟ .

وما أدري كيف رماهم باهانة العلماء مع شهادة البر والفاجر بأنهم أشد الناس للعلماء تعظيما ، وأعظم العالمين لهم تبجيلا ، لا يرجعون في الحوادث إلا اليهم ، ولا يعولون في أمور الدنيا والدين إلا عليهم .

نعم هناك من قضاة الرشوة وشيوخ الزور وعلماء السوء والمرجفين في المسلمين والناصبين للمؤمنين ، من لايسع المؤمن تعظيمه ولا تباح له موالاته ، فأهانته بالاعراض عنه وعدم اخذ الدين منه واجبة بأجماع المسلمين وحكم الضرورة من الدين ، على أنا ننقض على الناصب بنفسه اذ أهان بهذه الفتوى جميع علماء الشيعة وكافة حفاظ الشريعة ، بل أهان بقوله : « ومن توقف في كفرهم والحادهم ووجوب قتالهم وجواز قتلهم فهو كافر مثلهم » جميع من

على دست آبائه الطيبين الطاهرين الامام الشريف آية الله ابي محمد الحسن من آل شرف الدين المشهور بالسيد حسن الصدر الموسوي العاملي الكاظمي فانه متع الله المسلمين بشريف وجوده تتبع العلوم الدينية ذكرا واستقصى الفنون الاسلامية سبرا واستوفى البحث عن مؤسسيها واستقرأ الكلام في طبقات المصنفين فيها ، فأثبت بذلك للعيان واظهر بالحس والوجدان سبق الامامية الى جميع الفنون الاسلامية ، وقد اختصر هذا السفر الثمين في كتاب وسمه بكتاب « الشيعة وفنون الاسلام » وهو من الكتب المنتشرة بفضل مطبعة العرفان .

توقف في هذه المسألة من أهل السنة وجميع من حكم من علمائهم باسلام الشيعة ممن سمعت كلامهم في الفصل المختص بما افتى به علماء السنة كما لا يخفى ، ومن وقف على حكم هذا الرجل بكفر من توقف في تكفير الشيعة بعد مراجعة ذلك الفصل وهو الفصل ٦ من الفصول المتقدمة علم أنه قد كفر أماميه أبا حنيفة والاشعري وكفر الامام الشافعي وسفيان الثوري وابن أبي ليلى وداود بن علي والحسن البصري وسعيد بن المسيب وابن عيينة وابن سيرين والزهري وأبا طاهر القزويني والامام السبكي وأبا المحاسن الروياني والقدماء من علماء بغداد قاطبة ، وكفر ابن حزم الظاهري والشيخ الكبير ابن العربي والعارف الشعراني وصاحب فتح القدير والملا علي الحنفي وابن تيمية وابن عابدين والمعاصر النبهاني وغيرهم ، اذ حكموا جميعا بأسلام كافة أهل الاركان الخمسة من الشيعة وغيرهم فان كانت أهانة العلماء كفرا فالناصب من أكفر العالمين ، اذ أهان بهذه الفتوى جميع أئمة المسلمين وكافة علماء الموحدين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

الوجه الثالث

أنهم يستحلون المحرمات ويهتكون الحرمات ، بالله عليك هل يكون في صفاقة الوجه ، وصلابة الخد ، وعدم الحياء ، والجرأة على الافك أكثر من هذا ؟ نعوذ بالله من الخذلان وبه نستجير من سوء عواقب الظلم والعدوان .

سلوا أيها المسلمون كتب الامامية متونها وشروحها قديمها وحديثها تخبركم ـ وصاحب البيت أدري بالذي فيه ـ أنهم أبعد الناس عن المحرمات

واحوط العالمين على الحرمات ، ألم يحكم فقههم بالجلد والرجم معا على كل من المحصن اذا زنى ببالغة عاقلة والمحصنة اذا زنى بها البالغ وان لم يكن عاقلا ؟ ألم يقض بالقتل على مطلق من زنى بالمرأة مكرها لها وعلى كل من زنى بمحارمه النسبية وعلى الذمي اذا زنى بالمسلمة مطلقا ، ألم يوجب مائة جلدة للمحصن اذا زنى بطفلة أو مجنونة وللزانية اذا لم تكن محصنة أو كانت محصنة لكن الزاني بها طفل ، ألم يعلن فقههم بأقامة الحد على الذكر الحر غير المحصن اذا زنى بضربه مائة جلدة وجز رأسه ونفيه سنة كاملة ، ألم يصرح بضرب المملوك والمملوكة البالغين العاقلين خمسين جلدة اذا زنى أحدهما مطلقا ، ألم يبغضوا في حد من تحرر بعضه فأوجبوا له من حد الاحرار بقدر ما فيه من الحرية ومن حد العبيد بقدر العبودية ، ألم يوجبوا لمن زنى في زمان معظم أو مكان شريف عقوبة زائدة على الحد لهتكه حرمة الزمان أو المكان ، ألم يحكموا على مطلق الحر البالغ اذا لاط بالقتل بالسيف أو بالرجم أو بالقائه من شاهق أو بهدم جدار عليه ؟ وهل عرفت انه يجوز إحراقه عندهم ، وهل بلغك أن هذا الحكم ثابت للمحصن وغيره ، ألم يحكموا بالقتل كذلك على المفعول به ان كان بالغا عاقلا مختارا ، ألم يوجبوا تعزير الصبي فاعلا أو قابلا وتأديب المجنون فاعلا أو مفعولا ، ألم يعلنوا بالحكم بمائة جلدة على كل من الفاعل والقابل مع البلوغ والعقل والاختيار اذا حصل منهما مجرد التفخيذ او بين الاليتين دون الايقاب ؟؟؟ (١) .

ألم يصرحوا بالحكم بمائة جلدة على كل واحدة من المساحقتين ، ألم يحكموا بخمس وسبعين جلدة على القيادة وثمانين على كل من القذف وتناول

(١) من غير فرق بين المحصن وغيره وقيل يرجم المحصن .

المسكر ولو حشيشة ، ألم يحكموا على السارق أول مرة بقطع الأربع من أصابع يده اليمنى ، فلو سرق ثانيا قطعت رجله اليسرى من مفصل القدم ، وفي الثالثة يحبس أبدا ، وفي الرابعة يقتل ؟ ؟ الى غير ذلك مما لا يسع المقام تفصيله من جزاء المفسد في الارض والمرتد عن الاسلام وبقية الحدود وسائر التعزيرات

ومن أراد التفصيل فعليه بأبوابها من فقه الامامية وحديثهم ، وقد أنتشر منها ببركة الطبع في أيران وفضل المطابع في الهند ألوف ومئات مختصرات ومطولات ، فراجعها لتعلم حال الشيعة في انكار المنكرات واستعظام المحرمات ولهم في أهل الكبائر حكم قد امتازوا به ، وذلك أن صاحب الكبيرة مطلقا اذا أقاموا عليه الحد مرتين قتلوه في الثالثة ، وربما احتاطوا بتأخيره الى الرابعة ولا قائل منهم بتأخيره الى الخامسة . هذا في غير المستحل أما المستحل فيقتل عندهم بمجرد الاستحلال .

ناشدتكم الله رب العالمين ، هل يجوز دينا أم يسوغ مروءة ان ترمى الشيعة بعد هذا كله بأستحلال المحرمات وهتك الحرمات ؟ ! وليت الظالم دلنا على محرم أباحوه او ارشدنا الى حرمة من حرمات الدين هتكوها . هيهات هيهات ، انهم أبر من أن يكون ذلك منهم وأجل من أن يؤثر شيء مما هودونه عنهم ، وانما وصفهم الناصب بصفاته وألزمهم بذنوبه وموبقاته ، اذ أستحل بهذه الفتوى أنواعا من المحرمات واستباح أقساما من الحرمات ، أستحل الكذب والبهتان ، أستحل الظلم والعدوان ، أستحل تكفير المؤمنين ، أستحل ايقاد الحرب بين المسلمين ، أستحل قتل الشيعة وهم ركن الاسلام ، أستحل نهب مالهم وهو الحرام ، أستحل سبي المسلمات القانتات ، أستحل اطفال المسلمين وهتك الحرمات ، وقد أباد بهذه الفتوى من مؤمني حلب أربعين الفا

أو يزيدون وانتهبت اموالهم وأخرج الباقون منهم من ديارهم الى نبل والنغاولة وأم العمد والدلبوز والفوعة وقراها ، وهاجم الامير ملحم بن الامير حيدر « بسبب هذه الفتوى » جبل عامل سنة ١١٤٧ فأنتهك الحرمات واستباح المحرمات « يوم وقعة انصار » وقتل وسلب وخرب ونهب واسر الفا واربع مائة من المؤمنين فلم يرجعوا حتى هلك في الكنيف ببيروت ، الى غير ذلك مما كان بسبب هذه الفتوى من الفظائع والفجائع . على أنها في ذاتها بائقة الدهر وفاقرة الظهر ، الحكم لله والمصير اليه ، وهو حسبنا ونعم الوكيل .

الوجه الرابع

انهم ينكرون خلافة الشيخين ، ويريدون أن يوقعوا في الدين الشين[1] والجواب انه لا ينكر أستخلاف الشيخين رضى الله عنهما ذو شعور ، ولا يرتاب فيه ذو وجدان ، وقد أمتدت امارتهما من سنة ١١ الى سنة ٢٣ وفتحت بها الفتوحات وضرب الدين فيها بجرانه ، على أن خلافتهما من الشؤون السياسية التي خرجت بأنقضائها وتصرمها عن محل الابتلاء ، فأي وجه لتنافر المسلمين اليوم بسببها وأي ثمرة عملية تترتب فعلا على الاعتقاد بها .

فهلموا يا قومنا للنظر في سياستنا الحاضرة وعرجوا عما كان من شؤون السياسة الغابرة ، فان الاحوال حرجة والمآزق ضيقة لا يناسبها نبش الدفائن ولا يليق بها أثارة الضغائن ، وقد آن للمسلمين ان يلتفتوا الى ما حل بهم من هذه المنابذات والمشاغبات التي غادرتهم طعمة الوحوش وفرائس الحشرات .

---

(١) لم يأت بهذه الفقرة « أعني قوله ويريدون أن يوقعوا في الدين الشين » الا لمجرد السجع والا فقد عرفت انهم احوط الناس على الدين .

وأي وجه لتكفير المسلمين بأنكار سياسة خالية وخلافة ماضية ؟ قدأجمع أهل القبلة على انها ليست من أصول الدين ، وتصافقوا على أنها ليست مما بني الاسلام عليه ، ونحن نظرنا فيما صح عند أهل السنة عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم من تفسير معنى الاسلام والايمان فلم نجده [٢] مقيدا بها ، وتتبعنا الامور التي جعلها صلى الله عليه وآله وسلم سببا في أحترام الدماء والاعراض والاموال فلم تكن [٣] من جملتها ، واستقرأنا من نصوصه شرائط دخول الجنة فلم نجدها [٤] في زمرتها ، فأي مانع بعد هذا من جريان الاجتهاد فيها ، وأي دليل على كفر المتأولين من منكريها .

فأن القوم لم تكن بينهم وبين الحق عداوة وانما قادتهم الادلة الشرعية الى القطع بأشتراط أمور في القائم في مقام رسول الله صلى الله عليه وآله والمستوي على مرقاة الخلافة عنه ، كعدم سبق الكفر منه على الايمان وكعصمته والعهد اليه وعدم كونه مفضولا ، واستدلوا على هذه الشروط بأدلة من الكتاب والسنة والعقل كثيرة لا يسع المقام بيانها ، وقد أستقصيناها في كتابنا « سبيل المؤمنين » .

وهبها شبها كما تقول لكنها توجب العذر لمن غلبت عليه لانها من الكتاب والسنة ، وقد الجأته الى القطع بما صار اليه ، فأن كان مصيبا والا فقد أجمع المسلمون على معذرة من تأول في غير أصول الدين وان اخطأ كما سمعته في فصل المتأولين .

على أنه لا وجه للتكفير بأنكارها حتى لو فرضنا أنها من أصول الدين

(٢) راجع الفصل ٣ المعقود لبيان معنى الاسلام من هذه الرسالة .
(٣) راجع الفصل ٣ المختص بأحترام الموحدين من هذه الرسالة .
(٤) راجع الفصل ٥ المتعلق بنجاة الموحدين من هذه الرسالة .

عندهم ، لانها ليست من الضروريات التي يرجع انكارها الى تكذيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، ولا هي في نظر منكريها من الأمور التي قد أنعقد الاجماع عليها ، وقد سبقوا بشبهة من الكتاب والسنة تمنعهم من الاعتقاد بها ، ألا ترى أن الشيعة لم تكفر أهل السنة بأنكارها امامة الائمة من أهل البيت عليهم السلام مع أن امامتهم من أصول الدين على رأي الشيعة ، وكذلك العدلية من الشيعة والمعتزلة لم تكفر طائفة الأشاعرة بأنكارها العدل مع أنه من الاصول عندهم أيضا .

وقد تأول في انكار هذه الخلافة سعد بن عبادة وحباب بن المنذر الانصاريان وتخلف عنها جماعة وأكره عليها آخرون كما ذكرناه في فصل المتأولين ، فلم يكفر أحد من أولئك بما كان منه ولا فسق بما تواتر من القول والفعل عنه ، فكيف هؤلاء وحكم الله واحد يا أيها المنصفون ؟ على أن الاحاديث المتواترة من طريق العترة الطاهرة والصحاح الوافرة من طريق اهل السنة ، ألجأت هؤلاء الى القطع بعهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم الى علي من بعده ، فدانوا بما رأوا أنه الحق من دين الاسلام ، فهم معذورون بل مأجورون ان اصابوا بذلك وان اخطأوا بالاجماع .

قال ابن حزم حيث تكلم فيمن يكفر ولا يكفر في صفحة ٢٤٧ من الجزء الثالث من فصله ما هذا نصه : وذهبت طائفة الى أنه لا يكفر ولا يفسق مسلم بقول قاله في أعتقاد أو فتيا ، وان كل من أجتهد في شيء من ذلك فدان بما رأى انه الحق فأنه مأجور على كل حال ، ان أصاب فأجر ان وان اخطأ فأجر واحد .

قال : وهذا قول ابن أبي ليلى وابي حنيفة والشافعي وسفيان الثوري

وداود بن علي ، وهو قول كل من عرفنا له قولا في هذه المسألة من الصحابة (رض) لا نعلم منهم خلافا في ذلك أصلا .

قلت : اجماع الصحابة وهؤلاء الائمة يقطع دابر المشاغبين وينقض أساس المجازفين ، ضرورة أن القائلين بخلافة علي والمنكرين لغيره لم يقولوا هذا القول ولم يعتقدوا هذا الامر الا بعد الاجتهاد التام واستفراغ الوسع والطاقة وبذل الجهد في الاستنباط من الكتاب والسنة ، ولقد عز عليهم فراق اخوانهم من أهل السنة في هذه المسألة ، وقاسوا في سبيلها من أنواع البلايا وأقسام المحن والرزايا ما قد علمه جميع الناس ، ولكن ما يصنعون فيما يرونه الحق ويقطعون بأنه عين الصواب ، وقد صرح بمعذرتهم وكونهم مأجورين جماعة من أفاضل المعاصرين كالعلامة القاسمي الدمشقي حيث قال في ميزان الجرح والتعديل بعد ذكر الشيعة واحتجاج مسلم بهم في صحيحه ما هذا لفظه : لان مجتهدي كل فرقة من فرق الاسلام مأجورون أصابوا أم أخطأوا بنص الحديث النبوي اهـ .

قلت : ومن راجع من هذه الرسالة الفصل المشتمل على فتاوي علماء السنة يجدهم مجمعين على ذلك ، ومن سبر فصل المتأولين الا يرتاب فيه . والحمد لله رب العالمين .

الوجه الخامس

أنهم يطولون ألسنتهم على عائشة الصديقة رضى الله عنها ويتكلمون في حقها من أمر الافك والعياذ بالله مالا يليق بشأنها ... الى آخر إفكه وبهتانه .

والجواب أنها عند الامامية وفي نفس الامر والواقع أتقي جيبا واطهر ثوبا

وأعلى نفسا وأغلى عرضا وأمنع صونا وارفع جنانا وأعز خدرا واسمي مقاما من أن يجوز عليها غير النزاهة أو يمكن في حقها الا العفة والصيانة ، وكتب الامامية قديمها وحديثها شاهد عدل بما أقول ،على أن أصولهم في عصمة الانبياء تحيل ما بهتها به أهل الافك بتاتا ،وقواعدهم تمنع وقوعه عقلا ، ولذا صرح فقيه الطائفة وثقتها أستأذنا المقدس الشيخ محمد طه النجفي أعلا الله مقامه وهو على منبر الدرس بوجوب عصمتها من مضمون الافك عملا بما يستقبل بحكمه العقل من وجوب نزاهة الأنبياء عن أقل عائبة ولزوم طهارة اعراضهم عن أدنى وصمة ، فنحن والله لا نحتاج في براءتها الى دليل ولا نجوز عليها ولا على غيرها من أزواج الانبياء والاوصياء كل ما كان من هذا القبيل .

قال سيدنا الامام الشريف المرتضى علم الهدى في المجلس ٣٨ من الجزء الثاني من أماليه ردا على من نسب الخنا الى امرأة نوح ما هذا لفظه: ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام يجب عقلا أن ينزهوا عن مثل هذه الحال لانها تعرو تشين وتغض من القدر ، وقد جنب الله تعالى أنبياءه عليهم الصلاة والسلام ما هو دون ذلك تعظيما لهم وتوقيرا لكل ما ينفر عن القبول منهم . . . الى آخر كلامه الدال وجوب نزاهة امرأة نوح وامرأة لوط من الخنا ، وعلى ذلك اجماع مفسري الشيعة ومتكلميهم وسائر علمائهم .

نعم ننتقد من أفعال أم المؤمنين خروجها من بيتها بعد قوله تعالى « وقرن في بيوتكن » ، وركوبها الجمل بعد تحذيرها من ذلك ومجيئها الى البصرة تقود جيشا عرمرما تطلب على زعمها بدم عثمان ،وهي التي أمالت حربه وألبت عليه وقالت فيه ما قالت ، ونلومها على أفعالها في البصرة يوم الجمل الاصغر مع عثمان ابن حنيف وحكيم بن جبلة ، ونستنكر أعمالها يوم الجمل الاكبر مع

أمير المؤمنين ويوم البغل حيث ظنت ان بني هاشم يريدون دفن الحسن المجتبى عند جده (ص) فكان ما كان منها ومن مروان ، بل نعتب عليها في سائرسيرتها مع سائر أهل البيت عليهم السلام ، والناصب الكاذب بلغ في عداوة الشيعة الى حد لايبلغه مسلم وتجشم في بغضائهم مسلكا لايسلكه موحد ، اذ وصم الاسلام وأهله بما أفتراه في هذا الوجه على الشيعة وهم نصف المسلمين وصمة أقر بها عيون الكافرين وفرى بها مرائر الموحدين وظلم بها أم المؤمنين وجميع المسلمين ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

* * *

أنهم يسبون الشيخين رضي الله تعالى عنهما .

والجواب أن البحث يقع هنا في كل من صغرى هذا الوجه وكبراه ، وبعبارة أخرى هي اوضح يقع البحث في مقامين :

« المقام الاول » في أنهم هل يسبون أو لا يسبون ؟ .

« والثاني » في أنه هل يكفر الساب (والعياذ بالله) أولا يكفر ، وقد رأيت البحث في المقام الاول عبثا صرفا ولغوا محضا ، اذ لايمكن إذعان الخصم ببراءة الشيعة من هذا الامر ، ولو حلفنا له برب الكعبة ، بل لايلتفت الى نفيه عنهم ولو جئناه بكل آية ، والامامية طالما اذنت فلم يسمع أذانها وشد ما أعلنت فلم يصغ لاعلانها ، فسد هذا الباب أقرب الى الصواب وأولى بأولي الالباب ولا حول ولا قوة الا بالله .

وأما المقام الثاني فالحق فيه عدم الكفر ، ولنا على ذلك أدلة قاطعةوبراهين

ساطعة نذكر منها ستة ثم نوكل الحكم بعدها لرأي المنصفين :

«الاول» الاصل مع عدم ما يدل على الكفر من عقل أو نقل او اجماع .

« الثاني » أنا تتبعنا سيرة النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فما رأيناه يكفر أحدا بشتم واحد من أصحابه رضي الله عنهم ، وكان الصحابة يتنازعون ويتشاتمون على عهده فلم يؤثر عنه تكفير أحد منهم بسبب ذلك ، حتى تشاتموا مرة أمامه وتضاربوا بالنعال(كمارواه البخاري عنهم في أول كتاب الصلح من صحيحه وأخرجه مسلم في آخر باب دعاء النبي الى الله من كتاب الجهاد من صحيحه) وتقاتل الاوس والخزرج مرة على عهده صلى الله عليه وآله وسلم ، وأخذوا السلاح واصطفوا للقتال كما في آخر صفحة ١٠٧ من الجزء الثاني من السيرة الحلبية وكذا في السيرة الدحلانية وغيرها ، فأصلح بينهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يكفر بذلك أحدا منهم ، وموارد أختلافهم وتشاتمهم بل تقاتلهم وتحاربهم مسطورة في كتب الحديث والاخبار . فهل بلغكم تكفير النبي صلى الله عليه وآله وسلم لاحدهم بهذا السبب ، أم هل سمعتم ذلك عن أحد الصحابة رضي الله عنهم ؟؟ واذا كان القوم لم يثبتوا لانفسهم هذه المنزلة فكيف أثبتها لهم المجازفون ؟

« الثالث » ما سمعته في الفصول الثلاثة المنعقدة لبيان معنى الايمان واحترام الموحدين ونجاتهم من الاحاديث الصحيحة والنصوص المتواترة الصريحة ، فراجعها لتعلم حكمها على مطلق أهل الاركان الخمسة بالايمان والاحترام ودخول الجنة ولا يخفى على كل من لحظها بطرفه أو رمقها ببصره أو سمع بيانها أو عرف لسانها أمتناع تقييدها واستحالة تخصيصها ، ولذا أجمع المسلمون على عدم تخصيصها بما أخرجه مسلم في أوائل صحيحه من الاحاديث

الظاهرة بكفر التارك للصلاة من المسلمين والمقاتل منهم للمسلم والعبد الآبق والنائحة على الميت والطاعن في النسب ، بل قالوا ان الغرض من هذه الصحاح وأمثالها انما هو تغليظ الحرمة وتفظيع المعصية لا الكفر الحقيقي ، فلتكن الاخبار المتعلقة في السب مثلا على فرض صحتها نظير هذه الصحاح ، ويوضح لك ما نقول اجماع الخلف والسلف من أهل السنة على أن من مات موحدا دخل الجنة ولو عمل من المعاصي ما عمل ، كما ستسمعه عن الفاضل النووي قريبا ان شاء الله تعالى .

« الرابع » ما أورده القاضي عياض في الباب الاول من القسم الرابع من كتاب الشفا ، أن رجلا من المسلمين سب أبا بكر بمحضر منه رضي الله عنه فقال ابو برزة الاسلمي : خليفة رسول الله دعني أضرب عنقه . فقال : أجلس ليس ذلك لاحد الا لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ا هـ . وأخرجه الامام أحمد من حديث أبي بكر في صفحة ٩ من الجزء الاول من مسنده .

بالله عليك اذا كان هذا حكم الصديق فيمن واجهه بالسب وهذه فتواه فيمن تسور على مقامه بالشتم فمن أين نحكم بعده بالتكفير ، وكيف نقضي بوجوب القتل أو نفتي بجواز التعزير ؟ أنحن أعرف منه بالاحكام أم أحرص على أقامة الحدود ؟ كلا ! بل لو أرتد ذلك الساب لاقام عليه حد المرتدين ، ولو كفر بها لرتب عليه آثار الكافرين ، وحاشا أبا بكر من تعطيل حدود الله أو تبديل أحكامه عز وجل .

وقد أقتدى به في ذلك الصالحون ، ونسج على منواله المتورعون كعمر ابن عبد العزيز حيث كتب اليه عامله بالكوفة يستشيره في قتل رجل سب عمر بن الخطاب (رض) فكتب اليه كما في الباب المتقدم ذكره من الشفاء : لا يحل قتل

امرىء مسلم بسب أحد من الناس ، الا رجلا سب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، فمن سبه فقد حل دمه .

وأخرج محمد بن سعد في أحوال عمر بن عبد العزيز في صفحة ٢٧٩ من الجزء الخامس من طبقاته بسنده الى سهيل بن أبي صالح قال : ان عمر بن عبد العزيز قال : لا يقتل أحد في سب أحد الا في سب نبي ـ واخرج احمد من حديث أبي هريرة في صفحة ٤٣٦ من الجزء الثاني من مسنده أن رجلا شتم أبا بكر والنبي (ص) جالس ، فجعل النبي (ص) يعجب ويتبسم ... الحديث

« الخامس » اجماع فقهائهم على أن مجرد السب لا يوجب الكفر ، وقد نقله من علماء السنة خلق كثير فمنهم فقيه الحنفية في عصره (الامين) ابن عابدين ، حيث جزم في كتابيه رد المحتار وتنبيه الولاة بعدم كفر المتأولين في هذه المسألة ، وصرح في كليهما بأن القول بكفرهم مخالف لاجماع الفقهاء مناقض لما في متونهم وشروحهم ، فراجع من رد المحتار صفحة ٣٠٢ من جزئها الثالث في باب المرتد لتعلم الحقيقة .

ومنهم صاحب الاختيار حيث قال ـ كما نص عليه ابن عابدين فيما أشرنا اليه من رد المحتار ـ : أتفق الأئمة على تضليل أهل البدع أجمع وتخطئتهم وسب احد من الصحابة وبغضه لا يكون كفرا لكن يضلل اهـ .

ومنهم ابن المنذر حيث صرح ـ كما في رد المحتار أيضا ـ بما يقتضي نقل اجماع الفقهاء على عدم تكفير الخوارج ، وان أستحلوا دماء المسلمين وأموالهم وكفروا الصحابة رضى الله عنهم [1] .

---

(١) اذا كان هؤلاء مسلمين ، وقد مرقوا من الدين وأستحلوا ما حرم الله من دماء المسلمين فالامر في غيرهم سهل يسير ، وهذا الاجماع دال على ما هو أعم من المطلوب مثبت لما هو أعظم من المقصود كما لايخفى .

ومنهم صاحب فتح القدير حيث قطع بعدم كفر أحد من أهل البدع ، وان خالف ببدعته دليلا قطعيا كالخوارج الذين يكفرون الصحابة ويسبونهم مثلا ، وذكر أن ما وقع في كلام أهل المذهب من تكفيرهم ليس من كلام الفقهاء الذين هم المجتهدون وانما هو من كلام غيرهم ، قال : ولا عبرة بغير الفقهاء والمنقول عن الفقهاء ما ذكرناه اهـ .

ومنهم ابن حجر حيث قال كما في خاتمة الصواعق ، فمذهبنا (فيمن يسب) أنه لا يكفر بذلك اهـ .

ومنهم الشيخ ابو طاهر القزويني في كتابه سراج العقول حيث نقل القول بعدم كفر أحد من أهل الاركان الخمسة من الروافض وغيرهم عن جمهور العلماء والخلفاء من أيام الصحابة الى زمنه ، فراجع ما نقلناه عنه في الفصل المعقود لفتاوي علماء انسنة .

ومنهم العارف الشعراني حيث قال في آخر المبحث ٥٨ من يواقيته ماهذا لفظه : فقد علمت يا أخي أن جميع العلماء المتدينين أمسكوا عن القول بالتكفير لاحد من أهل القبلة اهـ .

وقد أرسل ابن حزم عدم الكفر أرسال المسلمات ، فقال في صفحة ٢٥٧ من أواخر الجزء الثالث من فصله ما هذا لفظه : وأما من سب أحدا من الصحابة فأن كان جاهلا فمعذور وان قامت عليه الحجة فتمادى غير معاند فهو فاسق كمن زنى أو سرق ، وان عاند الله تعالى ورسوله في ذلك فهو كافر . قال : وقد قال عمر بحضرة النبي (ص) عن حاطب « وحاطب مهاجري بدري » : دعني أضرب عنق هذا المنافق ، فما كان عمر بتكفيره حاطبا كافرا ، بل كان مخطئا متأولا اهـ .

قلت : وحسبك في عدم كفر الموحدين بمجرد هذا ما هو معلوم بحكم البداهة الاولية من أجماع اهل السنة على ان مطلق الموحدين يدخلون الجنة على كل حال . قال الفاضل النووي « في باب الدليل على ان من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا من شرح الصحيح » : وأعلم ان مذهب اهل السنة وما عليه أهـل الحق من الخلف والسلف أن من مات موحدا دخـل الجنة قطعا . . . الى أن قال : فلا يخلد في النار أحد مات على التوحيد ولوعمل من المعاصي ما عمل اهـ .

« السادس » أنه لا يفتى بالتكفير عندهم الا ان يكون الموجب للكفر مجمعا على ايجابه ، لذلـك قال في شرح تنوير الابصار : وأعلم انه لا يفتى بكفر مسلم أمكن حمل كلامه على محمل حسن أو كان في كفره خلاف ولو كان ذلك رواية ضعيفة اهـ .

وقال الخير الرملي كما في صفحة ٣٩٨ من الجزء الثالث من رد المحتار : ولو كانت « تلك الرواية » لغير أهل مذهبنا ، وأستدل على ذلك بأشتراط كون ما يوجب الكفر مجمعا على إيجابه لذلك .

قلت : اذا كان التكفير مشروطا بهذا فكيف يفتي بالكفر في مسألتنا مع ما سمعت من أنعقاد الاجماع على عدم الكفر فيها ؟ ولو أنكر الخصم ذلك الاجماع فحسبه وجود القائل بعدم التكفير ، فأنه مما لا يمكن انكاره كمـا لا يخفى . وقد اعزب الناصب اذ حكم بعدم قبول توبته مع أجماعهم على قبول توبة من يسب الله عز وجل (٢) .

(٢) نسجوا في هذه الفتوى على منوال اليهود اذ أجمعت أحبارهم على ان من شتم الله تعالى يؤدب ومن شتم الاحبار يقتل ، وقد أنكر ذلك عليهم ابن حزم اذ نقله عنهم في صفحة ٢٢١ من الجزء الاول من فصله قبل أنتهاء الجزء

فهل هذا الا تحامل قبيح وظلم صريح ، وجرأة على الله عزوجل في تبديل أحكامه واستخفاف فيما شرع الله سبحانه من حلاله وحرامه ، وما أراه الا مدفوعا على هذه الفتوى من ملوك الجور تحسينا لافعالهم أو مستأجرا عليها من ولاة الجور تصحيحا لاعمالهم .

ولا غرو فأن علماء السوء وقضاة الرشوة يبدلون أحكام الله بالتافه ويبيعون الامة بالنزر القليل .

فقاتل الله الحرص على الدنيا ، وقبح الله التهالك على الخسائس ، ماأشد ضررهما وما أفظع خطرهما ، نبذ أولئك الدجالون حكم الله وراء ظهورهم طمعا في الوظائف ، وحكموا بما تقتضيه سياسة ملوكهم رغبة في المناصب ،وأرجفوا في المؤمنين وفرقوا كلمة المسلمين ،ولولاهم لتعارفت الارواح وائتلفت القلوب وامتزجت النفوس واتحدت العزائم ، فلم يطمع بالمسلمين طامع ولم يرمقهم من النواظر الا بصر خاشع ، ولكن واأسفاه استحوذ عليهم أولئك المفسدون الذين ينحرون دين الله في سبيل الوظائف ويضحون عباده في طلب القضاء والافتاء ، فتناكرت بفتاويهم وجوه المسلمين وتباينت بأراجيفهم رغائب الموحدين ، حتى كان من تفوق آرائهم وتضارب اهوائهم ما تصاعدت به الزفرات وفاضت منه العبرات ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

بورقتين ، ثم قال :فأعجبوا لهذا وأعلموا أنهم ملحدون لادين لهم اهـ قلت: وهب ان الرافضي كافر فقد نشأ على مذهبه وتدين به من قبل البلوغ فلم لا تقبل توبته كما تقبل توبة المجوس والصابئة يا منصفون .

فصـــل

١٠

في الاشارة الى يسير مما نسبه الكذابون الى الشيعة وبيـان براءتهم منه ، والغرض من ذلك استئصال شأفة التنافر واقتلاع بذرة التدابر وأزالة كل عثرة في طريق الاجتماع ودك كل عقبة في سبيل الوئام ، وقبل الشروع في المقصود نقدم جملة لاتتم بدونها الفائدة ، حاصلها : أن في أهل السنة من رمى الامامية بدواهي وفواقر قد علم اليوم بفضل المطابـع وبركة أنتشار الكتب وتقلص العصبيات وبزوغ الحقائق أنهم في غاية البعد عنها وتمام التقدس منها ، والرامون لهم بها على أربعة اقسام :

« القسم الاول » طائفة من العلماء حملهم على ذلك مجرد التزلف الى ملوك بني أمية وسلاطين بني العباس ، اذ كانت الشيعة بعد صفين والطف أعداء السياسة الاموية وأضداد الدولة العبشمية ، يجتهدون في رفضها ويعملون على نقضها ، ففتكت بهم الحكام وقتلتهم تحت كل حجر ومدر ، ووازرهم على ذلك القراء المراؤون والعلماء الدجالون ، فبلغوا في تسويد صحائف الشيعة كل مبلغ ، وألصقوا بهم كل عائبة ، تهجينا لمذهبهم وتقبيحا لمشربهم وتصحيحا لما كان يرتكبه بنو أمية من تقتيل أبنائهم واستحياء نسائهم ، وكانوا ينتظرون الفرج بسقوط الدولة الاموية ، فلما ملك بنو العباس نسجوا معهم على ذلك المنوال وعملوا مع أئمة أهل البيت افظع الاعمال ، حتى قضى (الكاظم) في سجونهم ، وتجرع (الرضا) كأس السم من يد مأمونهم ، وكربوا قبر الحسين عليه السلام ، وأبادوا نسل محمد صلى الله عليه وآله ، فعاد على شيعة أهـل البيت ذلك البلاء وحملت بهم من ولاة الدولة العباسية وعلمائها تلك اللاواء ،

الولاة تفنيهم بسهامها وعلماء التزلف ترميهم بأقلامها .. بيد أن ظلم السيف لم يبق وظلم القلم مسجل ما بقيت كتب الضلال ، فالعاقل المتثبت لايصدق في حق الشيعة علماء تلك الدولتين ، ولا يعتني بما كان في أيامهما من الاراجيف فأنها أكاذيب أوجبتها سياسة الملك واقتضتها قواعد الظالمين .

« القسم الثاني » طائفة من العلماء حملهم على ذلك مجرد الخوف من ميل الناس الى الشيعة ، ومحض الحذر من أتباع سائر المسلمين لطريقتهم ، وكأنهم قد أستباحوا بذلك تنفير الناس عنهم بكل طريق ،فقالوا ما قالوا ونالوا ما نالوا ، على علم منهم بأن الامامية منزهون عما افتروه عليهم مقدسون عما نسبوه اليهم ، الا في مسألة واحدة تتعلق بمباحث الامامة والسياسة لا تتحاشى منها ، وهي على قواعد الخصم اهتماما زائدا لو أنصفوا لانها ليست من الاصول عندهم كما لا يخفى .

« القسم الثالث » طائفة قد التبس الامر عليهم ، لان اسم الشيعة غير خاص بالامامية بل مشترك بينها وبين فرق كثيرة ، كالآغا خانية والكيسانية والناووسية والخطابية والفطحية والواقفية وغيرها ، فربما وجدوا أقوالا منكرة ومذاهب مكفرة لا حدى تلك الفرق الضالة التي يطلق عليها لفظ الشيعة فظنوا أنه مذهب الجميع ، فأرسلوه عنهم ارسال المسلمات ، وأعانهم على ذلك وغر في صدورهم وغيظ في نفوسهم ، يمنعانهم عن التثبت في النقل .

ولله ورع الامامية وتثبتهم اذ يرون الكرامية وهم طائفة من أهل السنة يذهبون الى أن الله سبحانه وتعالى مستقر على العرش أستقرارك على الارض ، ويجدون آخرون يقولون بأنه تعالى بكى على طوفان نوح حتى رمدت عيناه وعادته الملائكة ، ويلفون الحائطية والحدثية (وهما فرقتان من المعتزلة) يقولون

بحلول الله عز وجل في بعض الانبياء مقالة النصارى في ابن مريم عليهما السلام نص على ذلك الشهرستاني في كتابه الملل والنحل ، ومع ذلك لم ينسبوا القولين الاولين الى مطلق أهل السنة ، ولا ألحقوا المقالة الاخيرة بمطلق المعتزلة ، وانما نسبوا تلك الاقوال الى أربابها وقصروها على أصحابها ، فلم ينسب غيرهم مقالة الخطابية والناووسية مثلا الى مطلق الشيعة يا منصفون .

« القسم الرابع » جماعة قد أعتمدوا في نقل تلك الدواهي والطامات عن الشيعة على من تقدمهم من علماء سلفهم ، اذ رأوهم ينقلون شيئا فنقلوه ووجدوا أثرا فأتبعوه ، ولو رجعوا في معرفة أقوال الامامية الى علمائهم وأخذوا مذهبهم في الاصول والفروع من مؤلفاتهم ، لكان أقرب الى التثبت والورع . وما أدري كيف نبذوا في هذا المقام كتب الامامية على كثرتها وأنتشارها وأعتمدوا على نقل أعدائهم المرجفين وخصمائهم المجازفين الذين تحكموا في تضليلهم ، وسلقوهم بألسنة الافتراء وهذا عصر لا يصغى فيه الى من يرسل نقله أرسال الكذابين ، أو يطلق كلامه اطلاق المموهين ، حتى يرشدنا الى المأخذ ويدلنا على المستند ، وقد طبع في أماكن من فارس والهند ألوف من مصنفات أصحابنا في الفقه والحديث والكلام والعقائد والتفسير والاصول والاوراد والاذكار والسلوك والاخلاق ، فليطلبها من أراد الاستبصار ولا يعول على كتب المهولين الذين بثوا روح البغضاء في جسم المسلمين ، ونقلوا عن الشيعة كل إفك مبين ، واليك منه ما عقد الفصل لذكره .

قال ابن حزم الظاهري في صفحة ١٨٢ من الجزء الرابع من الفصل ما هذا نصه : ومن الامامية من يجيز نكاح تسع نسوة ، ومنهم من يحرم الكرنب

(وهو نوع من السلق يشبه القنبيط) لانه انما نبت على دم الحسين [١] ولم يكن قبل ذلك .

قلت : أما نكاح ما زاد على الاربع فأجماع الامامية قاطبة نصا وفتوى على حرمته ، وهذا الحكم من ضروريات مذهبهم بحيث لا يشتبه فيه أحد منهم ، واما الكرنب فليس له في كلام الامامية عنوان مخصوص وحكمه عندهم حكم الخس والفجل واللفت وأشباهها ، وأنا أنشدكم أيها الباحثون بعزة الحقيقة وناموس العدل وشرف الانصاف أن تستقصوا فقه الامامية وأصولهم وتستقرئوا حديثهم وتفسيرهم وتتصفحوا قديم كتبهم وحديثها مختصرها ومطولها متونها وشروحها ، فأن وجدتم أثرا لما قال فالشيعة ليست على شيء من الحق ، والا فأبن حزم وأمثاله من أكذب الخلق ، وقد أرجف بالامامية في غير هذا المقام من فصله ارجافا لا يصدر من ذي دين ، وكذب عليهم أكاذيب لا تكون من ذي يقين ، وظلمهم ظلما لا يقدم عليه مؤمن بالمعاد ، وبهتهم بهتان من لا يخشى الله ولا يستحي من العباد . ونحن بسبب أنتشار كتب الامامية في غنى عن التصدي لتزييف أقاويله وتكذيب اباطيله ، على ان الرجل لم يقتصر في ظلمه على الشيعة خاصة بل ظلم أئمة اهل السنة وبهت علماء المعتزلة وكفر كثيرا من السلف ولم يكد أحد يسلم من لسانه حتى قال ابن العريف كما في ترجمة علي بن أحمد بن حزم من الوفيات : كان لسان ابن حزم وسيف الحجاج شقيقين .

وحسبك ما نقله في شنع المرجئة عن الامام الاشعري وأصحابه ، من أن

---

(١) الامامية أجل من أن تعول في أحكام الله على الخرافات الباردة والترهات المسخنة كهذه الحكاية وأمثالها .

أعلان الكفر باللسان وعبادة الاصنام والاوثان بلا تقية ولا عذر لاينافيان مقام الولاية لله عز وجل ، فراجع صفحة ٢٠٤ من الجزء ٤ من الفصل . ونقل في الصفحة الاولى من الجزء ٤ أيضا عن الباقلاني القول بجواز كل فسق وكفر على الانبياء ، حاشا الكذب في البلاغ . ونقل في صفحة ٢٠٥ من الجزء ٤ أيضا عن بعض الأشاعرة القول بجواز الكذب في البلاغ على الأنبياء . ونقل عن السمناني وهو من أئمة الاشاعرة في صفحة ٢٢٤ من الجزء الرابع تجويز الكفر على النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم . ونسب الى محمد بن الحسن بن فورك وسليمان بن خلف الباجي ـ وهما من أئمة الاشعرية ـ أمورا عظيمة يطول المقام بتعدادها .

والغرض أن الرجل لا يستحيي من الكذب ولا يتأثم من البهتان ، وقد أجمع فقهاء عصره كما في ترجمته من الوفيات على تضليله ، وذكره ابن خلدون في الفصل الذي عقده لعلم الفقه وما يتبعه من مقدمته الشهيرة فكان مما قال فيه : ونقم الناس عليه وأوسعوا مذاهبه استهجانا وانكارا وتلقوا كتبه بالاغفال والترك حتى أنه ليحظر بيعها في الاسواق ، وربما تمزق في بعض الاحيان اهـ .

فلا يغتر أحد بما ينقله عن الامامية وغيرهم « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » على أن الرجل من موالي يزيد بن معاوية ، فلاحظ نسبه في الوفيات ، ولذا فضل أم حبيبة بنت أبي سفيان على أبي بكر وعمر وعثمان حيث تكلم في وجوه الفضل والمفاضلة بين الصحابة ، وأختار تفضيل نساء النبي صلى الله وآله وسلم على جميع من عدا الانبياء من سائر الناس ، وأعتمد في ذلك على خز عبلات مسخنة وترهات باردة وتشبث بسفاسف فاضحة وتمويهات واضحة ، فليراجعها كل

مغرور بأبن حزم في صفحة ١١٢ وما بعدها الى صفحة ١٣٤ من الجزء الرابع من الفصل وليعجب • وقد ظهر منه في تلك المقامات وما بعدها نصب عظيم لامير المؤمنين وعداوة لاهل البيت بالغة ، حتى فضل صهيبا في صفحة ١٥٢ من الجزء الرابع على العباس وبنيه وعلى عقيل وبنيه وعلى سيدي شباب أهل الجنة الحسن والحسين عليهما السلام ، وانكر كل فضيلة لاهل البيت فراجع

ونسج على منواله في بهت الامامية جماعة كثيرون منهم الشهرستاني في الملل والنحل اذ ألحق بهم كل مستهجن وألصق فيهم كل قبيح • ذكر أنهم أفترقوا بعد الامام أبي محمد الحسن العسكري أحدى عشرة فرقة ، والله يعلم أنهم لم يفترقوا في أصول الدين أو شيء من العقائد وانما أراد بتفريقهم اطفاء نورهم ، وليته أسند شيئا من الاقاويل التي نقلها عن تلك الفرق الى كتاب يتلى أو شخص خلقه الله تعالى ، وليته أخبرنا عن بلاد واحدة من تلك الفرق أو زمانها أو اسمها ، فأنه قال : وليس لهم ألقاب مشهورة ولكنا نذكر أقاويلهم • بالله عليك هل سمعت بفرق متخاصمة ونحل آراؤها متعاركة لا يعرف لهم في الاحياء والاموات رجل ولا إمرأة ولا يوجد في الخارج لهم مسمى ولا اسم ؟

وقد نقل عن زرارة بن أعين وهشام بن الحكم (٢) ومؤمن الطاق محمد ابن النعمان وهشام بن سالم أمورا ترتعد منها الفرائص وتقشعر الجلود ، فلم يقدح ذلك في سمو مقامهم وعظيم خطرهم عند الله ورسوله والمؤمنين ، وما ادري كيف أختص الشهرستاني واصحابه بالاطلاع على أقوال هؤلاء الاعلام دوننا ، مع أنهم سلفنا وفرطنا قد بحثنا عن رأيهم وأخذنا من الدين بهديهم ،

(٢) قد أستوفينا الرد في هذه المسألة على الشهرستاني في كتابنا مختصر الكلام في مؤلفي الشيعة من صدر الاسلام فراجع ما نشر منه في صفحة ١٨٩ وفي صفحة ٢٣١ من المجلد الثاني من العرفان •

فنحن أعرف الناس بمذاهبهم وصحاحنا مشحونة من حديثهم وأسفارنا مملوءة من أقوالهم في الكلام والتفسير والفقه وأصوله ، وفي أيدينا جملة أحوالهم وتفاصيل أخبارهم ، فلا يجوز ان يخفى علينا من أحوالهم ما ظهر لغيرنا ، مع بعده عنهم في المشرب ومخالفته لهم في المذهب ، وكونهم ليسوا محلا لابتلائه في شيء من أمور الدنيا والدين ، ولو رأيناهم يذهبون الى ما عزاه الشهرستاني اليهم لبرأنا منهم كما هي سنتنا فيمن نراه معوجا عن الحق أو منتهجا نهج الضلال .

وقد أعرضنا عن بعض أولاد أئمتنا مع شدة اخلاصنا لهذا البيت الطاهر ، وكفرنا جماعة ممن صحبهم وفسقنا آخرين وضعفنا قوما وأمسكنا عن قوم آخرين كما يشهد به الخبير بطريقتنا ، فلو كان هؤلاء كما ذكره الشهرستاني لم يعظم علينا تكفيرهم ولألحقناهم بأبي الخطاب محمد بن مقلاص الاجدع وبالمغيرة بن سعد وعبدالله بن سبأ والمختار بن أبي عبيد وأمثالهم ، لكن أعداء اهل البيت عمدوا الى أكابر أصحابهم فرموهم بهذه الطامات كي يسقطوهم من أعين الناس حسدا منهم وبغيا ، ثم جاء الشهرستاني فرأى أثرا فأتبعه ، ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

وقد بلغت القحة ببعض المتعصبين الى رمي المتأولة (وهم الامامية في عرف سوريا) بأنكار الصوم والصلاة والحج والزكاة وسائر الواجبات ، حتى نقل ذلك عنهم جودت باشا كما في صفحة ٣٦٦ من الجزء الاول من ترجمة كتابه المطبوع في بيروت سنة ١٣٠٨ (٣) فأعجبوا لهذه الاكاذيب الدالة على

(٣) ذكرنا في كتاب مؤلفي الشيعة كلام جودت وأستوفينا المقام في رده ، فراجع ما نشر منه في صفحة ١٩٠ من المجلد الثاني من العرفان ، وقد سمعت في الفصل السابق حال الامامية في ايجاب الواجبات وتحريم المحرمات فلا وجه للاعادة .

حمق الكاذب وقلة حيائه ، نعوذ بالله من الخذلان .

وربما أفك بعض المخرفين فنسب الى الشيعة أنهم لا يأكلون لحوم الابل، هذا مع ما ينحر من الجزر كل يوم في مشاهد الأئمة عليهم السلام وغيرهما من بلاد الامامية ولا سيما في النجف الاشرف وهي عاصمة فقهائهم ، على أن من راجع من فقههم باب الاطعمة والاشربة لايجدهم يفتون بكراهة الابل كمايفتون بكراهة الخيل والبغال والحمير ، بل يذكرون الابل في غير المكروه قبل البقر والغنم والمعز ، وفي باب الذباحة يصرحون بأن تذكية الابل بنحرها في وهدة اللبة ، وهذا أمر من الضروريات لا يجهله أحد منهم أصلا .

وأعجب من هذا نسبة بعض الآفكين الى الشيعة عدم ايجاب العدة على النساء ، مع أنهم أحوط في هذه المسألة من غيرهم ، ضرورة أن المتوفي عنها زوجها تعتد بأربعة اشهر وعشر ليال مبدؤها نفس وفاته ، وتظهر الثمر فيما لو علمت اليوم أنه مات منذ أربعة اشهر وعشر ليال أو أكثر فأنها لاتتزوج على رأيهم حتى تتربص المدة وعند غيرهم تتزوج في تلك الساعة .

وأيضا اذا مات عنها وهي حامل تتربص عندهم بأبعد الاجلين من وضع الحمل ومضي المدة ، فلو مضت المدة قبل وضع الحمل لا تتزوج عندهم حتى تضع حملها ، وكذا لو وضعت قبل مضى المدة... وان أردت التفصيل فعليك بفقه الامامية وحديثهم وتفاسيرهم ، وقد ملأت أنحاء الهند وارجاء فارس وانتشرت في العراقين وسوريا وسائر بلاد الاسلام ، وأنا ارشدك الى أسماء بعض ما هو مطبوع منها إكمالا للفائدة وخدمة للعلم ، فمن الكتب الفقهية شرائع الاسلام وجواهر الكلام ومسالك الافهام ومدارك الاحكام وكشف اللثام ومفتاح الكرامة وتذكرة العلامة والبرهان القاطع والمختصر النافع

والروضة البهية في شرح اللمعة الدمشقية وجامع المقاصد في شرح القواعد الى مالا يحصى من الكتب المطولة فضلا عن المختصرة ، وحسبك من حديثهم وسائل الشيعة الى أحكام الشريعة ، ومن تفاسيرهم مجمع البيان في تفسير القرآن فراجعها للتعلم الحقيقة والله المستعان على ما تصفون .

« فصل (١) »

١١

كنا نظن العصبية العمياء تقلصت وأيامها الوحشية تصرمت ، وان المسلمين أحسوا اليوم بما حل بهم من المنابذات والمشاغبات التي تركتهم طعمة الوحوش والحشرات ، وكنا نقول بزغت الحقائق بفضل المطابع وانتشار كتب الشيعة فلا أفاك ولابهات ولا رامي لهم بعدها بهنات ، لكن النواصب أبوا الا إيقاظ الفتنة النائمة وايقاد الحرب العوان (تفريقا بين المؤمنين وأرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل وليحلفن أن أردنا الا الحسنى والله يشهد أنهم لكاذبون) .

قام في سوريا من حثالة الامويين طغام دأبهم العهر والخمر يدعون الى سلفهم الفاجر يريدون ليعيدوها أموية يزيدية هياما في مجاهل ضلالهم وتسكعا في مفاوز محالهم ، ركبوا في ذلك رؤوسهم وأرخوا فيه أعنة أقلامهم ، فألحقوا بالشيعة كل مستهجن وبهتوهم بكل عائبة « وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا

(١) انما عقدنا هذا الفصل وزدناه فيما في هذه الطبعة (أعني الطبعة الثانية) تأثرا من هؤلاء النواصب الكذبة ، ولئن لم ينتهوا لنعذرن الى الله عز وجل بهم .

ألا انهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون » .

خط قرد يزيد في خطته وفي مجلة الامويين قوارص ترتعد منها الفرائص لكن فتيان المؤمنين خصموه فخطموه وقدعوه فقمعوه لا شلت أيمانهم .

ونشب النشاشيبي منشب سوء فلم ينشب أن أبكم فأفحم وانكبح فأفتضح ، والحمد لله رب العالمين .

وصوب النصولي نصوله على الامام فنصل بذلك من دين الاسلام ، وقد طاش سهمه وسفه رأيه وخولط في عقله فهو في (كتابه) أحمق دالع [٢] ومن شك فليراجع .

ومع ذلك فقد كال الكيالي بصاعه وانتظم في سلك أتباعه فثار ثائر هوجه وهبت عواصف رعنه ، فبرهن بما كتب على اطفاء شعلة ذهنه وفلول شباة عقله « وخسر هنالك المبطلون » . « ومن يضلل الله فما له من هاد » .

ما لهؤلاء السفهاء والتطوع في هذا الجيش الوهمي ، وما كان أغناهم عن ذلك الارجاف والاجحاف ، وما هذا الهوس الحزبي الذي أماتته السنون يبعثه هؤلاء العادون ليشقوا عصا المسلمين ويلقوا بأسهم بينهم .

وان من عصب برأسه العار وخطم أنفه بالشنار وعاقر المدام وعانق الغلام وأضاع الصلاة واتبع الشهوات لجدير بالموبقات ، وحقيق بالمنديات المخزيات .

ولو أني بليت بهاشمي ... خؤلته بنو عبد المدان

لهان علي ما ألقى ولكن ... تعالوا وأنظروا بمن أبتلاني

ولقد أسرف منار الخوارج بما أرجف واجحف وبغى وطغى وبهت الشيعة بهتانا عظيما « ومن يكسب خطيئة او إثما ثم يرمي به بريئا فقد احتمل بهتانا

(٢) وهو الذي لا يزال دالع اللسان وذلك غاية الحمق .

واثما مبينا » شنها في مجلده التاسع والعشرين غارة ملحاحا أو سعت قلب الدين وأهله جراحا إيقادا للفتنة وتمسكا بقرن الشيطان وتزلفا لخوارج القرن الرابع عشر وابتغاء لعرض الدنيا « فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا فويل لهم مما كتبت أيديهم وويل لهم مما يكسبون » .

وتبا وترحا لمن يتلوّن كالحرباء ويدين بالسياسة كيف تشاء ، فيوما بحزوى ويوما بالعقيق وبالعذيب يوما ويوما بالخليصاء .

نشر المنار (٣) دعايته الى النصب والخرافات والتفريق بين المسلمين بالتمويه والترهات ، وادرج لذلك الناصب الكاذب رسالة خالية الوطاب الا من الافك والسباب ، فأين النهضة التي يزعم المنار قيامه بها على أساس الوحدة الاسلامية وأين ما يدعيه من مجاهدة البدع والخرافات ؟ ! هيهات هيهات (لقد حن قدح ليس منها وطفق يحكم فيها من عليه الحكم لها) ربنا لاتؤاخذنا بما فعل السفهاء منا ، ونعوذ بك من طغوى نفوسهم وسفه أحلامهم وعمه بصائرهم وبغي طغامهم ، ونبرأ اليك من نعرتهم الممقوتة وعصبيتهم الملعونة ، فقد شقوا بها عصا المسلمين وكان بسببها من الفشل وذهاب ريح الاسلام ما يفري المرائر ويمزق لفائف القلوب .

وهناك أفاضل نحملهم على الصحة في سوء ظنهم بالشيعي ونبزهم إياه بالرفض ونسبتهم الاباطيل اليه ، حيث أنسوا بناحية من تقدمهم ممن رأوه ينبز الشيعة ويلمزهم فنحوا نحوه وتلوا في ذلك تلوه إخلادا اليه بثقتهم واعتمادا

(٣) في الجزء ٦ وما بعده من المجلد ٢٩ تباعا .

عليه في كل ما يقول ، فـلا تثريب إذن على الوحيد الرافعي اذا قال (٤) ان الرافضة شكوا في نص القرآن وقالوا انه وقع نقص وزيادة وتغيير وتبديل اهـ .

ولا جناح علينا اذا سألناه فقلنا له من تعني هنا بالرافضة ، أتعني الامامية أم غيرهم ، فان عنيتهم فقد كذبك من أغراك بهم وكل من نسب اليهم تحريف القرآن فانه مفتر عليهم ظالم لهم ، لان قداسة القرآن الحكيم من ضروريات دينهم الاسلامي ومذهبهم الامامي ، ومن شك فيها من المسلمين فهو مرتد بأجماع الامامية ، فاذا ثبت عليه ذلك قتل ثم لايغسل ولا يكفن ولا يصلي عليه و لايدفن في مقابر المسلمين . وظواهر القرآن فضلا عن نصوصه من أبلغ حجج الله تعالى وأقوى أدلة اهل الحق بحكم البداهة الاولية من مـذهب الامامية ، ولذلك تراهم يضربون بظواهر الاحاديث المخالفة للقرآن عرض الجدار ولا يأبهون بها وان كانت صحيحة ، وتلك كتبهم في الحديث والفقه والاصول صريحة بما تقول .

والقرآن الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه انما هو ما بين الدفتين ، وهو ما في أيدي الناس لا يزيد حرفا ولا ينقص حرفا ، ولا تبديل فيه لكلمة بكلمة ولا لحرف بحرف ، وكل حرف من حروفه متواتر في كل جيل تواترا قطعيا الى عهد الوحي والنبوة ، وكان مجموعا على ذلك العهد الاقدس مؤلفا على ما هو عليه الآن ، وكان جبرائيل عليه السلام يعارض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بالقرآن في كل عام مرة وقد عارضه به عام وفاته مرتين .

والصحابة كانوا يعرضونه ويتلونه على النبي حتى ختموه عليه صلى الله

(٤) في صفحة ١٦١ من كتابه (تحت راية القرآن) .

عليه وآله وسلم مرارا عديدة ، وهذا كله من الامور المعلومة الضرورية لدى المحققين من علماء الامامية ، ولا عبرة بالحشوية فانهم لا يفقهون .

والباحثون من أهل السنة يعلمون أن شأن القرآن العزيز عند الامامية ليس الا ما ذكرناه والمنصفون منهم يصرحون بذلك .

قال الامام الهمام الباحث المتتبع رحمة الله الهندي رضي الله عنه في صفحة ٨٩ من النصف الثاني من كتابه النفيس (اظهار الحق) ما هذا لفظه : القرآن الكريم عند جمهور علماء الشيعة الامامية الاثني عشرية محفوظ عن التغيير والتبديل ، ومن قال منهم بوقوع النقصان فيه فقوله مردود غير مقبول عندهم .

قال : قال الشيخ الصدوق أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه الذي هو من أعظم علماء الامامية الاثني عشرية في رسالته [٥] الاعتقادية : « اعتقادنا في القرآن ان القرآن الذي أنزل الله تعالى على نبيه هو ما بين الدفتين ، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ، ومبلغ سورة عند الناس مائة وأربع عشرة سورة ، وعندنا والضحى وألم نشرح سورة واحدة ، ولايلاف وألم تر سورة واحدة ، ومن نسب الينا أنا نقول أنه أكثر من ذلك فهو كاذب » أنتهى .

قال الامام الهندي : وفي تفسير مجمع البيان [٦] الذي هو تفسير معتبر عند الشيعة ذكر السيد الاجل المرتضى علم الهدى ذو المجد أبو القاسم علي بن الحسين الموسوي : أن القرآن كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مجموعا مؤلفا على ما هو الآن ، وستدل على ذلك بأن القرآن

---

(٥) المطبواعة المنتشرة .

(٦) المطبوعة مرارا في أيران .

كان يدرس ويحفظ جميعه في ذلك الزمان حتى عين على جماعة من الصحابة في حفظهم له ، وأنه كان يعرض على النبي صلى الله عليه وآله وسلم ويتلى عليه ، وأن جماعة من الصحابة كعبد الله بن مسعود وابي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي صلى الله عليه وآله وسلم عدة ختمات ، وكل ذلك بأدنى تأمل يدل على أنه كان مجموعا مرتبا غير مبتور ولا مبثوث .

قال الهندي : وذكر أن من خالف من الامامية والحشوية لا يعتد بخلافهم ، فان الخلاف مضاف الى قوم من أصحاب الحديث نقلوا أخبارا ضعيفة ظنوا صحتها لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته ــ انتهى .

قال الامام الهندي أ وقال السيد المرتضى أيضا : ان العلم بصحة القرآن كالعلم بالبلدان والحوادث الكبار والوقائع العظام المشهورة وأشعار العرب المسطورة ، فان العناية اشتدت والدواعي توفرت على نقله وبلغت الى حد لم تبلغ اليه فيما ذكرناه ، لان القرآن معجزة النبوة ومأخذ العلوم الشرعية والاحكام الدينية ، وعلماء المسلمين قد بلغوا في حفظه وعنايته الغاية حتى عرفوا كل شيء فيه اعرابه وقراءته وحروفه وآياته ، فكيف يجوز أن يكون مغيرا أو منقوصا مع العناية الصادقة والضبط الشديد ــ انتهى .

قال الامام الهندي : وقال القاضي نور الله التوستري الذي هو من علمائهم المشهورين في كتابه المسمى بمصائب النواصب : ما نسب الى الشيعة الامامية من وقوع التغيير في القرآن ليس مما قال به جمهور الامامية ، انما قال به شرذمة قليلة منهم لا أعتداد بهم فيما بينهم ــ انتهى .

قال الامام الهندي : وقال الملا صادق في شرح الكليني : « يظهر القرآن بهذا الترتيب عند ظهور الامام الثاني عشر ويشهر به » انتهى .

قال الامام الهندي : وقال محمد بن الحسن الحر العاملي الذي هو من كبار المحدثين في الفرقة الامامية في رسالة كتبها في رد بعض معاصريه « هركسيكه تتبع أخبار وتفحص تواريخ وآثار نموده بعلم يقيني ميداند كه قرآن در غايت واعلى درجة تواتر بوده وآلاف صحابه حفظ ونقل ميكردند آن راودر عهد رسول خدا صلى الله عليه وآله وسلم مجموع ومؤلف بود » انتهى .

قال الامام الهندي : فظهر أن المذهب المحقق عند علماء الفرقة الامامية الاثني عشرية أن القرآن الذي أنزله الله على نبيه هوما بين الدفتين ، وهو ما في أيدي الناس ليس بأكثر من ذلك ، وانه كان مجموعا مؤلفا في عهد رسول الله (ص) وحفظه ونقله الوف من الصحابة ، وجماعة من الصحابة كعبد الله بن مسعود وابي بن كعب وغيرهما ختموا القرآن على النبي عدة ختمات ، ويظهر القرآن ويشهر بهذا الترتيب عند ظهور الامام الثاني عشر رضى الله عنه .

قال : والشرذمة القليلة التي قالت بوقوع التغيير فقولهم مردود عندهم ولا اعتداد به فيما بينهم .

قال : وبعض الاخبار الضعيفة التي رويت في مذهبهم لا يرجع بمثلها عن المعلوم المقطوع على صحته .

قال : وهو حق لان خبر الواحد اذا أقتضى علما ولم يوجد في الادلة القاطعة ما يدل عليه وجب رده ، على ما صرح به ابن المطهر الحلي في كتابه المسمى بمبادي الوصول الى علم الاصول ، وقد قال الله تعالى : « إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون » .

قال : ففي تفسير الصراط المستقيم الذي هو تفسير معتبر عند علماء

الشيعة « أي إنا لحافظون له من التحريف والتبـديل والزيادة والنقصان » انتهى ...

هذا كلام الامام الهندي عينا ، وانما اكتفينا بما نقله من كلام أعلام الشيعة الامامية المسطور في كتبهم المعتبرة لأن الاستقصاء يوجب الخروج عما أخذناه على أنفسنا من اجتناب الاطناب الممل .

ومن أراد النقل عن الطوائف والامم فليقتف أثر هذا الامام في الاستناد الى الكتب المعتبرة عند تلك الامة أو الطائفة ، ولا يعول في النقل عنها على المرجفين من خصمائها والالداء من أعدائها .

وأنا اكبر السفر الجليل « تحت راية القرآن » واقدر قدر مؤلفـه « المصطفى الصادق » وأعلم أنه بعيـد الغاية رزين الحصاة ، وكنت أربأ به وبسفره الثمين المؤلف لعموم المسلمين عن جرح عواطف الشيعة وهم ركـن الدين وشطر المسلمين ، وفيهم الملوك والامراء والعلماء والادباء والكتبة والشعراء والساسة المفكرون والدهاة المدبرون وأهل الحمية الاسلاميـة والنفوس العبقرية والشمم والكرم والعزائم والهمم ، وقد انبثوا في الانحاء وانتشروا في الارض انتشار الكواكب في السماء ، فليس من الحكمة ولا من العقل أن يستهان بهم ، وهم أهل حول وقوة وغنى وثروة واموال مبذولة في سبيل الدين وأنفس تتمنى أن تكون فداء المسلمين .

وليس من التثبت أن يعتمد في مقام النقل عنهم على أرجاف المرجفين واجحاف المجحفين « يا أيها الذين آمنوا ان جاءكم فاسق بنبـأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين » .

فصـــل
١٢

نوضح فيه سبب التباعد بين الطائفتين ونكشف عن مكنون السر في تنافرهما ، زيادة على ما سمعت في الفصول السابقة ، والغرض تشخيص الداء لنصف الناجع فيه من الدواء ، فهنا مقصدان :

المقصد الاول

في الامور التي ينفر منهـا الشيعي ولا يكاد يمتزج بسببها مع السني ، وأهمها شيئان :

(الاول) ما سمعته في الفصول السابقة [١] من التكفير والتحقير والشتم والتزوير .

(الثاني) أعراض أخواننا أهل السنة عن مذهب الائمة من أهل البيت ، وعدم الاعتناء بأقوالهم في أصول الدين وفروعه بالمرة ، وعدم الرجوع اليهم في تفسير القرآن العزيز (وهو شقيقهم) الا دون ما يرجعون فيه الى مقاتل ابن سليمان المجسم المرجىء الدجال ، وعـدم الاحتجاج بحديثهم الا دون ما يحتجون بدعاة الخوارج والمشبهة والمرجئة والقدرية ، ولو أحصيت جميع ما في كتبهم من حديث ذرية المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم ما كـان الا دون ما أخرجه البخاري وحده عن عكرمة البربري الخارجي المكذب .

وأنكى من هذا كله عدم احتجاج البخاري في صحيحه بأئمة اهل البيت النبوي ، اذ لم يرو شيئا عن الصادق والكاظم والرضا والجواد والهـادي

(١) ولا سيما التاسع والعاشر والحادي عشر .

والزكي العسكري وكان معاصرا له ، ولا روى عن الحسن [٢] بن الحسن ولا عن زيد بن علي بن الحسين ، ولا عن يحيى بن زيد ، ولا عن النفس الزكية محمد بن عبد الله الكامل بن الحسن الرضا بن الحسن السبط ، ولا عن أخيه ابراهيم بن عبد الله ، ولا عن الحسين الفخي بن علي بن الحسن بن الحسن ، ولا عن يحيى بن عبد الله بن الحسن ، ولا عن أخيه ادريس بن عبدالله ولا عن محمد بن جعفر الصادق ، ولا عن محمد بن ابراهيم بن اسماعيل بن ابراهيم بن الحسن بن الحسن المعروف بأبن طباطبا ، ولا عن أخيه القاسم الرسى ، ولا عن محمد بن محمد بن زيد بن علي ، ولا عن محمد بن القاسم ابن علي بن عمر الاشرف ابن زين العابدين صاحب الطالقان المعاصر للبخاري[٣] ولا عن غيرهم من أعلام العترة الطاهرة وأغصان الشجرة الزاهرة ، كعبد الله ابن الحسن وعلي بن جعفر العريضي وغيرهما من ثقل رسول الله ، وبقيته في أمته صلى الله عليه وآله وسلم ، حتى أنه لم يرو شيئا من حديث سبطه الاكبر وريحانته من الدنيا أبي محمد الحسن المجتبى سيد شباب اهل الجنة ، مع احتجاجه بداعية الخوارج واشدهم عداوة لاهل البيت عمران بن حطان القائل في ابن ملجم وضربته لامير المؤمنين عليه السلام :

يا ضربة من تقي ما أراد بهـا ... إلا ليبلغ من ذي العرش رضوانا

اني لاذكره يوما فأحسـبه ... أوفى البرية عند الله ميزانـا

أما ورب الكعبة وباعث النبيين لقـد وقفت هنا وقفة المدهوش وقمت

---

(٢) الحسن بن الحسن هو الامام بعد عمه الحسين السبط على رأي الشيعة الزيدية وبعده زيد ثم من ذكرناهم بعد زيد ، وترتيبهم في الامامة على حسب ما رتبناهم في الذكر عليهم السلام .

(٣) قتل في العراق سنة ٢٥٠ قبل وفاة البخاري بست سنوات .

مقام المذعور ، وما كنت أحسب أن الامر يبلغ هذه الغاية ، وقد باح العلامة ابن خلدون بسرها المكنون حيث قال في الفصل الذي عقده لعلم الفقه وما يتبعه من مقدمته الشهيرة بعد ذكر مذاهب أهل السنة ما هذا لفظه : وشذ أهل البيت بمذاهب ابتدعوها وفقه انفردوا به ، وبنوه على مذهبهم في تناول بعض الصحابة (٤) بالقدح وعلى قولهم بعصمة الائمة ، ورفع الخلاف عن أقوالهم ، وهي كلها أصول واهية (٥) .

قال : وشذ بمثل ذلك الخوارج (٦) ولم يحتفل الجمهور بمذاهبهم ، بل أوسعوها جانب الانكار والقدح ، فلا نعرف شيئا من مذاهبهم (٧) ولا نروي كتبهم ولا أثر لشيء منها الا في مواطنهم ، فكتب الشيعة في بلادهم ،

(٤) ما أدري كيف يمكن ان تبني المذاهب الفقهية على تناول بعض الصحابة بالقدح ، وما عرفت كيف تستنبط الاحكام الشرعية الفرعية من تناول أحد من الناس ، وابن خلدون يعد من الفلاسفة ، فما هذا الهذيان منه يا أولي الالباب ؟ .

(٥) ان أصحابنا « الامامية » أثبتوا في كتبهم الكلامية عصمة أئمتهم بالادلة العقلية والنقلية ، والمقام لا يسع بيانها ولو تصدينا لها لخرجنا عن موضوع هذه الرسالة ، وحسبك دليلا على عصمتهم ، كونهم بمنزلة الكتاب الذي لا يأتيه الباطل وكونهم أمان هذه الامة من الاختلاف ، فاذا خالفتهم قبيلة من العرب كانت حزب ابليس ، وكونهم سفينة النجاة وباب حطة هذه الامة ، وكونهم النافين عن هذا الدين تحريف الضالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين .

(٦) أنظر كيف جعل أهل البيت (الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا) شذاذ مارقة كالخوارج نعوذ بالله .

(٧) كذب ابن خلدون نفسه في هذه الكلمة ، فانه اذا كان لا يعرف شيئا من مذاهبهم ولا يروى كتبهم ولا أثر لشيء منها عنده فمن أين عرف انهم شذاذ ضلال مبتدعون ومن أين عرف أصولهم واهية «قتل الخراصون » .

وحيث كانت دولتهم قائمة في المغرب والمشرق واليمن والخوارج كذلك ولكل منهم كتب وتآليف وآراء في الفقه غريبة . هذا كلامه فتأمله واعجب .

ثم رجع الى مذاهب أهل السنة فذكر انتشار مذهب ابي حنيفة في العراق ومذهب مالك في الحجاز ، ومذهب احمد في الشام وفي بغداد ، ومذهب الشافعي في مصر ، وهنا قال ما هذا لفظه : ثم انقرض فقه أهل السنة من مصر بظهور دولة الرافضة ، وتداول بها فقه أهل البيت (٨) وتلاشى من سواهم ، الى أن ذهبت دولة العبيديين من الرافضة على يد صلاح الدين يوسف بن أيوب ، ورجع اليهم فقه الشافعي الخ .

اذا وصف الطائي بالبخل مادر ... وعير قسا بالفهاهة باقل

وقال السهي للشمس أنت ضئيلة ... وقال الدجى للصبح لونك حائل

وطاولت الارض السماء سفاهة ... وكاثرت الشهب الحصى والجنادل

وقال ابن خلدون وأمثاله انهم على الهدى والسنة وأن أهل البيت شذاذ مبتدعة وضلال رافضة .

فياموت زر ان الحياة ذميمة ... ويا نفس جدي ان سبقك هازل

ولا غرو ان قام المسلم عند سماع هذه الكلمة وقعد ، بل لا عجب ان مات أسفا على الاسلام وأهله ، اذ بلغ الامر هذه الغاية ، فلا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم .

أيقول ابن خلدون أن أهل البيت شذاذ ضلال مبتدعون ، وهم الذين

---

(٨) أنظر كيف اعترف بأن الرافضة يدينون الله بمذهب أهل البيت .

لكم ذخركم ان النبي ورهطه ... وجيلهم ذخري اذا التمس الذخر

جعلت هواي الفاطميين زلفة ... الى خالقي ما دمت أو دام لي عمر

وكوفني ديني على أن منصبي ... شئام ونجري أية ذكر النجر

أذهب الله عنهم الرجس بنص التنزيل (٩) وهبط بتطهيرهم جبرائيل وبآهل بهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم (١٠) بأمر ربه الجليل ، وقد فرض القرآن مودتهم (١١) وأوجب الرحمن ولايتهم (١٢) وهم سفينة النجاة (١٣) اذا طغت لجج النفاق ، وأمان الامة (١٤) اذا عصفت عواصف الشقاق ، وباب

(٩) أشارة الى قوله تعالى « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » فراجع ما علقناه على هذه الآية في الفصل الثاني من المطلب الاول من كلمتنا الغراء .

(١٠) أشارة الى قوله تعالى « فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل » الآية فراجع ما علقناه عليها في الفصل الاول من الكلمة الغراء أيضا .

(١١) أشارة الى قوله تعالى « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى » فراجع ما علقناه عليها في الفصل الثالث من الكلمة الغراء .

(١٢) أشارة الى ما أخرجه الديلمي وغيره ـ كما في الصواعق وغيرهما ـ عن أبي سعيد الخدري أن النبي (ص) قال «ووقفوهم انهم مسئولون » عن ولاية علي . وقال الامام الواحدي ـ كما في تفسير هذه الآية من الصواعق أيضا ـ أنهم مسئولون عن ولاية علي وأهل البيت .

(١٣) وقال ابن حجر في صفحة ٩٣ من صواعقه حيث تكلم في تفسير الآية ٧ من الآيات التي أوردها في الباب ١١ من الصواعق ما هذا لفظه : وجاء من طرق عديدة يقوي بعضها بعضا : انما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا (قال) وفي رواية مسلم ومن تخلف عنها غرق (قال) وفي رواية هلك الخ .

(١٤) أشارة الى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « النجوم أمان لاهل الارض من الغرق ، وأهل بيتي أمان لامتي من الاختلاف ، فاذا خالفتهم قبيلة من العرب أختلفوا فصاروا حزب أبليس » أخرجه الحاكم عن ابن عباس مرفوعا وصححه على شرط البخاري ومسلم كما في صفحة ٩٣ من الصواعق المحرقة لابن حجر حيث تكلم في الآية ٧ من الباب ١١ ـ وأخرج ابن أبي شيبة ومسدد في مسنديهما والترمذي في نوادر الاصول ـ وأبو يعلي

حطة[١٥] يأمن من دخلها ، والعروة الوثقى لا انفصام لها ، وأحد الثقلين[١٦] لا يضل من تمسك بهما ، ولا يهتدي الى الله من ضل عن أحدهما وقد أمرنا صلى الله

والطبراني والحاكم عن سلمة بن الاكوع قال : قال رسول الله (ص) النجوم أمان لاهل السماء وأهل بيتي أمان لامتي ــ وقد نقله الحافظ السيوطي في كتاب احياء الميت بفضائل أهل البيت والنبهاني في أربعينه وغير واحد من العلماء .

(١٥) أشارة الى قول رسول الله (ص) « مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها غرق ، ومثل باب حطة في بني اسرائيل » أخرجه الحاكم عن أبي ذر عليه الرحمة ــ وأخرج الطبراني في الصغير والاوسط عن أبي سعيد قال : سمعت النبي (ص) يقول : « انما مثل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح من ركبها نجى ومن تخلف عنها غرق ، وانما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني اسرائيل من دخله غفر له » .

(١٦) أشارة الى قوله صلى الله عليه وآله وسلم « اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا بعدي الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي ولن يفترقا حتى يردا علي الحوض فأنظروا كيف تخلفوني فيهما » أخرجه الترمذي والحاكم كما في احياء الميت للسيوطي ، وهو من الاحاديث المستفيضة رواه أكثر المحدثين بألفاظ متقاربة وأسانيدهم فيه صحيحة ، قال ابن حجر بعد نقله اياه عن الترمذي وغيره في اثناء تفسيره للاية الرابعة من الباب ١١ من صواعقه ما هذا لفظه : ثم أعلم ان لحديث التمسك بذلك طرقا كثيرة وردت عن نيف وعشرين صحابيا (قال) ولم له طرق مبسوطة في حادي عشر الشبه ، وفي بعض تلك الطرق أنه قال ذلك بحجة الوداع بعرفة ، وفي أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه وقد امتلأت الحجرة بأصحابه ، وفي أخرى انه قال ذلك بغدير خم ، وفي أخرى انه قاله لما قام خطيبا بعد أنصرافه من الطائف (قال) ولا تنافي اذ لا مانع من أنه كرر عليهم ذلك في تلك المواطن وغيرها اهتماما بشأن الكتاب العزيز والعترة الطاهرة ... الى آخر كلامه فراجعه في صفحة ٩٢ من الصواعق .

عليه وآله وسلم بأن نجعلهم منا مكان الرأس [١٧] من الجسد ، بل مكان العينين من الرأس ، ونهانا عن التقدم عليهم [١٨] والتقصير عنهم ، ونص على أنهم القوامون على الدين ، النافون عنه في كل خلف من هذه الأمة [١٩] تحريف الضالين ، وقد أعلن صلى الله عليه وآله وسلم بأن معرفتهم براءة من النار [٢٠] وحبهم جواز على الصراط ، والولاية لهم أمان من العذاب — وأن

---

(١٧) أشارة الى ما نقله غير واحد من الاعلام كالعلامة الصبان في الصفحة ١١٤ من أسعافه المطبوع في هامش نور الابصار حيث قال ما هذا لفظه : وروى جماعة من أهل السنن من عدة من الصحابة أن النبي (ص) قال : مثل أهل بيتي فيكم كسفينة نوح من ركبها نجا ومن تخلف عنها هلك (قال) وفي رواية غرق (قال) وفي رواية أخرى زج في النار (قال) في أخرى عن أبي ذر زيادة وسمعته يقول : اجعلوا أهل بيتي منكم مكان الرأس من الجسد ومكان العينين من الرأس .

(١٨) أشارة الى قوله (ص) في حديث التمسك بالثقلين « فلا تقدموهما فتهلكوا ولا تقصروا عنهما فتهلكوا ولا تعلموهم فأنهم أعلم منكم » ونقله عن الطبراني غير واحد من العلماء كالامام أبي بكر العلوي في باب ٥ من رشفة الصادي وابن حجر حيث تكلم في تفسير الآية الرابعة في الباب ١١ من صواعقه .

(١٩) أشارة الى ما أخرجه الملا في سيرته بسنده الى رسول الله (ص) قال : في كل خلف من أمتي عدول من أهل بيتي ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين وأنتحال المبطلين وتأويل الجاهلين ، ألا وان أئمتكم وفدكم الى الله فأنظروا من توفدون — وقد نقله ابن حجر في صفحة ٩٢ من صواعقه .

(٢٠) اشارة الى قوله صلى الله عليه وآله وسلم : « معرفة آل محمد براءة من النار وحب آل محمد جواز على الصراط والولاية لآل محمد أمان من العذاب » رواه القاضي عياض في الفصل الذي عقده لبيان أن من توقيره وبره (ص) بر آله وذريته من كتابه « الشفاء » فراجع أول صفحة ٤١ من قسمه الثاني طبع الاستانة سنة ١٣٢٨ .

الاعمال الصالحة لاتنفع عامليها الا بمعرفة حقهم (٢١) ولا تزول يوم القيامة قدما أحد من هذه الامة (٢٢) حتى يسأل عن حبهم ولو أن رجلا أفنى عمره قائما وقاعدا وراكعا وساجدا بين الركن والمقام مات غير موال لهم دخل النار (٢٣)

فهل يحسن من الأمة المسلمة بعد هذا أن تجري الا على أسلوبهم ، وهل يتسنى لمسلم يؤمن بالله ورسوله أن يستن بغير سنتهم ، فكيف يعدّهم ابن خلدون في أهل البدع بكل صراحة ووقاحة من غير خجل ولا وجل .

---

(٢١) أشارة الى قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : « الزموا مودتنا أهل البيت فانه من لقى الله وهو يودنا دخل الجنة بشفاعتنا ، والذي نفسي بيده لا ينفع عبدا عمله الا بمعرفة حقنا » أخرجه الطبراني في الاوسط ونقله السيوطي في احياء الميت بفضائل أهل البيت والنبهاني في أربعينه .

(٢٢) أشارة الى قول رسول الله (ص) : لا تزول قدما عبد حتى يسأل عن أربع : عن عمره فيما أفناه ، وعن جسده فيما أبلاه ، وعن ماله فيما أنفقه ومن أين اكتسبه ، وعن محبتنا أهل البيت . أخرجه الطبراني عن ابن عباس مرفوعا ونقله السيوطي في احياء الميت والنبهاني في أربعينه .

(٢٣) أشارة الى قوله (ص) من حديث أخرجه الطبراني والحاكم « كما في احياء الميت واربعين النبهاني وغيرهما » فلو أن رجلا صفن « أي صف قدميه » بين الركن والمقام فصلى وصام وهو مبغض لآل محمد دخل النار ! اهـ. وأخرج الحاكم وابن حبان في صحيحه « كما في احياء الميت واربعين النبهاني وغيرهما » عن ابي سعيد قال : قال رسول الله (ص) : والذي نفسي بيده لا يبغضنا أهل البيت رجل الا دخل النار .

وأخرج الطبراني « كما في احياء الميت للسيوطي » عن الحسن السبط أنه قال لمعاوية ابن خديج : اياك وبغضنا فان رسول الله قال لا يبغضنا أحد ولا يحسدنا أحد الا ذيد يوم القيامة عن الحوض بسياط من النار ! اهـ واخرج الطبراني في الاوسط كما في احياء الميت واربعين النبهاني عن جابر قال : خطبنا رسول الله فسمعته وهو يقول : أيها الناس من أبغضنا أهل البيت حشره الله يوم القيامة يهوديا اهـ .

أبهذا أمرته آية القربى وآية التطهير وآيتا أولي الامر والاعتصام بحبل الله ، أم بهذا أمره سبحانه حيث يقول « وكونوا مع الصادقين » أم به صدع رسول الله (ص) في نصوصه المجمع على صحتها ؟ وقد استقصيناها بطرقها واسانيدها في كتابنا سبيل المؤمنين ، واستقصتها علماؤنا الاعلام في مؤلفاتهم فراجعها لتعلم حقيقة أهل البيت ومنزلتهم في دين الاسلام .

على أنهم الاذنب لهم يستوجب الجفاء ، ولا قصور بهم يقتضي هذا الاعراض ، فليت أهل المذاهب الاربعة نقلوا في مقام الاختلاف مذهب أهل البيت كما ينقلون سائر المذاهب التي لا يعلمون بها ، ما رأيناهم يعاملون أهل البيت هذه المعاملة في عصر من الاعصار ، وانما يعاملونهم معاملة من لم يخلقه الله عز وجل ، أو من لم يؤثر عنه شيء من العلم والحكمة .

نعم ربما تعرضوا لشيعتهم فنبزوهم بالرفض ، وسلقوهم بألسنة الافتراء كما سمعت في الفصول السابقة — وقد ولى زمن الاعتداء واقبل عصر الاخاء ، وآن لجميع المسلمين أن يدخلوا مدينة العلم النبوي من بابها ويلجوا من باب حطة ويلجأوا الى أمان أهل الارض بركوب سفينتهم ومقاربة شيعتهم ، فقد زال سوء التفاهم من البين ، وأسفر الصبح عن توثق الروابط بين الطائفتين ، والحمد لله رب العالمين .

المقصد الثاني

في الامور التي ينفر منها أهل السنة ولا يأتلفون بها مع الشيعة ، وهي أمور مكذوبة بهتنا بها المبطلون ، وقد سمعت في الفصول السابقة جملة منها ، ووقفت على ما يشفي صدرك من الاجوبة عنها ، ولم يبق سوى مسألة الصحابة رضي الله عنهم فأنها المسألة الوحيدة والمعضلة الشديدة ، وذلك أن بعض الغلاة من الفرق التي يطلق عليها لفظ الشيعة ، كالكاملية يتحاملون على

الصحابة كافة رضي الله عنهم وينالون من جميع السلف ، فيظن الجاهل أن ذلك رأي مطلق الشيعة ، ويتوهم أنه مذهب الجميع ، فيرمي الصالح بحجر الطالح ، ويأخذ البريء بذنب المسيء ، كما هو الشأن فيمن يختلط عليه الحابل بالنابل ، ولو عرف رأي الامامية في هذه المسألة ووقف على كلامهم فيها لعلم أنه أوسط الآراء ، اذ لم يفرطوا تفريط الغلاة ولا أفرطوا افراط الجمهور .

وكيف يجوز عليهم ما يقوله الجاهلون أو يمكن في حقهم ما يتوهمه الغافلون ، بعد اقتدائهم في التشيع بكبراء الصحابة كما يعلمه الخبير (بالاستيعاب والاصابة وأسد الغابة) واليك اكمالا للفائدة واتماما للغرض بعض ما يحضرني من أسماء الشيعة من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لتعلم أنا بهم اقتدينا وبهديهم اهتدينا ، وسأفرد لهم ان وفق الله كتابا يوضح للناس تشيعهم ويحتوي على تفاصيل شؤونهم ، ولعل بعض أهل النشاط من حملة العلم وسدنة الحقيقة يسبقني الى تأليف ذلك الكتاب فيكون لي الشرف ، اذ خدمته بذكر أسماء بعضهم في هذا الباب ، وها هي على ترتيب حروف الهجاء .

أ

أبو رافع القبطي مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واسمه أسلم أو ابراهيم وقيل هرمز وقيل ثابت وقيل غير ذلك ، وله أولاد وأحفاد كلهم خصيصون بأهل البيت ومنقطعون اليهم ، أما اولاده فرافع والحسن والمغيرة وعبيد الله (الذي أفرد كتابا فيمن حضر صفين مع علي من الصحابة ، وقد نقل عنه صاحب الاصابة وغيره) وعلي الذي ألف كتابا في فنون الفقه

على مذهب أهل البيت ، وهو أول كتاب فقهي عمل في الاسلام بعد صحيفة علي (ع) . وأما أحفاد أبي رافع فالحسن وصالح وعبيد الله أولاد علي بن أبي رافع ، والفضل بن عبيد الله بن أبي رافع ولهم ذرية كلها صالحة ،ولنرجع الى ماكنا فيه فنقول : وأبو المنذر أبي بن كعب سيد القراء (٢٤) . وأبان بن سعيد بن العاص الاموي . وأنس بن الحرث أو ابن الحارث بن نبيه الذي سمع ـ كما في ترجمته من الاصابة ـ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : ان أبني هذا يعني الحسين (ع) يقتل بأرض يقال لها كربلاء فمن شهد ذلك منكم فلينصره . قال : فخرج أنس بن حرث الى كربلاء فقتل بها مع الحسين عليه السلام اهـ . وفي ترجمته من الاستيعاب مثله . وأسيد بن ثعلبة الانصاري البدري . وأسلم بن الحارث بن عبد المطلب الهاشمي وهو أخو نوفل . وأسلم ابن بجرة الساعدي . والاسود بن عبس بن أسماء التميمي . وأعين بن ضبيعة ابن ناجية الدارمي التميمي . وأنس بن مدرك الخثعمي الاكلبي . وامرؤ القيس بن عابس الكندي . واويس بن عامر القرني وهو من أفضل التابعين بشر به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأسلم على عهده ولم يره صلى الله عليه وآله وسلم ، وقد ذكره ابن حجر في القسم الثالث من اصابته .

وأبو ليلى الغفاري لم أقف له على أسم وهو الذي أخرج عنه ابو أحمد وابن منده وغيرهما ـ كما في ترجمته من الاصابة ـ أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : « ستكون من بعدي فتنة ، فاذا كان ذلك فالزموا علي بن أبي طالب ، فانه أول من آمن بي واول من يصافحني يوم القيامة ، وهو الصديق الاكبر وهو فاروق هذه الامة وهو يعسوب

(٢٤) ذكره ابن الشحنة في تاريخه فيمن تخلف عن بيعة السقيفة مع علي عليه السلام .

المؤمنين » الحديث ، ورواه عنه ابن عبد البر في ترجمته من الاستيعاب أيضا. وأبو فضالة الانصاري لم اقف ايضا له على اسم ، روى صاحب الاستيعاب والاصابة في ترجمته عن ابنه فضالة أنه سمع عليا يقول : أن رسول الله (ص) أخبرني أني لا أموت حتى اؤمر ثم تخضب هذه من هذه (يعني كريمته من هامته) قال فضالة : فصحبه أبي فقتل فيمن قتل في صفين،وكان بدريا رحمه الله . وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب بن عم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم واخوه من الرضاعة ارضعتهما حليمة السعدية .

ب

وبريد الاسلمي أحد الذين رثاهم أمير المؤمنين عليه السلام بقوله :

جـزى الله خيرا عصبـة أسلمية صباح الوجوه صرعوا حول هاشم

بريد وعبد الله منهم ومنقـذ وعروة وابنا مالك في الاكـرام

وبريدة بن الحصيب الاسلمي . وبلال بن رياح الحبشي . والبراء ابن عازب (٢٥) بن الحارث الانصاري . والبراء بن مالك وهو أخو أنس ابن مالك الانصاري . وبشير وهو أخو وداعة بن ابي زيد الانصاري وقـد شهد هو وأخوه صفين وكانا من خيار المستبصرين واستشهد أبوهما في أحد

ت

وتمام بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي عليهم الرحمة .

ث

وثابت بن عبيد الانصاري . وثابت بن قيس بن الخطيم الظفري .وثعلبة ابن قيظي بن صخر الانصاري .

(٢٥) ذكره ابن الشحنة في تاريخه فيمن تخلف مع علي عن بيعة السقيفة .

ج

وجندب بن جنادة وهو أبو ذر الغفاري • وجارية بن قدامة السعدي • وجارية بن زيد • وجابر بن عبدالله الانصاري • وجبلة بن عمرو بن اوس الساعدي• وجبير بن الحباب الانصاري • وجعدة بن هبيرة المخزومي وأمه أم هاني شقيقة أمير المؤمنين (ع) • وجعفر بن أبي سفيان بن الحارث ابن عبد المطلب الهاشمي • وجهجاه بن سعيد الغفاري • وجراد بن مالك ابن نويرة التميمي المقتول يوم البطاح مع أبيه وقد رثاه عمه متمم • وجراد ابن طهية الوحيدي وهو والد شبيب بن جراد الشهيد يوم الطف مع سيد الشهداء عليه السلام •

ح

وحجر بن عدي الكندي • وحذيفة بن اليمان العبسي • والحارث بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي • وأبو الورد بن القيس واسمه (فيما ذكره أبو عمر) حرب المازني • والحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب • وأبو قتادة الحارث بن ربعي بن بلدهة الانصاري • والحارث بن زهير الازدي • والحارث بن حاطب بن عمرو الانصاري • والحارث بن عمرو ابن حرام الخزرجي • والحارث بن النعمان بن أمية الاوسي • وحازم بن ابي حازم الاحمسي • والحجاج ابن عمرو بن غزية الانصاري • وحسان ابن خوط بن مسعر الشيباني وهو من بيت كلهم صفوة شهد الجمل مع علي عليه السلام ومعه ابناه الحارث وبشر ، واخوه بشر بن خوط ، وحفيده عنبس بن الحارث بن حسان المذكور ، وابن اخيه وهيب بن عمرو بن خوط وابنِ اخيه الآخرِ الاسودِ بن بشر بنِ خوطٍ ، وابنا ابنِ أخيه وهما الحسينِ

وحذيفة ابنا مخدوج بن بشر بن خوط ، وكان اللواء مع الحسين بن مخدوج ابن بشر بن خوط ، فأستشهد فأخذه اخوه حذيفة فأستشهد فأخذه عمهما الاسود فاستشهد فأخذه عنبس بن الحارث بن حسان المذكور ، فأستشهد فأخذه وهيب بن عمرو بن خوط ، فاستشهد بخ بخ ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم ، ياليتنا كنا معهم فنفوز فوزا عظيما .

وحنظلة بن النعمان بن عامر الانصاري . وحكيم بن جبلة العبدي صاحب المقام المشكور يوم الجمل الاصغر ، وقد استشهد يومئذ ، وأستشهد معه ابنه الاشرف واخوه الرعل بن جبلة في سبعين رجلا من عشيرته ، وكانت تلك الواقعة لخمس ليال بقين من شهر ربيع الآخر سنة ٣٦ قبل مجيء أمير المؤمنين الى البصرة ثم جاء عليه السلام فكان يوم الجمل الاكبر . وحبيب بن مظاهر بن رئاب بن الاشتر بن حجون بن فقعس الشهيد بين يدي الحسين عليه السلام ، وهو تابعي أدرك ايام النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يره ، وقد ذكره ابن حجر في القسم الثالث من اصابته . والحكم ابن المغفل عوف الغامدي الشهيد يوم النهروان .

خ

وخالد بن سعيد بن العاص (٢٦) الاموي . وأبو أيوب خالد بن زيد الانصاري . وخالد بن ربيعة الجدلي . وخالد بن الوليد الانصاري . وخالد ابن المعمر السدوسي . وخويلد بن عمرو الانصاري . وخباب بن الارت التميمي ويقال الخزاعي . وذو الشهادتين خزيمة بن ثابت الانصاري . وخرشة ابن مالك الاودي . وخليفة بن عدي البياضي .

(٢٦) ذكره ابن الشحنة في تاريخه فيمن تخلف يوم السقيفة مع علي (ع) .

د

وأبو ليلى داود بن بلال والد عبد الرحمن الانصاري • وقد اختلف العلماء في اسمه •

ر

وربيعة بن قيس العدواني • ورفاعة بن رافع بن مالك الانصاري • ورافع بن أبي رافع القبطي •

ز

وزيد بن أرقم الخزرجي • وزيد بن صوحان العبدي • وزيد بن أسلم البلوي • وزيد بن جارية أو ابن حارثة الانصاري • وزيد او يزيد بن شراحيل الانصاري • وزيد بن حبيش الاسدي • وزياد بن مطرف الذي أخرج عنه مطين والبارودي وابن جرير وابن شاهين كما في ترجمته من الاصابة أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول : من أحب ان يحيى حياتي ويموت ميتتي ويدخل الجنة فليتول عليا وذريته من بعده اهـ • وابو زينب زهير بن الحارث بن عوف • وزيد بن وهب الجهني الحسلي •

س

وأبو عبد الله سلمان الخير الفارسي • وسلمان بن ثمامة الجعفي • وسليمان بن صرد الخزاعي المتفاني في الاخذ بثار سيد الشهداء والشهيد في سبيل ذلك • وسليمان بن هاشم المرقال الزهري • وسهل بن حنيف الانصاري • وسهيل بن عمرو الانصاري • وسلمة بن أبي سلمة ربيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم • وسويد بن غفلة الجعفي • وسماك بن خرشة

والظاهر أنه غير أبي دجانة الانصاري • وسنان بن شفعلة الاوسي الذي روى عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : حدثني جبرائيل أن الله عز وجل لما زوج فاطمة عليا أمر رضوان فأمر شجرة طوبى فحملت رقاقا بعدد محبي آل بيت محمد صلى الله عليه وآله وسلم اهـ • أخرجه عنه أبو موسى كما في ترجمة سنان من الاصابة • وسعنة بن عريض التيماوي الذي دار بينه وبين معاوية كلام في المدينة فيه ذكر علي (ع) فغض ابن عريض من معاوية ، فقال معاوية : ما أراه الا قد خرف فأقيموه ، فقال (كما في ترجمته من الاصابة) ما خرفت ولكن أنشدك الله يا معاوية أما تذكر لما كنا جلوسا عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فجاء علي فاستقبله النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال : قاتل الله من يقاتلك وعادى من يعاديك ؟ قال : فقطع معاوية حديثه وأخذ في حديث آخر اهـ • وسعيد بن الحارث ابن عبد المطلب • وسعيد بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب • وسعيد بن نمران الهمداني • وسعيد بن وهب الخوياني • وسعيد بن سعد بن عبادة الانصاري ، وأما أبوه سعد فقد ذكره صاحب الدرجات الرفيعة في طبقات الشيعة وفيه نظر • وسعد بن الحارث بن الصمة الانصاري • وسعد بن مسعود الثقفي وهو عم المختار • وسعد بن عمرو الانصاري • وسفيان بن هاني بن جبير الجيشاني •

ش

وشراحيل بن مرة الهمداني الذي روى عنه كما في ترجمته من الاصابة ابن السكن وابن شاهين وابن قانع والطبراني أنه قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول لعلي : ابشر يا علي حياتك وموتك معي •

وشريح بن هاني بن يزيد الحارثي وهو غير القاضي • وشيبان بن محرث •

ص

وصعصة • وصيحان ابنا صوحان • وصالح الانصاري السالمي • وصبيح مولى أم سلمة • وصيفي بن ربعي الاوسي •

ض

والضحاك وهو الاحنف بن قيس التميمي الذي يضرب المثل بحلمه وأدرك النبي صلى الله عليه وآله وسلم ولم يجتمع به ، ودعا له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم •

ط

وطاهر بن ابي هالة التميمي • وطريف بن أبان الانماري •

ظ

وأبو الاسود ظالم بن عمرو الدؤلي ، ذكره ابن حجر في القسم الثالث من أصابته ، وهو مخضرم أدرك الجاهلية والاسلام •

ع

وأبو اليقظان عمار بن ياسر • وعمار بن أبي سلمة الدالاني المستشهد كما في ترجمته من الاصابة بين يدي الحسين عليه السلام يوم الطف • والعباس بن عبد المطلب • وعقيل بن أبي طالب • وعمارة بن حمزة بن عبد المطلب • وعون بن جعفر بن أبي طالب • وعتبة ابن أبي لهب • وعبد الله بن العباس • وعبد الله بن جعفر • وعبد الله بن حنين بن أسدبن هاشم • وعبد الله بن الزبير بن عبد المطلب • وعبد الله بن ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب • وعبد الله بن أبي سفيان بن الحارث بن عبد المطلب • وعبدالله

ابن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب • وعبد الله بن الحارث بن نوفل بن الحارث ابن عبد المطلب • وعبيد الله بن العباس بن عبد المطلب • وعبيد الله بن نوفل بن الحرث بن عبد المطلب • وعبدالله بن يقطر ، وفي الاصابة ابن يقظة وهو رضيع الحسين عليه السلام ، وقد استشهد في سبيل نصرته • وعبد الله بن ذباب المذحجي • وعبدالله بن سلمة الكندي • وعبدالله بن الطفيل العامري • وعبدالله ابن بديل الخزاعي • وعبدالله بن مسعود الهذلي • وعبدالله بن خباب بن الارث التميمي • وعبدالله بن عبد المدان الحارثي • وعبد الله بن كعب الحارثي • وعبدالله بن حوالة الازدي المذكور في الجزء الاول من أمل الآمل • وعبد الله ابن سهل بن حنيف • وعبدالله بن ورقاء الساولي • وعبيد الله بن سهيل الانصاري النبيتي • وعبدالله بن ابي رافع • وعبيد بن التيهان ، ويسمى عتيكا الانصاري • وعبيد بن عازب • وعبيدة بن عمرو السلماني • وعمارة ابن شهاب الثوري • وعمرو بن أبي سلمة ، ربيب النبي صلى الله عليه وآله وسلم • وعمرو بن الحمق الخزاعي • وعمرو بن أنس الانصاري • وعمرو ابن شراحيل • وعمرو بن عميس بن مسعود • وعمرو بن فروة بن عوف الانصاري • وعمرو بن محصن وعمرو بن هبير المخزومي • وعمرو بن سلمة المرادي ، ذكر ابن حجر في ترجمته من الاصابة أنه قتل مع حجر ، وفيه نظر لا يخفى على أهل العلم • وعمرو بن عريب الهمداني • وعمرو بن مرة الهندي •

وعبد الرحمن بن عباس بن عبد المطلب • وعبدالرحمن بن بديل الخزاعي • وعبد الرحمن بن ابزي الخزاعي • وعبد الرحمن بن حسل الجمحي • وعبد الرحمن ابن خراش الانصاري • وعبد الرحمن بن السائب المخزومي • وعبد الرحمن ابن عبد رب الانصاري ، ذكره ابن عقدة في كتاب الموالاة فيمن سمع النص

يوم الغدير ، وشهد به في الرحبة لامير المؤمنين ، كما في الاصابة وغيرها • وعدي بن حاتم الطائي • وعثمان بن حنيف الانصاري • وعروة بن نمران ابن الفضفاض بن عمرو بن قعاس بن عبد يغوث المرادي ثم العطيفي ، وهو أبو هاني بن عروة الشهيد في سبيل سيد الشهداء دفاعا عن مسلم بن عقيل ، وعروة بن زيد الخيل • وعروة بن شفاف بن شريح بن سعد بن حارثة بن لام الطائي الذي شهد قتال الخوارج مع أمير المؤمنين فقال له : لا يفلت منهم عشرة ولا يقتلون منا عشرة ، فكان الامر كذلك ، وكان عروة هذا فيمن قتل يومئذ رحمه الله تعالى • وعروة بن مالك السلمي أحد الذين رثاهم أمير المؤمنين عليه السلام بقوله :

بريد وعبد الله منهم ومالك وعروة ابنا مالك في الاكارم

وعطية الذي ذكره الاسماعيلي في الصحابة • وعتبة بن الدغل الثعلبي • وعلباء بن الهيثم بن جرير • وعوف وهو مسطح بن اثاثة المطلبي • وعنترة السلمي الذكواني • والعلاء بن عمرو الانصاري • وعقبة بن عمرو بن ثعلبة الانصاري • وابو الطفيل عامر بن واثلة الكناني • وعبادة بن الصامت بن قيس الانصاري • وعلي بن أبي رافع القبطي •

ف

والفضل بن العباس بن عبد المطلب • وفروة بن عمرو بن ودقة الانصاري والفاكه بن سعد بن جبير الانصاري •

ق

وقيس بن سعد بن عبادة الانصاري • وقيس بن المكشوح البجلي • وقيس بن خرشة القيسي • وقيس بن أبي قيس • وقثم بن العباس بن

عبد المطلب • وقرضة بن كعب الانصاري •

ك

وكعب بن عمرو بن عباد الانصاري المعروف بأبي اليسر •

م

والمقداد بن عمرو الكندي • والمغيرة بن نوفل بن الحارث بن عبدالمطلب • ومالك ومتمم ابنا نويرة • ومالك بن التيهان • ومهاجر بن خالد بن الوليد المخزومي ، رضع حب الوصي من لبن أمه وكانت من الشيعة ، وهي بنت أنس بن مدرك بن كعب الذي ذكرناه سابقا في حرف الالف • ومخنف بن سليم وهو جد أبي مخنف الغامدي • ومحمد بن أبي بكر بن أبي قحافة التيمي والمسور بن شداد بن عمير القرشي • ومرداس بن مالك الاسلمي • والمسيب ابن نجية بن ربيعة الفزاري الشهيد في طلب ثار سيد الشهداء مع سليمان ابن صرد الخزاعي •

ن

ونعيم بن مسعود بن عامر الاشجعي • ونضلة بن عبيد الاسلمي •

ه

وهاشم المرقال بن عتبة بن ابي وقاص الزهري • وهالة بن أبي هالة • وابنه هند التميميان • وهاني بن عروة بن الفضاض بن نمران بن عمرو بن حفص بن عبد يغوث المرادي ، الشهيد في سبيل الدفاع عن مسلم بن عقيل ، ذكره في القسم الثالث من الاصابة • وهاني بن نيار حليف الانصار •

و

والوليد بن جابر بن ظالم الطائي • ووداعة بن أبي زيد الانصاري •

وابو جحيفة وهب بن عبدالله السوائي .

ي

ويعلى بن حمزة بن عبد المطلب الهاشمي . ويعلى بن عمير النهدي . ويزيد بن طعمة الانصاري . ويزيد بن نويرة الانصاري . ويزيد بن حوثرة الانصاري وآخرون يعرفهم المتتبعون .

على أنا تتولى من الصحابة كل من سبق في عدم تشيعه بشبهة اضطرته الى الحياد أو الى مسايرة أهل السلطة بقصد الاحتياط على الدين ، وهم كثيرون جدا فكيف ترمى الشيعة بعد هذا ببغض الصحابة كافة (سبحانك هذا بهتان عظيم) .

نعم هناك جماعة نافقوا في صحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وظهر نفاقهم بما أحدثوه بعده من الحوادث العظيمة ، وبما نصبوه لعلي ولسائر أهل البيت من العداوة والبغضاء ، حتى كان ما كان « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم » وقد تواترت الاخبار عن أئمتنا الابرار بردتهم ، وحسبك في إثبات ذلك ما أخرجه البخاري في باب الحوض وهو في آخر كتاب الرقاق من الجزء الرابع من صحيحه عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) بينا أنا قائم (يعني يوم القيامة على الحوض) فاذا زمرة حتى اذا عرفتهم ، خرج رجل من بيني وبينهم فقال : هلم . فقلت : أين ؟قال: الى النار والله . قلت : وما شأنهم ؟ قال : انهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ، ثم اذا زمرة حتى اذا عرفتهم خرج رجل من بيني وبينهم فقال : هلم . قلت : الى أين ؟ قال : الى النار والله . قلت : ما شأنهم؟قال: انهم ارتدوا بعدك على أدبارهم القهقري ، فلا أراه يخلص منهم الا مثل همل النعم ا هـ .

وأخرج البخاري في باب الحوض عن أبي هريرة أيضا أنه كان يحدث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : يرد علي يوم القيامة رهط من أصحابي فيحلأون عن الحوض فأقول : يارب اصحابي • فيقول : أنك لا علم لك بما أحدثوا بعدك ، أنهم ارتدوا على أعقابهم القهقرى اهـ •

وأخرج في الباب المذكور أيضا عن أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : ليردن علي ناس من أصحابي الحوض حتى عرفتهم اختلجوا دوني فأقول : اصحابي • فيقول : لاتدري ما أحدثوا بعدك اهـ •

وأخرج في الباب المذكور أيضا عن سهل بن سعد قال : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : أني فرطكم على الحوض من مر علي شرب ومن شرب لم يظمأ أبدا ، وليردن علي أقوام أعرفهم ويعرفوني ثم يحال بيني وبينهم • قال البخاري : قال ابو حازم : فسمعني النعمان بن أبي عياش فقال : هكذا سمعت من سهل ؟ فقلت : نعم • فقال : أشهد على أبي سعيد الخدري لسمعته وهو يزيد فيها : فأقول انهم مني • فيقال : انك لاتدري ما أحدثوا بعدك • فأقول : سحقا سحقا لمن غير بعدي اهـ •

وأخرج في آخر الباب المذكور عن اسماء بنت ابي بكر رضي الله عنهما قالت : قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم : اني على الحوض حتى أنظر من يرد علي منكم ، وسيؤخذ ناس دوني فأقول : يارب مني ومن أمتي • فيقال : هل شعرت ما عملوا بعدك ، والله ما برحوا يرجعون على أعقابهم • قال البخاري : فكان ابن أبي مليكة يقول : اللهم انا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا ونفتن عن ديننا اهـ •

وأخرج أيضا في باب غزوة الحديبية من الجزء الثالث من صحيحه عن

العلاء بن المسيب عن أبيه قال : لقيت البراء بن عازب رضي الله عنهما فقلت : طوبى لك صبحت النبي وبايعته تحت الشجرة . فقال : يا بن أخي انك لاتدري ما أحدثنا بعده اهـ .

وأخرج أيضا في أول باب قوله تعالى : « واتخذ الله ابراهيم خليلا » من كتاب بدء الخلق من الجزء الثاني من صحيحه عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال : انكم تحشرون حفاة عراة غرلا (٢٧) ثم قرأ « كما بدأنا أول خلق نعيده وعدا علينا انا كنا فاعلين » وأول من يكسى يوم القيامة ابراهيم ، وان ناسا من أصحابي يؤخذ بهم ذات الشمال فأقول : أصحابي أصحابي . فيقال : انهم لم يزالوا مرتدين على اعقابهم منذ فارقتهم . فأقول كما قال العبد الصالح : « وكنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم » الى قوله « الحكيم » .

ومن وقف على ما أخرجه الامام احمد من حديث ابي الطفيل في آخر الجزء الخامس من مسنده يعلم أن فيهم قوما دحرجوا الدباب ليلة العقبة لينفروا برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ناقته « وهموا بما لم ينالوا وما نقموا الا أن اغناهم الله ورسوله من فضله » ومن تلا سورة التوبة يعلم بأنهم ابتغوا الفتنة من قبل ، وقلبوا الامور لرسول الله (ص) حتى جاء الحق وظهر أمر الله وهم كارهون « ويحلفون بالله انهم لمنكم وما هم منكم ولكنهم قوم يفرقون . لو يجدون ملجأ أو مغارات أو مدخلا لولوا اليه وهم يجمحون . ومنهم الذين يؤذون النبي ويقولون هو أذن قل أذن خير لكم يؤمن بالله ويؤمن للمؤمنين ورحمة للذين آمنوا منكم والذين يؤذون رسول الله لهم عذاب أليم . يحلفون بالله لكم ليرضوكم ورسوله أحق ان يرضوه ان كانوا

مؤمنين ألم يعلموا أنه من يحادد الله ورسوله فان له نار جهنم خالدا فيها ذلك الخزي العظيم » • « ولئن سألتهم ليقولن انما كنا نخوض ونلعب قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزؤن » • « ومنهم من عاهد الله لئن آتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين فلما آتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون • فأعقبهم نفاقا في قلوبهم الى يوم يلقونه بما اخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون » • « الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين في الصدقات والذين لا يجدون الا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم • استغفر لهم أولا تستغفر لهم ان تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم » • « ولا تصل على أحد منهم مات أبدا ولا تقم على قبره انهم كفروا بالله ورسوله وماتوا وهم فاسقون • ولا تعجبك أموالهم وأولادهم انما يريد الله أن يعذبهم بها في الدنيا وتزهق أنفسهم وهم كافرون • واذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولوا الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين • رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون » « سيحلفون بالله لكم اذا أنقلبتم اليهم لتعرضوا عنهم فأعرضوا عنهم انهم رجس ومأواهم جهنم جزاء بما كانوا يكسبون • يحلفون لكم لترضوا عنهم فان ترضوا عنهم فإن الله لا يرضى عن القوم الفاسقين » الى آخر السورة الدالة على فشو النفاق فيهم •

فما أدري كيف صار كل من كانت له صحبة ثقة عدلا بمجرد أن مات

---

(٢٧) قال في لسان العرب : وفي الحديث « يحشر الناس عراة حفاة غرلا بهما » أي قلقا ، والغرل جمع الأغرل : وهو الذين لم يختن •

تمت التعليقة بقلم مؤلفها الاقل الاحقر عبد الحسين شرف الدين الموسوي العاملي ، والحمد لله في البدء وفي الختام ، والصلاة والسلام على خير الانام محمد وآله الكرام •

رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « وما محمد إلا رسول قد خلت من قبله الرسل أفان مات او قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » الذين شكروا نعمة الرسالة فلم ينقلبوا ولم يحدثوا بعد الرسول (ص) حدثا ، ولم يغيروا ولم يبدلوا واستقاموا على ما أمرهم الله تعالى به ورسوله « وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون . أعد الله لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم » وهم في غنى عن مدحة المادحين وتقريظ الواصفين بما لهم من تأييد الدين ونشر دعوة الحق المبين ، فمودتهم واجبة والدعاء لهم فريضة « ربنا اغفر لنا ولا خواننا الذين سبقوا بالايمان ولا تجعل في قلوبنا غلا للذين آمنوا ربنا إنك رؤوف رحيم » .

تمت والحمد لله بقلم مؤلفها اقل خدمة الدين الاسلامي واحقر سدنة المذهب الامامي عبد الحسين ابن الشريف يوسف ابن الشريف جواد ابن الشريف اسماعيل ابن الشريف محمد ابن الشريف محمد ابن الشريف ابراهيم ويلقب بشرف الدين ابن الشريف زين العابدين ابن الشريف علي بن علي بن الحسين المعروف بأبن أبي الحسن الموسوي العاملي عامله الله بألطافه الخفية .

وكان تأليفها في مدينة صور من جبل عامل سنة ١٣٢٧ وقد أضفنا اليها في هذه الطبعة فصلين كاملين وهما الفصل ٧ والفصل ١١ لم يكونا في الطبعة الاولى ، وزدنا في غضون بقية الفصول مطالب جمة وفوائد مهمة ولا سيما في فصل المتأولين وهو الفصل ٨ ، والحمد لله أولا وآخرا وصلى الله على خيرته من عباده محمد وآله الميامين من رجاله وسلم تسليما كثيرا .

الكلمة الغراء

في

تفضيل الزهراء

(عليها السلام)

تأليف

الامام عبد الحسين شرف الدين الموسوي
قدس الله سره

دار النعمان في النجف
للطباعة والنشر
صاحبها حسن الشيخ ابراهيم الكتبي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، وصلى الله على خير خلقه محمد وآله وسلم تسليما كثيرا .

وبعد فهذه هي (الكلمة الغراء) في تفضيل فاطمة الزهراء عليها السلام ، ألقيتها [١١] جوابا لمن سألني فقال :

هل للامامية دليل يعتبره خصومهم في تفضيل فاطمة الزهراء على سائر هذه الامة ، وما ذلك الدليل والحجة ؟ أرجو التفصيل .

فقلت بسم الله الرحمن الرحيم

ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين ، وتلك السنة لا شبهة فيها لاحد من المسلمين ، وناهيك بهما قولا فصلا لا يجحده جاحد ، وحكما عدلا لايكابره معاند ، فهنا مطلبان :

المطلب الاول

في دلالة الكتاب ، وحسبك من محكماته البينات آية المباهلة وآية التطهير وآية المودة في القربى وآيات الابرار أدلة قاطعة تظل أعناق الورى لها خاضعة ، فهنا فصول أربعة :

---

(١) بسم الله وعلقت عليها تعليقة تكشف عن دقائق اغراضها ولطيف اشاراتها ، وجعلتها تحت الخط في أسفل صفحاتها فلا تفوتن الباحثين مطالعتها .
عبد الحسين شرف الدين الموسوي

الفصل الاول

في آية المباهلة ، وهي قوله عز من قائل في سورة آل عمران : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » .

أجمع أهل القبلة حتى الخوارج منهم ، على ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم لم يدع للمباهلة من النساء سوى بضعته الزهراء ، ومن الابناء سوى سبطيه وريحانتيه من الدنيا ، ومن الانفس إلا أخاه الذي كان منه بمنزلة هارون من موسى ، فهؤلاء أصحاب هذه الآية بحكم الضرورة التي لا يمكن جحودها لم يشاركهم فيها أحد من العالمين ، كما هو بديهي لكل من ألم بتاريخ المسلمين وبهم خاصة نزلت (٢) لا بسواهم .

فباهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بهم خصومه من أهل نجران فبهلهم — وأمهات المؤمنين رضي الله عنهن كن حينئذ في حجراته صلى الله عليه وآله وسلم ، فلم يدع واحدة منهن وهن بمرأى منه ومسمع ، ولم يدع صفية وهي شقيقة أبيه وبقية أهليه ، ولا ام هاني ذات الشأن والمكانة وهي

(٢) فيما علمه المسلمون واخرجه المحدثون عن أعلام الصحابة رضي الله عنهم ، وقد رواه الامام الواحدي في كتابه أسباب النزول بسنده عن جابر ابن عبد الله — وكان الشعبي يفسر الآية فيقول : ابناءنا الحسن والحسين ، ونساءنا فاطمة ، وانفسنا علي بن أبي طالب رضي الله عنهم . كذا في صفحة ٧٥ من اسباب النزول للواحدي حيث ذكر فيه آية المباهلة . وأخرج الدارقطني كما في الآية التاسعة من الآيات التي أوردها ابن حجر في الباب ١١ من صواعقه أن عليا يوم الشورى احتج على اهلها فقال لهم : أنشدكم بالله هل فيكم أحد جعله الله نفس النبي وابناءه ابناءه ونساءه نساءه غيري ؟ قالوا : اللهم لا . . . الحديث .

كريمة عمه الفارج لهمه ذي الايادي التي هي من المسلمات طوق الهوادي ، ولا دعا غيرها من عقائل الشرف والمجد وخفرات عمر العلي وشيبة الحمد ، ولا واحدة من نساء الخلفاء الثلاثة وغيرهم من المهاجرين والانصار .

كما انه لم يدع مع سيدي شباب أهل الجنة أحدا من أبناء الهاشميين ، على أنهم كانوا (اذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤا منثورا) ولا دعا أحدا من ابناء الصحابة على كثرتهم ووفور فضلهم .

وكذلك لم يدع من الانفس مع علي عمه وصنو ابيه العباس بن عبد المطلب وهو شيخ الهاشميين واجود القرشيين واعظم الناس [٣] عند رسول الله (ص) بل لم يدع أحدا من كافة عشيرته الاقربين ولا واحدا من السابقين الاولين رضي الله تعالى عنهم أجمعين ، وكانوا بمرأى من المباهلة ومسمع ومنتدى من أهلها ومجمع ، فلم ينتدب وأحدا منهم مع من انتدبهم اليها ، بل لم ينتدب أحدا من سائر أهل الارض بالطول والعرض ، وانما خرج (ص) كما نص عليه الرازي في تفسيره الكبير وعليه مرط من شعر أسود وقد احتضن الحسين وأخذ بيد الحسن وفاطمة تمشي خلفه وعلي خلفها وهو يقول : اذا أنا دعوت فأمنوا . فقال اسقف نجران : يا معشر النصارى أني لارى وجوها لو سألوا الله أن يزيل جبلا لازاله بها فلا تباهلوهم فتهلكوا ولا يبقى على وجه الارض نصراني الى يوم القيامة [٤] .

(٣) فيما أخرجه البغوي في ترجمة ابي سفيان بن الحارث عن أبيه كما في ترجمة العباس من الاصابة .

(٤) وهذا الحديث ذكره المفسرون والمحدثون واهل السير والاخبار وكل من أرخ حوادث السنة العاشرة للهجرة وهي سنة المباهلة . قال الرازي بعد ايراده في تفسيره الكبير : وأعلم ان هذه الرواية كالمتفق على صحتها بين أهل التفسير والحديث . قلت : بل هي كالضروريات لديهم فلا يجهلها منهم

بخ بخ ان من وقف على هـذه الوهلة العظيمة والروعة الشديدة التي رهقت أعلام نجران • وممثلي دينهـا ودنيـاها (٥) بمجرد ان برز أصحاب الكساء لمباهلتهم يعلم ان لمحمد وآل محمد صلوات الله وسلامه عليه وعليهم جلالة ربانية تغشى الابصار ومهابة روحانية يخفض لها جناح الذل والصغار ، ألا ترى آولئك الابطال «وهم ستون فارسا من أسود الشرى وليوث الوغى » كيف ارتعدت فرائصهم قلقا وانخلعت قلوبهم فرقا ، ونادى عظيمهم بماسمعت

أحد • وقد تصدى سيدنا الشريف المقدس ابن طاوس لتفصيل المباهلة ومقدماتها وما كان قبلها في نجران من المؤامرات والمناظرات في جلساتهم المتعددة المنعقدة لذلك حين دعاهم سيد الانبياء والمرسلين الى الله تعالى وأرسل اليهم في ذلك رسله ، فليراجع كتاب الاقبال من أراد الوقوف على تفصيل تلك الاحوال ليرى أعلام النبوة وآيات الاسـلام وبشائر النبيين بسيدهم محمـد (ص) وبعترته الطيبين الطاهرين وبذريته المباركة من بضعته سيدة نساء العالمين • وكنت أردت ان أخرج هذه القضية من كتـاب الاقبال وانشرها كرسالة على حدة تعميما لفوائدها وتسهيلا لطالبها ، ولعل بعض اهل الهمم العالية ممن حبسوا نفوسهم على نشر الحق يسبقني الى ذلك فأكون قد فزت بتنبيهه الى هذه المهمة أن شاء الله تعالى •

(٥) اذ وفدوا على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم ثيـاب الحبرات جبابا واردية ، يقول بعض من رآهم من أصحاب رسول الله (ص) ما رأينا وفدا مثلهم ، وكان فيهم أربعة عشر رجـلا هم زعماء القوم ، وفي الاربعة عشر ثلاثة نفر اليهم يؤول الامر في نجران ، وهم « السيد » واسمه الايهم وهو امامهم وصاحب رحلهم ، و « العاقب » وهو أمير القوم وصاحب مشورتهم الذي لا يصدرون الا عن رأيه واسمه عبد المسيح ، و « أبو حارثة ابن علقمة » وهو اسقفهم وحبرهم وامامهم وصاحب مدارسهم وكنائسهم ، وكان قد شرف فيهم ودرس كتبهم حتى حسن علمه في دينهم ، وكانت ملوك الروم قد شرفوه ومولوه وبنوا له الكنائس لعلمه واجتهاده • نقل ذلك كله الامام الواحدي في كتابه أسباب النزول وغير واحد من المفسرين واهل الاخبار

هلوعا جزوعا • وهذا ليس الا للجلالة الربانية والعظمة الروحانية التي أدركها خصمهم من أول نظرة الى وجوهم المباركة ، فكأن الجلالة والعظمة والمهابة والابهة وقرب المنزلة من الله والكرامة عليه مكتوبة بنوره تعالى ، في أسارير جبهاتهم الميمونة ومعنونة في صفحات وجناتهم الكريمة ، واني لا عجب والله من المسلم لا يقدر هذا المقام قدره •

وأنت تعلم ان مباهلته صلى الله عليه وآله وسلم بهم والتماسه منهم التأمين على دعائه بمجرده بفضل عظيم ، وانتخابه اياهم لهذه المهمة العظيمة واختصاصهم بهذا الشأن الكبير وايثارهم فيه على من سواهم من أهل السوابق فضل على فضل لم يسبقهم اليه سابق ، ولن يلحقهم فيه لا حق • ونزول القرآن العزيز آمرا بالمباهلة بهم بالخصوص فضل ثالث ، يزيد فضل المباهلة ظهورا ويضيف الى شرف اختصاصهم بها شرفا والى نوره نورا •

وهناك نكتة يعرف كنهها علماء البلاغة ويقدرها الراسخون في العلم العارفون بأسرار القرآن ، وهي ان الآية الكريمة ظاهرة في عموم الابناء والنساء والانفس كما يشهد به علماء البيان ، ولا يجهله أحد ممن عرف ان الجمع المضاف حقيقة في الاستغراق ، وانما اطلقت هذه العمومات عليهم بالخصوص تبيانا لكونهم ممثلي الاسلام واعلانا لكونهم أكمل الانام واذانا بكونهم صفوة العالم وبرهانا على انهم خيرة الخيرة من بني آدم ، وتنبيها الى ان فيهم من الروحانية الاسلامية والاخلاص لله في العبودية ، ماليس في جميع البرية ، وان دعوتهم الى المباهلة بحكم دعوة الجميع ، وحضورهم خاصة فيها منزل منزلة حضور الامة عامة وتأمينهم على دعائه مغن عن تأمين من عداهم ، وبهذا جاز التجوز باطلاق تلك العمومات عليهم بالخصوص • ومن

غاص على أسرار الكتاب الحكيم وتدبره ووقف على أغراضه يعلم ان أطلاق هذه العمومات عليهم بالخصوص انما هو على حد قول القائل :

ليس على الله بمستنكر ان يجمع العالم في واحد

ولذا قال الزمخشري في تفسير الآية من كشافه : وفيه دليل لا شيء أقوى منه على فضل اصحاب الكساء عليهم السلام اهـ .

بقيت نكتة يجب التنبه لها ، وحاصلها : ان أختصاص الزهراء من النساء والمرتضى من الانفس ــ مع عدم الاكتفاء بأحد السبطين من الابناء ــ دليل على ما ذكرناه من تفضيلهم عليهم السلام ، لان عليا وفاطمة لما لم يكن لهما نظير في الانفس والنساء كان وجودهما مغنيا عن وجودمن سواهما ، بخلاف كل من السبطين ، فان وجود احدهما لا يغني عن وجود الآخر لتكافئهما . ولذا دعاهما (ص) جميعا ، ولو دعا احدهما دون صنوه كان ترجيحا بلا مرجح ، وهذا ينافي الحكمة والعدل . نعم لو كان ثمة من الابناء من يساويهما لدعاه معهما ، كما انه لو كان لعلي نظير من الانفس او لفاطمة من النساء لما حاباهما ، عملا بقاعدة الحكمة والعدل والمساواة .

بقي مما دلت عليه الآية من خصائص علي عليه السلام فضل تضمحل دونه الخصائص وتفنى في جنبه الفضائل والمناقب ، ألا وهو كونه نفس النبي (ص) وجاريا بنص الآية مجراه ، الفضل الذي تعنو له الجباه بخوعا وتطا من لديه المفارق خشوعا ويملأ الصدور هيبة واجلالا وتصاغر دونه الهمم يأسا من بلوغ مداه ، «ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم » .

وأنت هداك الله اذا عرفت ان الله تبارك وتعالى قد أنزل نفس النبي واجراها في محكم الذكر مجراها ، لا ترتاب حينئذ في أنه أفضل الامة وأولاها

برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم حيا وميتا ، وقد صرح أولياء أهل البيت واعترف اعداؤهم بدلالة الآية على هذا التفضيل الخالد في القرآن ذكره والطيب في بينات الفرقان نشره ، حتى ان الرازي مع غرامه بنقض المحكمات وهيامه في التشكيك والشبهات ، لم يناقش في دلالتها على هذا المقدار من تفضله عليه السلام ، وانما ناقش المحمود بن الحسن حيث صرح بدلالتها على تفضيله على من كان قبل محمد من الانبياء عليه وعليهم السلام .

واليك عبارة الرازي بعين لفظه قال : (٦) كان في الري رجل يقال له محمود بن الحسن الحمصي وكان معلم الاثني عشرية ، وكان يزعم ان عليا رضي الله عنه أفضل من جميع الانبياء سوى محمد صلى الله عليه وآله وسلم واستدل على ذلك بقوله تعالى : « وأنفسنا وأنفسكم » اذ ليس المراد بقوله « وأنفسنا » نفس محمد صلى الله عليه وسلم ، لان الانسان لا يدعو نفسه بل المراد غيرها ، وأجمعوا على ان ذلك الغير كان علي بن أبي طالب (رض) فدلت الآية على ان نفس علي هي نفس محمد (٧) ولا يمكن ان يكون المراد أن هذه النفس هي عين تلك ، فالمراد ان هذه النفس مثل تلك النفس ، وذلك يقتضي المساواة في جميع الوجوه ، تركنا العمل بهذا العموم في حق النبوة

(٦) في تفسير آية المباهلة فراجع صفحة ٤٨٨ من الجزء الثاني من تفسيره الكبير « مفاتيح الغيب » ، والرازي هذا هو الخطيب محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازي .

(٧) كما قيل في مديحه عليه السلام .

وهو في آية التباهل نفس الـ ـمصطفى ليس غيره اياها

ولعلك اذا ضممت قوله « وانفسنا » الى قوله تعالى « ما كان لاهل المدينة ومن حولهم من الاعراب ان يتخلفوا عن رسول الله ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه » وأمعنت النظر في الآيتين يتجلي لك من الاسرار ما كان خفيا .

وفي حق الفضل بقيام الدلائل على ان محمدا عليه الصلاة والسلام كان نبيا وما كان علي كذلك ،ولانعقاد الاجماع على ان محمدا عليه السلام كان أفضل من علي (ر ض) فبقي فيما وراءه معمولا به . ثم الاجماع دل على انمحمدا عليه السلام كان أفضل من سائر الانبياء عليهم السلام ، فيلزم ان يكون علي أفضل من سائر الانبياء .

فهذا وجه الاستدلال بظواهر هذه ، وأمعن النظر تجده قد أوضح دلالة الآية على ذلك غاية الايضاح ، ونادى (من حيث لا يقصد) حي على الفلاح لم يعارض الشيعة فيما نقله عن قديمهم وحديثهم ولا ناقشهم فيه بكلمة واحدة ، فكأنه أذعن لقولهم واعترف بدلالة الآية على رأيهم ، وانما ناقش المحمود بن الحسن كما لا يخفى على أن الاجماع الذي صال به الرازي على المحمود لا يعرفه المحمود ومن يرى رأيه فأفهم .

الفصل الثاني

في آية التطهير وهي قوله جل وعلا في سورة الاحزاب : «انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » لا ريب في أن أهل البيت الذين اذهب الله عنهم الرجس وطهرهم في هذه الآية انما هم الخمسة «أصحاب الكساء » ، وكفاك هذا برهانا على انهم أفضل من أقلته الارض يومئذ ومن اظلته السماء . ألا وهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وصنوه الجاري بنص الذكر مجرى نفسه ، وبضعته التي يغضب الله لغضبها ويرضى لرضاها ،وريحانتاه من الدنيا سبطاه الشهيدان سيدا شباب أهل الجنة ، فهؤلاء

هم أصحاب هذه الآية البينة [٨] بحكم الادلة القاطعة والحجج الساطعة ، لم يشاركهم فيها أحد من بني آدم ، ولا زاحمهم تحت كسائها واحد من هذا العالم .

وقد أورد الامام جلال الدين السيوطي [٩] في تفسير هذه الآية من كتابه « الدر المنثور » عشرين رواية من طرق مختلفة في أن المراد من أهل البيت هنا انما هم الخمسة لا غير ، وذكر ابن جرير في تفسيره [١٠] خمس عشرة رواية بأسانيد مختلفة في قصر الآية عليهم بالخصوص .

وحسبك في ذلك قول رسول الله [١١] (ص) : أنزلت هذه الآية في خمسة في وفي علي والحسن والحسين وفاطمة [١٢] . وقد أجمعت كلمة أهل القبلة من أهل المذاهب الاسلامية كلها على انه (ص) لما نزل الوحي بها عليه ، ضم

---

(٨) صرح بذلك أبو سعيد الخدري وجماعة من التابعين منهم مجاهد وقتادة وغيرهم فيما ذكره الامام البغوي وابن الخازن وكثير من المفسرين كما في المقصد الاول من الشرف المؤبد لآل محمد ومؤلفه يوسف بن اسماعيل المعاصر النبهاني . ومن أراد تفصيل القول بنزول هذه الآية في الخمسة بالخصوص فعليه برشفة الصادي للامام ابي بكر بن شهاب الدين العلوي رضي الله عنه .

(٩) كما في المقصد الاول من الشرف المؤبد .

(١٠) كما في الشرف المؤبد أيضا .

(١١) فيما أخرجه ابن جرير والطبراني بأسانيدهم اليه (ص) وقد ذكره ابن حجر في تفسير الآية من صواعقه والنبهاني في صفحة ٧ من الشرف المؤبد.

(١٢) وأخرج الامام أحمد بن حنبل كما في تفسير الآية من الصواعق عن أبي سعيد الخدري انها نزلت في خمسة النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين ، وأخرجه عن أبي سعيد أيضا الامام الواحدي عند بلوغه للآية من كتابه (اسباب النزول) والامام الثعلبي في تفسيره الكبير وكثيرون من المحدثين والمفسرين .

سبطيه واباهما وامهما اليه ثم غشاهم ونفسه بذلك الكساء ، تمييزا لهم عن سائر الابناء والانفس والنساء ، فلما أنفردوا تحته عن كافة أسرته واحتجبوا به عن بقية امته بلغهم الآية وهم على تلك الحال حرصا على ان لا يطمع بمشاركتهم فيها أحد من الصحابة والآل . فقال مخاطبا لهم وهم معه في معزل عن كافة الناس : « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » ، فأزاح (ص) بحجبهم في كسائه حينئذ حجب الريب وهتك سدف الشبهات ، فبرح الخفاء بحكمته البالغة وسطعت أشعة الظهور ببلاغه المبين . والحمد لله رب العالمين .

ومع ذلك لم يقتصر (ص) على هذا المقدار من توضيح اختصاص الآية بهم عليهم السلام ، حتى أخرج يده من تحت الكساء ، فألوى بها الى السماء فقال : اللهم هؤلاء اهل بيتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا ، يكرر ذلك وام سلمة تسمع وترى اذ كان نزول الآية وقضية الكساء في بيتها ، فقالت : وأنا معكم يا رسول الله ، ورفعت الكساء لتدخل فجذبه [١٣] من

(١٣) أخرج الامام أحمد بن حنبل في صفحة ٣٢٣ من الجزء السادس من مسنده عن أم سلمة قالت : ان رسول الله (ص) قال لفاطمة : أئتني بزوجك وابنيك ، فجاءت بهم فألقى عليهم كساء فدكيا ثم وضع يده عليهم ثم قال : اللهم ان هؤلاء آل محمد فأجعل صلواتك وبركاتك على محمد وعلى آل محمد انك حميد مجيد . قالت : فرفعت الكساء لا دخل معهم فجذبه من يدي وقال انك على خير اه .

وهذا الحديث رواه بالاسناد الى أم سلمة أيضا ابو اسحاق الثعلبي في تفسيره وغير واحد من المفسرين والمحدثين . وأخرج الامام احمد من حديث أم سلمة في صفحة ٢٩٢ من الجزء السادس من مسنده ان رسول الله (ص) كان في بيتها فأتته فاطمة ببرمة فيها حريرة فقال لها : أدعي زوجك وابنيك . قالت أم سلمة : فدخلوا عليه فجلسوا يأكلون معه وهو على منامة له ، على

يدها وقال : انك على خير ، وفي ذلك كله صحاح متواترة من طريق العترة الطاهرة .

فيا أهل البصائر برسول الله (ص) العارفين بمبلغه من الحكمة والعصمة المقدرين قدر أفعاله واقواله هل تجدون وجها لحصرهم تحت الكساء عند

دكان تحته كساء خيبري . قالت : وانا اصلي في الحجرة ، فأنزل الله عزوجل « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » قالت : فأخذ فضل الكساء فغشاهم به ثم أخرج يده فألوى بها الى السماء ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي وخاصتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . قالت: فأدخلت رأسي البيت فقلت : وانا معكم يا رسول الله . قال : انك الى خير انك الى خير اه .

وهذا الحديث أخرجه الامام الواحدي في تفسير الآية من كتابه أسباب النزول ، فراجع منه صفحة ٢٦٧ ، وأخرجه ابن جرير في تفسير الآية من تفسيره الكبير وابن المنذر وابن ابي حاتم وابن مردويه والطبراني وغيرهم . واخرج الترمذي والحاكم وصححاه وابن جرير وابن المنذر والبيهقي في سننه من طرق عديدة عن أم سلمة قالت : في بيتي نزلت هذه الآية وفي البيت علي وفاطمة والحسن والحسين ، فجللهم رسول الله (ص) بكساء كان عليه ثم قال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اه .

وأخرج مسلم في باب فضائل علي من صحيحه عن عامر بن سعد بن أبي وقاص قال : أمر معاوية بن أبي سفيان سعد فقال : ما منعك أن تسب أبا تراب ؟ فقال : أما ماذكرت ثلاثا قالهن رسول الله (ص) فلن اسبه ، لان تكون لي واحدة منهن احب الي من حمر النعم ، سمعت رسول الله (ص) يقول له وقد خلفه في بعض مغازيه فقال له علي : يا رسول الله خلفتني مع النساء والصبيان ؟ فقال له رسول الله (ص) : أما ترضى ان تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لا نبوة بعدي . وسمعته يقول يوم خيبر : لا عطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله ، فتطاولنا لها فقال ادعوا لي عليا فأتى به أرمد فبصق في عينيه ودفع الراية اليه ففتح الله عليه . ولما نزلت هذه الآية « قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم » دعا رسول الله عليا وفاطمة وحسنا وحسينا فقال : اللهم هؤلاء أهلي اه .

تبليغهم الآية عن الله تعالى الا المبالغة البليغة في توضيح ما قلناه من أختصاصها وامتيازهم بها عن العالمين ؟ وهل تفهمون من قوله « اللهم هؤلاء اهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا » الا الحصر بهم والقصر عليهم؟ وهل ترون وجها لجذب الكساء من يد أم سلمة ومنعها من الدخول معهم على جلالة قدرها وعظم شأنها الا الذي ذكرناه ؟ فأين تذهبون وانى تؤفكون « انه لقول رسول كريم • ذي قوة عند ذي العرش مكين • مطاع ثم امين • وما صاحبكم بمجنون » •

فيكون بحجبه اياهم في كسائه عابثا ، أو يكون بقوله (ص) « اللهم هؤلاء أهل بيتي » هاذيا ، او يكون بجذبه الكساء من يد أم سلمة مجازفا ؟! حاشا لله « ان هو الا وحي يوحى • علمه شديد القوى » •

وقد تكررت منه (ص) قضية الكساء حتى احتمل بعض العلماء تكرار نزول الآية أيضا ، والصواب عندنا نزولها مرة واحدة ، لكن حكمة الصادق الامين في نصحه ببلاغه المبين اقتضت تكرير تلك القضية مرة في بيت أم سلمة

وأخرج مسلم أيضا في باب فضائل أهـل البيت من صحيحه وهو في صفحة ٣٣١ من جزئه الثاني عن عائشة قالت : خرج رسول الله غداة وعليه مرط مرحل من شعر اسود ، فجاء الحسن بن علي فأدخله ثم جاء الحسين فدخل معه ثم جاءت فاطمة فأدخلها ثم جاء علي فأدخله ثم قال : انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا ـ ا هـ •

وهذا الحديث أخرجه احمد من حديث عائشة في مسنده ، وأخرجه ابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم وصاحب الجمع بين الصحيحين وصاحب الجمع بين الصحاح الستة ، ومن أراد المزيد فعليه برشفة الصادي للامام أبي بكر ابن شهاب الدين العلوي ، على ان في هذا المقدار كفاية لاولي الابصار •

عند نزول الآية (١٤) وتبليغها لاهلها المخاطبين فيها ، وأخرى في بيت فاطمة (١٥) وفي كل مرة يتلو عليهم الآية مخاطبا لهم بها ، وهم في معزل عن الناس تحت ذلك الكساء درءا للشبهة في نحور اهل الزيغ .

وقد بلغ بأبي هو وأمي في توضيح اختصاص الآية بهم كل مبلغ ، وسلك في أعلان ذلك مسالك ينقطع معها شغب المشاغب ولا يبقى بعدها أثر لهذيان النواصب ، حتى كان بعد نزول الآية كلما خرج الى الفجر يمر ببيت فاطمة فيقول : الصلاة يا أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت

---

(١٤) كما تدل عليه الاحاديث التي سمعتها عن أم سلمة .

(١٥) ويدل عليه ما أخرجه الامام احمد في صفحة ١٠٧ من الجزء الرابع من مسنده عن واثلة ابن الاسقع انه قال من جملة حديث : أتيت فاطمة أسألها عن علي قالت ذهب الى رسول الله (ص) ، فجلست انتظره حتى جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومعه علي وحسن وحسين آخذا كل واحد منهما بيده ، فأدنى عليا وفاطمة فأجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد منهما على فخذه ، ثم لف عليهم ثوبه ــ أو قال كساءه ــ ثم تلا « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس اهل البيت ويطهركم تطهيرا » وقال : اللهم هؤلاء أهل بيتي فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا اه .

وقد أخرج هــذا الحديث عن واثلة أيضا كل من ابن جرير في تفسيره الكبير وابن المنذر وابن أبي شيبة وابن أبي حاتم والطبراني والبيهقي في سننه وصححه الحاكم ، وغيرهم من حملة الآثار وحفظة الاخبار .

قال النبهاني في صفحة ٧ من كتاب الشرف المؤبد ما هذا لفظه : وقد ثبت من طرق عديدة ان رسول الله (ص) جاء ومعه علي وفاطمة وحسن وحسين قد أخذ كل واحد منهما بيد حتى دخل فأدنى عليا وفاطمة واجلسهما بين يديه وأجلس حسنا وحسينا كل واحد على فخذه ، ثم لف عليهما كساء ثم تلا هذه الآية « انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا » .

قال النبهاني : قالت أم سلمة فرفعت الكساء لادخل معهم فجذبه من يدي فقلت : وأنا معكم يارسول الله به . فقال : انك من أزواج النبي على خير .

ويطهركم تطهيرا ، وقد استمر على هذا ستة اشهر في رواية انس (١٦) ، وعن ابن عباس سبعة أشهر ، وفي رواية ذكرها النبهاني (١٧) وغيره ثمانية اشهر ، فصرح الحق عن محضه وبدا الصبح لذي عينين • لكن حثالة من أعداء اهل البيت وصنائع بني أمية ودعاة الخوارج ذهبوا في صرف الآية عن أهلها كل مذهب ، فقال بعضهم انها خاصة بنساء النبي (ص) وتشبثوا في ذلك بسياق الآية ، وبالغ عكرمة ومقاتل بن سليمان في الانتصار لهذا الرأي والاستدلال بالسياق عليه ، وكان عكرمة ينادي به في الاسواق (١٨) تحاملا على أصحاب الكساء ، ولا عجب فان عكرمة من الدعاة الى عداوة علي والسعاة في تضليل الناس عنه بكل طريق •

فعن يحيى بن بكير قال : قدم عكرمة مصر وهو يريد المغرب • قال : فالخوارج الذين هم في المغرب عنه أخذوا (١٩) •

وعن خالد بن عمران قال : كنا في المغرب وعندنا عكرمة في وقت الموسم

---

(١٦) أخرج الامام احمد في صفحة ٢٥٩ من الجزء الثالث من مسنده عن أنس ابن مالك ان النبي (ص) كان يمر ببيت فاطمة ستة أشهر اذا خرج الى الفجر فيقول الصلاة يا أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا اهـ • وأخرجه الحاكم وصححه والترمذي وحسنه وابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن مردويه والطبراني وغيرهم عن أنس أيضا فراجع كتاب رشفة الصادي للامام أبي بكر بن شهاب الدين العلوي •

(١٧) في صفحة ٨ من الشرف المؤبد •

(١٨) فيما نقله عنه جماعة كثيرون منهم الواحدي في كتابه أسباب النزول وابن حجر في صواعقه •

(١٩) نقل القاضي الجعابي حيث أتى على ذكر عكرمة في كتاب الموالي : أن عكرمة دخل في رأي الحرورية من الخوارج فخرج يدعو اليهم بالمغرب • وعن أبي علي الاهوازي كما في ترجمة عكرمة من معجم ياقوت : ان عكرمة كان يرى رأي الخوارج ويميل الى استماع الغناء • قال : وقيل انه كان

فقال : وددت ان بيدي حربة فأعترض بها من شهد الموسم يمينا وشمالا (لبنائه على كفر من عدا الخوارج من أهل القبلة) .

وعن يعقوب الحضرمي عن جده قال : وقف عكرمة على باب المسجدفقال : ما فيه الا كافر . قال : وكان يرى رأي الاباضية (وهم من غلاة الخوارج).

وعن ابن المدايني : كان عكرمة يرى رأي نجدة الحروري (وكان نجدة من أشد الخوارج عداوة لامير المؤمنين) .

وعن مصعب الزبيري : كان عكرمة يرى رأي الخوارج . وعن عطاء كان عكرمة اباظيا . وعن احمد بن حنبل أن عكرمة : كان يرى رأي الصفرية (وهم من غلاة الخوارج أيضا) .

وحدث أيوب عن عكرمة أنه قال : انما أنزل الله متشابه القرآن ليضل به (فأنظر الى آرائه ما أخبثها) .

وعن ابن أبي شعيب قال : سألت محمد بن سيرين عن عكرمة ؟ فقال : ما يستوي انيكون من أهل الجنة ولكنه كذاب . وعن وهيب قال :شهدت يحيى ابن سعيد الانصاري وأيوب فذكرا عكرمة فقال يحيى : هو كذاب .

وعن ابن المسيب أنه كذب عكرمة . وعن عبد الله بن الحارث قال : دخلت على علي بن عبد الله بن العباس فاذا عكرمة فيوثاق فقلت : ألا تتقي الله ؟فقال: ان هذا الخبيث يكذب على أبي [٢٠] .

يكذب على مولاه .

(٢٠) هذا لفظ الذهبي في ميزان الاعتدال نقلا عن عبد الله بن الحارث ، والذي نقله ياقوت الرومي في ترجمة عكرمة من معجمه عن عبد الله بن الحارث قال : دخلت على علي بن عبد الله بن عباس وعكرمة موثوق في باب الكنيف فقلت : أتفعلون هذا بمولاكم ؟ فقال : ان هذا يكذب على أبي . ونقل ياقوت في آخر ترجمة عكرمة من معجمه أيضا عن يزيد بن زناد قال : دخلت على علي

وعن ابن المسيب انه قال لمولى له اسمه برد : لاتكذب عليَّ كما كذب عكرمة على ابن عباس • وعن ابن عمر انه قال ذلك أيضا لمولاه نافع •

وعن طاوس : لو ان عند عكرمة مولى ابن عباس تقوى من الله وكف من حديثه لشدت اليه المطايا • وعن ابن ذؤيب : رأيت عكرمة وكان غير ثقة •

وعن يحيى بن سعيد قال : حدثوني والله عن أيوب انه ذكر له ان عكرمة لا يحسن الصلاة ، فقال أيوب او كان يصلي • وعن محمد بن سعيد : كان عكرمة كثير العلم وليس يحتج بحديثه وتكلم الناس فيه •

وعن مطرق بن عبد الله : سمعت ان مالكا يكره ان يذكره ولا يرى ان يروي عنه • وعن احمد بن حنبل : ما علمت ان مالكا حدث بشيء لعكرمة الا في مسألة واحدة •

وعن سليمان بن معبد السنجي قال : مات عكرمة وكثير عزة في يوم واحد ، فشهد الناس جنازة كثير وتركوا جنازة عكرمة (٢١) وعن الفضل الشيباني عن رجل قال : رأيت عكرمة قائما في لعب النرد • وعن يزيد بن هارون : قدم عكرمة البصرة فأتاه أيوب ويونس وسليمان فسمع عكرمة صوت غناء فقال : اسكتوا ثم قال : قاتله الله لقد أجاد ، فأما يونس وسليمان فما عادا اليه • • • الى آخر ما هو مأثور عن هذا الرجل مما يدل على سقوطه ، فراجع ترجمته في ميزان الاعتدال للذهبي فان فيها جميع ما نقلناه الآن عنه •

ابن عبدالله بن مسعود وعكرمة مقيد على باب الحش قلت : ما لهذا كذا ؟ قال : انه يكذب على ابي ا هـ • فهو بمقتضى هاتين الروايتين تارة يكذب على ابن عباس فينكر عليه ابنه ويعزره ، وتارة يكذب على ابن مسعود فينكر عليه ولده ويعزره •

(٢١) وعن الرياشي عن الاصمعي عن نافع المدني نحوه ، وعن ابن سلام كما في معجم ياقوت : ان أكثر الناس كانوا في جنازة كثير •

على أن كل من ترجمه كالعسقلاني في مقدمة فتح الباري وابن خلكان في وفياته وياقوت الرومي في أرشاد الاريب الى معرفة الاديب الموسوم بمعجم الادباء وغيرهم طعنوا فيه بنحو ما سمعت ، ولما ذكر الشهرستاني في كتاب الملل والنحل رجال الخوارج كان عكرمة اول رجل عده منهم .

وأما مقاتل فقد كان عدوا الامير المؤمنين أيضا ، وكان دأبه صرف الفضائل عنه حتى افتضح بذلك . قال ابراهيم الحربي كما في ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلكان : قعد مقاتل بن سليمان فقال (اطفاء لنور أمير المؤمنين) سلوني عما دون العرش . فقال له رجل : أخبرني من حلق رأس آدم حين حج ؟ فبهت .

وقال الجوزجاني كما في ترجمة مقاتل من ميزان الذهبي : كان مقاتل كذابا جسورا ، سمعت أبا اليمان يقول قدم هاهنا فأسند ظهره الى القبلة وقال : سلوني عما دون العرش .

قال : وحدثت أنه قال بمثلها بمكة ، فقام اليه رجل فقال : أخبرني عن النملة أين أمعاؤها ؟ فسكت . ونقل ابن خلكان هذه الحكاية في ترجمة مقاتل من وفياته من طريق سفيان بن عيينة ، وكان مقاتل مع ذلك كله من رجال المرجئة وغلاة المشبهة بنص جماعة منهم ابن حزم في صفحة ٢٠٥ من الجزء الرابع من كتابه «الفصل» ،وعده الشهرستاني في كتاب الملل والنحل من رجال المرجئة ، وقال الامام ابو حنيفة كما في ترجمة مقاتل من ميزان الاعتدال : أفرط جهم في نفي التشبيه حتى قال : انه تعالى ليس بشيء ، وافرط مقاتل في معنى الاثبات حتى جعله مثل خلقه .

قال أبو حاتم بن حيان البستي كما في ترجمة مقاتل من وفيات ابن خلكان : كان مقاتل يأخذ عن اليهود والنصارى علم القرآن الذي يوافق كتبهم ، وكان

مشبها يشبه الرب بالمخلوقين • قال : وكان يكذب مع ذلك في الحديث • • • الى آخر ما قاله أئمة الجرح والتعديل فيه ، ولهم فيه وفي عكرمة كلام أوضح من ذلك في الجرح واصرح منه في التضليل والقدح، لكن المقام لا يسع الاستقصاء وهذا القدر كاف لما أردناه من سقوط الرجلين وفساد آرائهما وبطلان أقوالهما ولا سيما في هـذا المقام فانه لا ينتظر منهما فيه الا ما يقتضيه الوغر والحقد ويستوجبه الخروج والنصب ، ولا عجب منهما وانما العتب والعجب ممن أعتمد عليهما وهو يعرف كنههما •

أما ما تشبثا به من وقوع الآية في سياق الخطاب مع النساء فتضليل محض وتمويه مجرد ، وان أطنب في تلفيقه وتزويقه صاحب نوادر الاصول وغيره من أعداء آل الرسول ، فانهم لم يألوا جهدا في تصويره وتزويره ولم يدخروا وسعا في تقريره وتحريره ، لكن مثلهم في ذلك « كمثل العنكبوت اتخذت بيتا وان أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون » ولنا في رده وجوه :

(الاول) أنه اجتهاد في مقابل النصوص الصريحة والاحاديث المتواترة الصحيحة ، وقد سمعت بعضها •

(الثاني) انها لو كانت خاصة في النساء ـ كما يزعم هؤلاء ـ لكان الخطاب في الآية بما يصلح للاناث ، ولقال عز من قائل عنكن ويطهركن كما في غيرها من آياتهن فتذكر ضمير الخطاب فيها دون غيرها من آيات النساء كاف في رد تضليلهم •

(الثالث) ان الكلام البليغ يدخله الاستطراد والاعتراض ، وهو تخلل الجملة الاجنبية بين الكلام المتناسق كقوله تعالى في حكاية خطاب العزيز لزوجته اذ يقول لها : « انه من كيدكن ان كيدكن عظيم • يوسف أعرض عن هـذا واستغفري لذنبك » فقوله يوسف أعرض عن هذا مستطرد بين خطابيه معها

كما ترى ، ومثله قوله تعالى : « ان الملوك اذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون واني مرسلة اليهم بهدية فناظرة بما يرجع المرسلون » فقوله وكذلك يفعلون مستطرد من جهة الله تعالى بين كلام بلقيس ، ونحوه قوله عز من قائل : « فلا اقسم بمواقع النجوم . وانه لقسم لو تعلمون عظيم . وانه لقرآن كريم » تقديره فلا اقسم بمواقع النجوم ، انه لقرآن كريم ، وما بينهما أستطراد على استطراد ، وهذا كثير في الكتاب والسنة وكلام العرب العاربة وغيرهم من البلغاء .

وآية التطهير من هذا القبيل جاءت مستطردة بين آيات النساء ، فتبين بسبب استطرادها أن خطاب الله لهن بتلك الاوامر والنواهي والنصائح والآداب لم يكن الا لعناية الله تعالى بأهل البيت « أعني الخمسة » لئلا ينالهم « ولو من جهتهن » لوم ، أو ينسب اليهم « ولو بواستطهن » هنـاة ، أو يكون عليهم للمنافقين « ولو بسببهن » سبيل ، ولولا هذا الاستطراد ما حصلت هذه النكتة الشريفة التي عظمت بها بلاغة الذكر الحكيم ، وكمل اعجازه الباهر كما لايخفى .

(الرابع) ان القرآن لم يترتب في الجمع على حسب ترتيبه في النزول بأجماع المسلمين كافة ، وعلى هذا فالسياق لايكافيء الادلة الصحيحة عند تعارضهما ، لعدم الوثوق حينئذ بنزول الآية في ذلك السياق ، ولذا كان الواجب في مقامنا هذا ترك فحوى السياق لو سلم ظهوره بما زعموا والاستسلام لحكم ما سمعت بعضه من الادلة القاطعة والحجج الساطعة ، ولا غرو فان حمل الآية على ما يخالف سياقها غير مناف للبلاغة ولا مخل بالاعجاز ، وقد أجمعوا على أنه لاجناح بالمصير اليه اذا قامت قواطع الادلة عليه .

وذهب بعضهم الى ان المراد من أهل البيت في الآية من حرمت عليهم الصدقة ، وهم بنو هاشم كافة ، مستدلين على ذلك بما أخرجه مسلم في باب

فضائل علي من صحيحه عن زيد بن أرقم وقد قيل له : من أهل بيته نساؤه ؟ قال : لا . وأيم الله ان المرأة تكون مع الرجل ، العصر من الدهر ثم يطلقها فترجع الى أبيها وقومها ــ أهل بيته الذين حرموا الصدقة بعده اهـ . وأنت تعلم ان استدلالهم هذا باطل من وجهين :

(أحدهما) انك لو راجعت هذا الحديث من صحيح مسلم تعلم ان زيدا انما سئل عن مراد النبي (ص) بأهل بيته الذين ذكرهم في قوله : اني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله وعترتي اهل بيتي (٢٢) فأجاب عن خصوص هذا السؤال بماسمعت، ولم يتعرض لبيان المراد بأهل البيت المذكورين في الآية ، اذ لم يسأل عنهم فكيف ننقل عنه في تفسير الآية ما قاله في تفسير الحديث ، وهل هذا الا كالمغالطة . ولو سئل زيد عن الآية لاجاب بالصواب كما فعل أبو سعيد الخدري ومجاهد وقتادة وغيرهم ، وماكان ليخفى عليه حديث الكساء ، ولا ليخالف في تفسيرها سيد الانبياء (ص) . وبالجملة فان ما نقله مسلم عن زيد خارج عن موضوع مسألتنا هذه ، فالاستدلال به هنا مما لا وجه له .

(ثانيهما) لو فرضنا أن زيدا فسر الآية بما سمعت فانما هو مفسر لها برأي قد رآه لاتثبت به حجة ولا يقوم به برهان ، حيث لم ينقل ذلك التفسير عن رسول الله (ص) كما يراه كل من راجع الحديث في صحيح مسلم ، فكيف نعارض به الادلة القاطعة والبراهين الساطعة ونقدمه على النصوص الصريحة

---

(٢٢) المراد من أهل بيته هنا مجموعهم من حيث المجموع بأعتبار دخول أئمتهم فيهم ، والقرينة على ذلك اقترانهم بالكتاب الحكيم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وليس المراد من عترته وأهل بيته جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكل فرد فرد منهم ، وهذا المعنى هو الذي أراده زيد بن أرقم .

والاحاديث المتواترة الصحيحة ؟ لكنـا منينا بقوم لا ينصفون ، فانا لله وانا اليه راجعون .

وقد أغرب الرازي اذ قال في تفسيره : واختلف في أهل البيت ، والاولى فيهم ما قاله البقاعي انهم كل من يكون من الزم النبي (ص) من الرجال والنساء والازواج والاماء والاقارب . . . الى آخر كلامه الذي نسج فيه على منوال البقاعي وخالف به سنة البشير النذير الداعي :

لكم ذخركم ان النبي ورهطـه وجيلهم ذخري اذا الشمس الذخـر
جعلت هواي الفاطميين زلفـة الى خالقي ما دمت أو دام لي عمر

وذهب قوم الى أن الآية شاملة للزوجات ولا صحاب الكساء جمعا بين الادلة وظاهر السياق .

ويرده أولا ــ ما سمعته من كلامنا في السياق فراجعه ، وثانيا ــ منع أم سلمة من الدخول تحت الكساء ، فانه أقوى دليل على خروج النساء . وثالثا ــ لو كان غير علي وفاطمة وأبنيهما مرادا لقال (ص) حين جللهم بالكساء : اللهم هؤلاء من أهل بيتي ، لكنه قصر أهل بيته عليهم وحصرهم فيهم فقال : اللهم هؤلاء اهل بيتي وخاصتي فاذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا . وفي رواية ذكرها ابن حجر في صواعقه : أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم وعدو لمن عاداهم .

وأخرج احمد بن حنبل من حـديث أم سلمة في صفحة ٢٩٦ من الجزء السادس من مسنده قالت : بينما رسول الله (ص) في بيتي يوما اذ قال الخادم أن عليا وفاطمة بالسيدة . قالت : فقال لي فتنحي لي عن أهل بيتي . قالت: فقمت فتنحيت في البيت قريبا فدخل علي وفاطمة ومعهما الحسن والحسين وهما صبيان صغيران ، فأخذ الصبيين فوضعهما في حجره فقبلهما واعتنق عليا بأحدى يديه

وفاطمة باليـد الاخرى فقبل عليا وقبل فاطمة ، فأغدق عليهم خميصة سوداء فقال : اللهم اليك لا الى النار أنا وأهل بيتي ــ الحديث (٢٣) .

وهو كما ترى ظاهر في حصر أهل بيته فيهم عليهم السلام ،فهل حاباهم (ص) بكسائه او آثرهم من تلقاء نفسه بما سمعت من دعائه وثنائه ؟ أو ضل وغوى اذ قال : أنزلت هذه الآية في خمسة فيّ وفي علي والحسن والحسين وفاطمة ؟ أو نطق عن الهوى اذ كان يقف كل يوم على باب علي وفاطمة عند خروجه الى الفجر فيقول : الصلاة يا أهل البيت انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهـل البيت ويطهركم تطهيرا ؟ أو هجر والعياذ بالله حين قال لام سلمة قومي فتنحي لي عن أهل بيتي ؟ كـلا والله « ما ضل صاحبكم وما غوى . وما ينطق عن الهوى . ان هو الا وحي يوحى . علمه شديد القوى » ولله در الامام ابي بكر ابن شهاب الدين حيث قال في هذا المقام من كتابه « رشفة الصادى » :

دعوا كل قول غير قول محمـد فعند بزوغ الشمس ينطمس النجم

تنبيهـــان

(أحدهما) ان الآية دلت على عصمة الخمسة ، لان الرجس فيها عبارة عن الذنوب كما في الكشاف وغيره ، وقد تصدرت بأداة الحصر وهي « انما » فأفادت ان أرادة الله تعالى في أمرهم مقصورة على أذهاب الذنوب عنهم وتطهيرهم منها ، وهذا كنه العصمة وحقيقتها (١) .

(ثانيهما) أنها دلت بالالتزام على امامة أمير المؤمنين ، لانه ادعى الخلافة لنفسه وادعاها له الحسنان وفاطمة ،ولا يكونون كاذبين لان الكذب من الرجس الذين أذهبه الله عنهم وطهرهم منه تطهيرا .

---

(٢٣) وأخرجه في آخر صفحة ٣٠٤ من الجزء ٦ عن أم سلمة أيضا .

(١) أورد النبهاني في أول كتابه (الشرف المؤبد) هذه الآية ، فنقل عن

الفصل الثالث

في آية المودة ، وهي قوله تبارك وتعالى في آل حم الشورى : « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى [١] ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور • أم يقولون افترى على الله كذبا » •

أجمع أهل البيت وتصافق أولياؤهم في كل خلف على أن القربى هنا انما هم علي وفاطمة وأبناهما ، وان الحسنة في الآية انما هي مودتهم ، وان الله تعالى غفور شكور لاهل ولايتهم ، وهذا عندنا من الضروريات المفروغ عنها • وفيه صحاح متواترة عن أئمة العترة الطاهرة ، واليك ما هو مأثور عن غيرهم :

جماعة من الاعلام ما يدل على أنهم قد فهموا منها عصمة أهلها عليهم السلام واليك ما نقله بعين لفظه قال : قال الامام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري في تفسيره يقول الله تعالى انما يريد الله ليذهب عنكم السوء والفحشاء يا أهل محمد ويطهركم من الدنس الذي يكون في معاصي الله تطهيرا « قال » وروي عن أبي زيد ان الرجس هاهنا الشيطان « قال » وذكر أي الطبري بسنده الى سعيد بن قتادة أنه قال قوله (انما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا) فهم أهل بيت طهرهم الله من السوء وخصهم برحمة منه « قال » وقال ابن عطية والرجس اسم يقع على الاثم والعذاب وعلى النجاسات والنقائص ، فأذهب الله جميع ذلك عن أهل البيت « قال » وقال الامام النووي قيل هو الشك وقيل العذاب وقيل الاثم • قال الازهري الرجس اسم لكل مستقذر من عمل وغيره اهـ •

وفسر الشيخ محي الدين بن العربي لفظ الرجس في الباب ٢٩ من فتوحاته بكل ما يشين ، واليك عبارته قال : وقد ذكر النبي (ص) قد طهره الله وأهل بيته تطهيرا وأذهب عنهم الرجس وهو كل ما يشينهم ، فان الرجس هو القذر عند العرب ــ هكذا حكى القراء الى آخر كلامه •

(١) القربى مصدر كالزلفى والبشري وهي بمعنى القرابة ، والاستثناء هنا متصل ، والمعنى لا أسألكم على أداء الرسالة شيئا من الاجر الا أن تودوا قرابتي ، فهو علي حد قول القائل :

أخرج أحمد والطبراني والحاكم وابن أبي حاتم عن ابن عباس كما نص عليه ابن حجر في تفسير الآية ١٤ من الآيات التي أوردها في الفصل الاول من الباب ١١ من صواعقه قال : لما نزلت هذه الآية قالوا : يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم ؟ قال (ص) : علي وفاطمة وابناهما اهـ .

وهـذا الحديث أخرجه عن ابن عباس أيضا ابن المنـذر وابن مردويه (٣) والمقريزي (٤) والبغوي والثعلبي في تفاسيرهم والجلال السيوطي (٥) في دره المنثور ، والحافظ أبو نعيم في حليته ، والحموينى الشافعي في فرائده، وغيرهم من المفسرين والمحدثين .

وأرسله الزمخشري في كشافه واستدل على اعتباره بروايات رواها في الكشاف عن رسول الله (ص) ، فمنها ما روي عن علي قال : شكوت الى رسول الله (ص) حسد الناس لي فقال : أما ترضى أن تكون رابع أربعة أول من يدخل الجنة أنا وانت والحسن والحسين ؟ ومنها قوله (ص) : حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي . ومنها قول رسول الله (ص) : من مات على حب آل محمد مات شهيدا (٦) ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفورا

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

ويجوز أن يكون الاستثناء منقطعا ، أي لا أسألكم عليه أجرا قط ولكن أسألكم أن تودوا قرابتي ، وكيف كان فمودتهم فريضة .

(٣) فيما نقله عنهما النبهاني في أربعينه .

(٤) فيما نقله النبهاني عنه في الشرف المؤبد .

(٥) فيما نقله عنه في الشرف المؤبد .

(٦) المراد من آل محمد في هـذا الحديث ونحوه مجموعهم من حيث المجموع بأعتبار أئمتهم الذين هم خلفاء رسول الله (ص) وأوصياؤه ووارثو حكمه وأولياؤه ، وهم الثقل الذي قرنه بالقرآن ونص على أنهما لا يفترقان فلا يضل من تمسك بهما ولا يهتدي من أعرض عن احدهما ، وليس المراد

له ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائبا ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمنا مستكمل الايمان ، ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة ثم منكر ونكير ، ألا ومن مات على حب آل محمد يزف الى الجنة كما تزف العروس الى بيت زوجها ، ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان الى الجنة ، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة ، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافرا ، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوبا بين عينيه آيس من رحمة الله ، ــ الحديث • وأخرجه الامام الثعلبي في تفسيره الكبير عن جرير بن عبد الله البجلي ، وأورده غير واحد من المحدثين ومؤلفي المناقب •

وأنت تعلم ان هذه المنزلة السامية انما ثبتت لهم من الله تعالى لانهم خلفاؤه في أرضه وأولياؤه في بسطه وقبضه وحججه البالغة ومناهل شرائعه السائغة وامناؤه بعد النبي (ص) على وحيه وسفراؤه في أمره ونهيه ، فالمحب لهم بسبب ذلك محب الله ، والمبغض لهم مبغض لله ، ومن هنا قال فيهم الفرزدق :

من معشر حبهم دين وبغضهم ... كفر وقربهم منجى ومعتصم

ان عد أهل التقى كانوا أئمتهم ... او قيل من خير أهل الارض قيل هم

وأخرج الحاكم كما في تفسير هذه الآية من مجمع البيان بالاسناد الى أبي أمامة الباهلي قال : قال رسول الله (ص) ان الله تعالى خلق الانبياء من اشجار

هنا من الآل جميعهم على سبيل الاستغراق والشمول لكل فرد فرد ، لان هذه المرتبة السامية لاولياء الله خاصة • نعم تجب محبة جميع أهل بيته وكافة ذريته لانتسابهم اليه صلى الله عليه وآله وسلم ، وفي ذلك تحصل الزلفى لله تعالى والشفاعة من رسوله صلى الله عليه وآله •

شتى وخلقت أنا وعلي من شجرة واحدة، فأنا أصلها وعلى فرعها وفاطمة لقاحها والحسن والحسين ثمارها واشياعها أوراقها ،فمن تعلق بغصن من أغصانها نجا ومن زاغ عنها هوى ، ولو ان عبدا عبد الله ألف عام ثم ألف عام ثم ألف عام حتى يصير كالشن البالي وهو لا يحبنا كبه الله على منخريه في النار . ثم تلا « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى » اهـ .

وأخرج ابو الشيخ وغيره كما في الصواعق وغيرها عن علي (ع) : فينافي آل حم آية لايحفظ مودتنا الاكل مؤمن ، ثم قرأ « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا ان الله غفور شكور » والى هذا أشار الكميت بقوله :

وجدنا لكم في آل حم آية تأولهـــا منـــا تقي ومـــعرب

وأخرج البزار والطبراني وغيرهما كما في الصواعق وغيرها عن الامام أبي محمد الحسن السبط المجتبى (ع) بطرق مختلفة انه خطب خطبة قال فيها: وأنا من أهل البيت الذين افترض الله عز وجل مودتهم وموالاتهم فقال فيما أنزل على محمد (ص) « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى ومن يقترف حسنة نزد له حسنا » . قال : واقتراف الحسنة مودتنا أهل البيت اهـ .

وأخرج الطبراني كما في الصواعق وغيرها عن الامام زين العابدين علي ابن الحسين عليهما السلام أنه لما أقيم بأبي هو وأمي اسيرا على درج دمشق قال له بعض جفاة أهل الشام : الحمد لله الذي قتلكم . فقال له : اما قرأت قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى (٧) ؟ قال : وانتم هم ؟ قـــال : نعم اهـ .

---

(٧) رواه النبهاني في المقصد الثالث من كتابه الشرف المؤبد عن السدي عن أبي الديلم .

وأخرج احمد بن حنبل كما في الصواعق أيضا عن ابن عباس في قوله تعالى « ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا » قال : هي المودة لآل محمد . وأخرجه ابن أبي حاتم كما في الشرف المؤبد (٨) عن ابن عباس أيضا . وعن أبي حمزة الثمالي في تفسيره عن ابن عباس انه حين استحكم الاسلام بعد الهجرة قالت الانصار : نأتي رسول الله فنقول له قد تعرك أمور فهذه أموالنا تحكم فيها كيف شئت ، فأتوه بذلك فنزلت الآية فقرأها عليهم وقال تودون قرابتي من بعدي فخرجوا مسلمين لقوله ، وقال المنافقون أن هذا لشيء أفتراه في مجلسه أراد به أن يذللنا لقرابته من بعده ، فنزلت « أم يقولون افترى على الله كذبا » الحديث .

وقد أخرج الثعلبي والبغوي كما في الصواعق عن ابن عباس أيضا مثله . قاتل الله الحسد يورد أهله الدرك الاسفل من النار . انظر كيف خرج هؤلاء من الدين وكذبوا ـ حسدا لاولياء الله ـ نبيهم وهو الصادق الامين ، فأنزل الله تعالى في نفاقهم قرآنا يتلوه المسلمون آناء الليل واطراف النهار ، ومع ذلك فان بذرة اهل النفاق والحسد قد أجذرت بتعاهد اولي السلطة لها من بني أمية وغيرهم بما يستوجب نموها ، وجمهور المسلمين غافلون ، فالتبس الامر ووقعت الشبهة .

وانما دخل البلاء بأعتماد الجمهور على كل من كان في الصدر الاول ، وبنائهم على عدالة كل فرد ممن كانت له صحبة ، مع ما يتلونه في الكتاب والسنة من شؤون المنافقين (٩) وتربصهم الدوائر بسيد النبيين والمرسلين (ص)

(٨) راجع منه صفحة ٩٥ .

(٩) وحسبكهم من الكتاب سورتا التوبة والاحزاب ، فان فيهما الذكرى لاولي الالباب « ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لاتعلمهم نحن نعلمهم »

وأشتد البلاء بالمنع من الخوض في تلك الاحوال وسدهم باب البحث عن حقائق أولئك الرجال ، فضيعوا على أنفسهم كثيرا من الحقائق • وربما نسجوا من حيث لايقصدون على منوال كل منافق ، ولذلك اختلفوا في هذه الآية ، مع ما سمعت بعضه من النصوص الجلية في نزولها بمودة العترة الزكية ، والذي عرفناه من أقوال المخالفين أربعة مذاهب •

(الاول) ان الله تعالى أمر نبيه صلى الله عليه وآله أن يقول لمشركي قريش « لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى » يعني الا أن تودوني في قرابتي منكم وتصلوا الرحم التي بيني وبينكم ، وهذا مردود بوجوه : «أحدها» أن الآية مدنية كما سمعته قريبا عن تفسيري البغوي والثعلبي وستسمعه عن غيرهم أيضا ، فأين مشركوا قريش عنها ؟ « ثانيها » أن سبب نزولها بحكم ما سمعته وما ستسمعه من الاخبار ، انما هو عرض الانصار أموالهم على رسول الله (ص) أو مفاخرتهم لبني هاشم ، فيكون الخطاب معهم لامع مشركي قريش • «ثالثها » أنه لا يصح ان يكون الخطاب مع المشركين ، اذ يقبح من الحكيم أن يطلب الاجر على أداء الرسالة ممن كفر بها وبلغ الغاية في جحودها وتكذيبها ، وانما يحسن ذلك ممن آمن بها • وعدها نعمة عليه • « رابعها » أن هذا القول مخالف لما سمعته من النص على أنها نزلت في مودة علي وفاطمة وابنائهما • « خامسها » أنه انما هو قول عكرمة وتبعه فيه جماعة من صنائع بني أمية واعداء أهل البيت ،

وناهيك من السنة باب الحوض من كتاب الرقاق من صحيح البخاري ، وباب قوله تعالى « وأتخذ الله ابراهيم خليلا » وهو في كتاب بدء الخلق من الصحيح المذكور أيضا ، وما أخرجه احمد بن حنبل في آخر الجزء الخامس من مسنده عن ابي الطفيل فراجع • « وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل أفأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيئا وسيجزي الله الشاكرين » •

كما كنا أوضحناه في كتابنا سبيل المؤمنين ، وهؤلاء لاتقبل أقوالهم ولا سيما في مثل المقام ، وقد عرفت أن عكرمة من دعاة الخوارج وكذبة المحدثين ، كما بيناه في الفصل السابق . وأخطأ من نسب هذا القول الى ابن عباس اعتمادا على خبر رواه البخاري في باب قوله « الا المودة في القربى » من كتاب تفسير القرآن من صحيحه عن محمد بن بشار عن محمد بن جعفر ، وهما ضعيفان بأجماع الامامية ، ووافقهم يحيى بن معين — كما في ميزان الاعتدال — على تضعيف محمد بن بشار ، بل كذبه القلاس فراجع .

وكيف يقول ابن عباس في تفسير القربى غير الذي قلناه ، مع ما سمعته من الاحاديث الثابتة عنه في تفسير القربى بعلي وفاطمة وابنائهما وتفسير الحسنة بمودتهم ؟

(الثاني) من مذاهب المخالفين في تفسير الآية أن معناها قل لا اسألكم عليه أجرا الا أن تودوا القربى من الله عز وجل بالاعمال الصالحة .

(الثالث) أن معناها الا أن تودوا قرابتكم وتصلوا أرحامكم . وانت تعلم أن اصحاب هذه الاقاويل ما أرادوا بها غير التمويه والتضليل ، وحسبهم في ردها أنها في مقابل النص والدليل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل نعم المولى ونعم النصير .

(الرابع) ان الآية منسوخة بقوله تعالى في سورة سبأ : « قل ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم » وهذا من أغرب الاقاويل واعجب الاباطيل ، لان وجوب مودة القربى بكل المعاني مستمر الى يوم القيام بحكم الضرورة من دين الاسلام فما معنى هذا النسخ يا مسلمون ؟ على انه لاتنافي بين الآيتين لتكونا من قبيل الناسخ والمنسوخ ، فان معنى آية الشورى لا اسألكم على اداء رسالتي شيئا

من الاجر الا مودة قرابتي ، ومعنى آية سبأ اني ما سألتكم على اداء رسالتي شيئا من عرض الدنيا ، والذي طلبته منكم في سورة الشورى أجرا عليه من مودة قرابتي فانما هو لكم لا لي لان قرابتي حجج الله البالغة لديكم ونعمه السابغة عليكم ، وهو أمان اهل الارض وباب حطة وسفينة نجاة هذه الامة ، وهم كالقرآن الحكيم فمودتهم لازمة لكم ومنافعها انما هي عائدة عليكم ، فأرجع البصر هداك الله وأمعن النظر في الآيتين ، وهما قوله تعالى : « قل لا اسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى » وقوله سبحانه : « ما سألتكم عليه من أجر فهو لكم » تجد الثانية مؤكدة لمفاد الاولى ومشوقة اليه كما لا يخفى .

وبقي للقوم اعتراضان : (احدهما) أنهم قالوا : لو أراد الله من الآية مودة القربى ، لقال : « الا مودة القربى . او الا المودة للقربى » . والجواب أن هذا تغافل عما لا يغفل عنه ذو حظ من فهم ، وتجاهل بما لا يجهله الخبير بمواقع الكلام ، لان الاضافة واللام هنا لا يفيدان ما أفادته في من المبالغة بمودة القربى [١٠] بجعلهم موضع الود والموالاة كما يعلمه جهابذة الكلام العربي ويشهد به أئمة البلاغة . قال الزمخشري في كشافه بعد تفسير القربى بمن ذكرناهم عليهم السلام : فان قلت فهلا قيل الا مودة القربى او الا المودة للقربى ، وما معنى قوله الا المودة في القربى ؟ قلت : جعلوا مكانا للمودة مقرا لها ، كقولك : « لي في آل فلان مودة . ولي فيهم هوى وحب شديد » تريد أحبهم وهم مكان حبي ومحله ، وليست في بصلة المودة كاللام اذا قلت الا المودة للقربى انما هي متعلقة بمحذوف تعلق الظرف به في قولك « المال في الكيس » ، وتقديره

---

(١٠) قال النبهاني حيث أورد الآية في الشرف المؤبد : القربى مصدر بمعنى القرابة ، وهو على تقدير مضاف ، أي ذو القربى يعني الاقرباء . قال : وعبر بفى ولم يعبر باللام لان الظرفية ابلغ وآكد للمودة اهـ .

الا المودة ثابتة في القربى ومتمكنة فيه . هذا كلام الزمخشري بعين لفظه ،ولله دره ما أوفر نصيبه من الاحاطة بالاسرار التي لا تتناهى البلاغة ولا يتم الاعجاز إلا بهـا .

(ثانيهما) أنهم قالوا هذه الآية في سورة الشورى وهي مكية ، والحسنان ولدا في المدينة فلا يمكن أرادتهما منها .

والجواب : أن هذه الآية وما بعدها الى آخر ثلاث آيات مدنية قطعا بحكم الاخبار المتظافرة من طريق العترة الطاهرة ،وقدروى ذلك صاحب مجمع البيان عن ابن عباس وقتادة ،ويدل عليه ما سمعته قريبا عن أبي حمزة الثمالي وتفسيري الثعلبي والبغوي ، وحسبك ما ذكره الامام الواحدي في كتابه «اسباب النزول» حيث قال : ابن عباس لما قدم رسول الله (ص) المدينة كانت تنوبه نوائب وحقوق ، وليس في يده لذلك سعة ، فقال الانصار : ان هذا الرجل قد هداكم الله به ، وهو ابن أختكم وتنوبه نوائب وحقوق وليس في يده لذلك سعة ، فأجمعوا له من أموالكم مالا يضركم فأتوه به ليعينه على ما ينوبه ، ففعلوا ثم أتوه به فقالوا : يا رسول الله انك ابن أختنا وقد هدانا الله تعالى على يديك وتنوبك نوائب وحقوق وليس لك سعة ، فرأينا ان نجمع لك من أموالنا فتأتيك به فتستعين على ما ينوبك وهو هـذا . فنزلت « قل لا أسألكم عليه أجرا الا المودة في القربى » اه وهـذا الحديث موجود أيضا في الكشاف وغيره من التفاسير المعتبرة والكتب المؤلفة في أسباب النزول .

وفي الكشاف وغيره رواية أخرى في سبب نزولها ، جاء فيها ان الانصار فأخروا بعض بني هاشم ، فعاتبهم النبي (ص) بذلك ، فجثوا على الركب وقالوا : أموالنا وما في أيدينا لله ولرسوله ، فنزلت الآية فقرأها عليهم .

أليست هذه الاخبار كلها صريحة بنزول الآية في المدينة وان المخاطبين فيها

انما هم الانصار ؟ ولا ينافي ذلك كونها في سورة مكية ، لان ترتيب الكتاب العزيز في الجمع ليس على حسب ترتيبه في النزول اجماعا وقولا واحدا (١١) ومن ثمة كان أغلب السور المكية لاتخلو من آيات مدنية ، وكذلك اكثر السور المدنية لايخلو من آيات مكية ، بحكم أئمة السلف والخلف من الفريقين (١٢) ووصف لسورة بكونها مكية أو مدنية تابع لاغلب آياتها ، كما صرح به أئمة هذا الفن من أهل المذاهب كلها ، على انه لا مانع من تناول الآية الكريمة للحسنين (ع) حتى لو فرضنا نزولها بمكة قبل ولادتهما ، لان المودة فيها غير مقصورة على من كان من القربى موجودا حين نزولها بل هي ثابتة فيهم ، وهم

---

(١١) ألا ترى أن الاغلب من أواخره مكي والاكثر من أوائله مدني ، فلو كان مرتبا على حسب نزوله لوجب تقديم بعض ما أخر وتأخير بعض ما قدم ولكانت سورة العلق في أوائله وسورة براءة في آخره . بناءا على ما رواه البخاري عن سليمان بن حرب عن شعبة ، ورواه مسلم عن بندار عن غندر عن شعبة أيضا . ولكانت آخر آية من آياته قوله تعالى « وأتقوا يوما ترجعون فيه الى الله » ، أو آخر آية من سورة النساء ، أو قوله تعالى «ولقد جاءكم رسول من أنفسكم » الآية . كما لا يخفى على من راجع الكتب المؤلفة في هذا الموضوع .

(١٢) فراجع ان شئت التفصيل أوائل السور من مجمع البيان في تفسير القرآن أو من تفسيري الطبري والرازي الكبيرين أو من الكشاف ، أو اول كل من المائدة والاعراف والرعد والاسراء والكهف ومريم والحج والشعراء والقصص والروم ولقمان وسبأ والزمر والزخرف والدخان والرحمن والمجادلة من كتاب تفسير القرآن من أرشاد الساري في شرح صحيح البخاري وسائر المؤلفات في هذا الموضوع ، وبعد التتبع قل لي كيف الغي المعترضون صحاح الاخبار المفسرة للقربى بما قلناه وصرفوا الآية عن اهلها بمجرد كونها في سورة يقال عنها مكية ؟ ومن أوحى اليهم انها ليست كأغلب المكيات وصفت بهذا الوصف بأعتبار الغلبة ؟ (ان يتبعون الا الظن وما تهوى الانفس وقد جاءهم من ربهم الهدى) . .

على الاطلاق مكانها كما سمعت .

وبناءا على هذا تكون الآية نظير قوله تعالى : « يوصيكم الله في أولادكم » أترى أحدامن المسلمين قصر هذه الوصية على من كان موجودامن الا ولادحين نزولها . كلا بل لم يتوهم ذلك ابن أنثى ، فليت شعري ما الفرق بين الآيتين؟!

وأما ما سمعته من قول النبي (ص) في تفسير القربى « هم علي وفاطمة وابناهما » فيجوز أن يكون متأخرا عن نزولها ، أو انه خبر من الله عز وجل بالغيب فيكون من أعلام النبوة . ولا غرو فقد اخبر عن خلفائه وانهم أثنا عشر، واخبر عن يوم الجمل وكلاب الحوأب وعن الفئة الباغية وقتلها عمارا ، وعن الذين مرقوا من الدين كما يمرق السهم من الرمية ، وعن الناكثين والقاسطين والمارقين ، وعن الضغائن لعلي في نفوس قوم وانهم لا يبدونها له الا بعد فقده، وعن اشقى الآخرين وضربه سيد الوصيين بالسيف على هامته وان شيبته الكريمة تخضب من دم رأسه ، وعن حال بضعته الزهراء من بعده وانها أول بيته لحوقا به ، وعن محنة الحسن والذعاف الذي تجرعه ، وعن مصائب سيد الشهداء في طف كربلاء ، وعما لقيه اهل بيته من الاثرة والبلاء والقتل والتشريد والتطريد في البلاد ، وعن ولاة الجور الذين يملكون من بعده أمر هذه الامة ،وعن بوائق بني أمية وبني مروان وان مدتهم تكون ألف شهر ، وعن بني العباس وملكهم، وعن فتنة نجد وطلوع قرن الشيطان منها الى مالا يحصى من أخباره عن الله تعالى بالمغيبات . وقد رأتها الامة بعد ذلك مثل فلق الصبح ،فعلم الله الازلي الذي وسع كل شيء قبل ان يكون شيء لايضيق عن تولد الحسنين من علي وفاطمة قبل ان يخلقهما تبارك وتعالى ، وليس على الله بعزيز أن يبشر بهما نبيه (ص) ويفترض مودتهما على الامة قبل ولادتهما ، لكرامتهما عليه وقرب منزلتهما منه سبحانه وتعالى ، كما بشر الله آدم ونوحا وابراهيم وموسى وعيسى

وسائر النبيين والمرسلين بمحمد (ص) وعليهم اجمعين ، وعرفهم جلالة قدره وعظم شأنه فآمنوا به وبخعوا لفضله .

ونحن مهما شككنا فلا نشك في أن العترة والكتاب ثقلا رسول الله اللذان لا يضل من تمسك بهما ، وان كلا منهما يفرغ عن الآخر لانهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض ، وقد تواترت الاخبار عنهم في تفسير القربى بما ذكرناه . وناهيك بذلك حجة على ماقلناه على أن تفسير القربى هنا بعلي وفاطمة وابنائهما هو الذي ذهبت اليه جماهير اهل السنة وقطعت به أكابرهم [١٣] وحسبك قول امام الخلف منهم والسلف محمد بن أدريس الشافعي رحمه الله .

يا أهل بيت رسول الله حبكم ... فرض من الله في القرآن أنزله [١٤]
كفاكم من عظيم القدر أنكم ... من لم يصل عليكم لاصلاة له

وقول الشيخ ابن العربي :

رأيت ولائي آل طه فريضة ... على رغم اهل البعد يورثني القربى
فما طلب المبعوث أجرا على الهدى ... بتبليغه الا المودة في القربى

وقال المعاصر النبهاني :

آل طه يا آل خير نبي ... جدكم خيرة وأنتم خيار
أذهب الله عنكم الرجس أهل ... البيت قد ما فأنتم الاطهار
لم يسل جدكم على الدين أجرا ... غير ود القربى ونعم الاجار

وحيث ثبت هذا عن أئمة السنة وجماهير الامة ، فلا مبالاة اذن بمخالفة

---

(١٣) كما صرح به غير واحد من الاعلام كالسيد الامام أبي بكر بن شهاب الدين في كتابه رشفة الصادي .

(١٤) البيتان الاولان نسبهما الى الامام الشافعي ابن حجر في صواعقه والنبهاني في شرفه ، وهما مشهوران عنه منتشران سائران ، وقد نسب البيتين الاخيرين الى ابن العربي صاحب الصواعق وغيره .

من خالف ولا بمجازفة من جازف ، ممن اشار النبهاني اليهم في كتابه الشرف المؤبد ، حيث ذكر بعضهم في خطبة الكتاب فقال : ومن هذا القبيل ما وقع في عصرنا في القسطنطينية سنة سبع وتسعين ومائتين وألف هجرية من قوم جهال غرقوا من أحوال البغضاء لآل محمد في اوحال فأخذوا يتأولون بجهلهم ما ورد من الآيات والاخبار في فضل اهل بيت النبوة ومعدن الرسالة ومهبط الوحي ومنبع الحكمة ، ويخرجونها عن ظواهرها بأفهامهم السقيمة وآرائهم الذميمة ، ومع ذلك فقد زعموا أنهم لاهل البيت من أهل المحبة والوداد ولم يعلموا • أنهم هائمون من الخذلان في كل واد • • • الى آخر ما قال فيهم وفيمن نسجوا على منوالهم ممن تقدمهم فراجع •

وقال في المقصد الثالث من الكتاب المذكور : فقد رأينا من اذا سمع بذكر مزية أمتاز بها أهل البيت أو منقبة أسندت اليهم ، ووصفوا بها من الله ورسوله (ص) او السلف الصالح أو علماء الامة او أوليائها ، يقطب وجهه ويتغير خلقه ويود بلسان حاله أن تلك المزية لم تكن لهم ، وقد يتكلف الاقاويل الواهية والاخبار الموضوعة ، والآثار المصنوعة ليطفيء بها نور الله والله متم نوره ولو كره الكافرون • هذا كلامه بعين لفظه (والحق ينطق منصفا وعنيدا) •

نسأل الله الهداية والتوفيق لنا ولجميع المسلمين بمنه وكرمه انه أرحم الراحمين •

الفصل الرابع

في آيات الابرار ، وهي قوله عز اسمه في سورة الدهر : « ان الابرار يشربون من كأس كان مزاجها كافورا • عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا يوفون بالنذر » الى آخر السورة •

أجمع أولياء اهل البيت « تبعا لكافة أئمتهم عليهم السلام » على نزولها

في علي وفاطمة والحسن والحسين ، وصحاحهم في ذلك متواترة من طريق العترة الطاهرة ، وهذا عندهم من الضروريات التي لا يجهلها منهم أحد . وقد أخرجه عن ابن عباس جماعة من أعلام غيرهم ، كالامام الواحدي في كتابه البسيط ، والامام أبي اسحاق الثعلبي في تفسيره الكبير ، والامام أبي المؤيد موفق بن أحمد في كتاب الفضائل ، وغير واحد من الحفظة واهل الضبط .

واليك ما ذكره الزمخشري في تفسير السورة من الكشاف بعين لفظه قال : وعن ابن عباس « رض » ان الحسن والحسين مرضا فعادهما رسول الله (ص) في ناس معه فقالوا : يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك ، فنذر علي وفاطمة وفضة جارية لهما أن برئا مما بهما ان يصوموا ثلاثة أيام ، فشفيا وما معهم شيء ، فاستقرض علي من شمعون الخيبري اليهودي ثلاثة أصوع من شعير ، فطحنت فاطمة صاعا واختبزت خمسة أقراص على عددهم ، فوضعوها بين أيديهم ليفطروا ، فوقف عليهم سائل فقال : السلام عليكم أهل بيت محمد مسكين من مساكين المسلمين اطعموني أطعمكم الله من موائد الجنة . فآثروه وباتوا لم يذوقوا الا الماء واصبحوا صياما ، فلما أمسوا ووضعوا الطعام بين أيديهم وقف عليهم يتيم فآثروه ، ووقف عليهم أسير في الثالثة ففعلوا مثل ذلك ، فلما أصبحوا أخذ علي « ر ض » بيد الحسن والحسين وأقبلوا الى رسول الله (ص) فلما أبصرهم وهم يرتعشون كالفراخ من شدة الجوع قال : ما أشد ما يسوؤني ما أرى بكم ، وقام فانطلق معهم فرأى فاطمة في محرابها قد التصق بطنها بظهرها وغارت عيناها ، فساءه ذلك ، فنزل جبرئيل عليه السلام وقال : خذها يا محمد هناك الله في أهل بيتك ، فأقرأه السورة اهـ .

ونحن لا حاجة بنا الى تضييع الوقت في أخراج أسانيد هذا الحديث وطرقه الى ابن عباس ومجاهد وأبي صالح وعطاء وغيرهم ، ولا الى ذكر من

أخرجه من حفاظ الحديث وأئمة التفسير بعد تواتره عن أئمة الابرار وكونه مما لاريب فيه ، وانما نشير الى بعض ما تضمنته تلك الآيات البينات من أسرار البلاغة لينتبه أولوا الالباب (وتعيها اذن واعية) .

أن علماء البيان وسائر أهل اللسان لايرتابون في أن الجمع المحلي بلام التعريف حقيقة في العموم ، وهذا مما لايختلف فيه اثنان من أهل العربية ، وأنت تعلم ان لفظ الابرار في الآية جمع برّ أوبار محلي باللام كما ترى ، فظهوره في الشمول والاستغراق مما لاريب فيه ، وانما أطلق على علي وفاطمة والحسن والحسين تبيانا لكونهم أكمل الابرار وأذانا بأنهم الاخيار وبرهانا على أنهم صفوة الصفوة وحجة على أنهم خيرة الخيرة ، فما عسى ان يقول القائلون في عظيم برهم ، او يصف الواصفون سمو قدرهم ؟ وأي مدحة توازن مدحة الفرقان ؟ وأي ثناء يكايل ثناء الذكر الحكيم ؟ وأي عبارة فاضلة شريفة مقدسة تكافىء قول الله تعالى فيهم « ان الابرار » عليا وفاطمة والحسن والحسين « يشربون » الشراب الطيب الطاهر يوم العطش الاكبر « من كأس » هي الزجاجة اذا كان فيها الشراب ويسمى الشراب نفسه كأسا أيضا ، وقد وصفها بقوله عز من قائل: « كان مزاجها » الذي تمزج به ماء من عين في الجنة تسمى « كافورا » لان ماءها في بياض الكافور ورائحته وبرودته ، والدليل على أن كافورا أسم عين في الجنة قوله تعالى «عينا » بالنصب على أنها عطف بيان أو بدل من كافورا (١)

(١) وقيل تمزج لهم الكافور وتختم بالمسك ، وقيل بل فيها بياض الكافور ورائحته وبرده وكأنها مزجت به ، وعلى هذين القولين تكون عينا منصوبة على الاختصاص أو على البدل من محل كأس بتقدير حذف مضاف ، ويكون المراد من الكأس على هذا نفس الشراب لا الزجاجة ، والتقدير حينئذ ان الابرار يشربون من شراب كان مزاجها كافورا شراب عين يشرب بها عباد الله .

« يشرب بها عباد الله» علي وفاطمة والحسنان ، وأمثالهم من الكاملين في العبودية لله سبحانه الذين يمشون على الارض هونا واذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما والذين يبيتون لربهم سجدا وقياما ، الى آخر ما اشتملت عليه آيات الفرقان من صفاتهم الكاملة . وانما وصل فعل الشراب في الآية الاولى بمن الابتدائية ، ووصله في الآية الثانية بباء الالصاق لان الكأس مبتدأ شربهم ، والعين يمزجون بها شرابهم ، فيكون المعنى يشربون الشراب بماء تلك العين ، كما تقول شربت الماء بالعسل ، وهذه العين « يفجرونها » أي يجرونها حيث شاءوا من كل مكان أرادوا « تفجيرا » سهلا يسيرا لا تلحقهم فيه كافة ، ولا يجدون فيه من مشقة ، وقد بين الله سبحانه وتعالى السبب في أستحقاقهم لهذه الكرامة ، فقال : « يوفون بالنذر » جوابا لسؤال مضمر ، تقديره ما الذي فعلوه فأستحقوا به هذا الجزاء ؟

وأنت تعلم أن ليس المراد من وصفهم بالوفاء بالنذر الا المبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات ، لان من وفي بما أوجبه هو على نفسه كان بما أوجبه الله عليه أوفى ، وتلك شهادة لهم من الله تعالى ، ومن أصدق من الله قليلا ، لم يقتصر سبحانه في تزكيتهم بهذه الشهادة على المبالغة في وصفهم بالتوفر على أداء الواجبات حتى بالغ في بعدهم عن المحرمات والشبهات بما وصفهم فيه من خشية الله والخوف من يوم القيامة ، حيث قال وهو أصدق القائلين : « ويخافون يوما كان شره مستطيرا » يريد بذلك ان هذا الخوف العظيم يستوجب كونهم نصب أمره ونهيه ، وتلك منزلة المعصومين .

ومن تدبر القرآن الحكيم وغاص على أسراره البالغة ، وجد في هذه الآيات البينات من عناية الله تعالى في هؤلاء الابرار أمرا عظيما ، لا يوصف بكيف ولا يقدر بكم ، ألا ترى كيف رتب هذه الشبهات في تزكيتهم فكانت كل شهادة أكبر من سابقتها ، اذ شهد أولا بأنهم يوفون بالنذر ، ثم شهد ثانيا بأنهم

يخافون يوما كان شره مستطيرا ، فكانت أعظم من الاولى لدلالتها بصريح العبارة على رسوخ الايمان بالله واليوم الآخر ، ثم شهد لهم ثالثا بما هو أعظم من ذلك فقال : « ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا » الضمير في حبه للطعام على الاظهر ، والمعنى انهم يطعمون الطعام مع حبه لشدة جوعهم بسبب صومهم ثلاثة أيام لايذوقون في لياليها غير الماء ، وهذا على حد قوله تعالى « وآتى المال على حبه » وقوله سبحانه : « لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون » وقوله « ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة » .

وانما كانت هذه الشهادة أعظم لكشفها عن كمال نفوسهم ، وبلوغهم أقصى الغايات في حب الخير والايثار على أنفسهم ، اشفاقا على المسكين ورأفة باليتيم وعطفة على الاسير . وأنت تعلم أنهم لو لم يؤثروهم لما كان عليهم في ذلك من جناح ، لكنهم مثلوا الحنان والرحمة بأجلى مظاهرهما حين لم يكونوا مكلفين بذلك ولا مسؤلين عنه ، وتلك من أفضل صفات المقربين .

بقي اعظم الشهادات وأجلها وأقوى الادلة على تزكيتهم وأدلتها ، ألا وهو الذي أشار اليه سبحانه وتعالى حيث قال بلسان حالهم عن مكنون سرائرهم : « انما نطعمكم لوجه الله لانريد منكم جزاء » بفعل تفعلونه « ولا شكورا » بقول تقولونه « انا نخاف (٢) من ربنا يوما » موصوفا على سبيل المجاز بكونه « عبوسا قمطريرا » شديد العبوس ، تشبيها له في شدته وضرره وتخويفه بالاسد العبوس ، أو بالحاكم المتنمر العبوس ، ويجوز وصفه بصفة أهله لعبوسهم يومئذ من شدة أهواله كقولهم « نهارك صائم » .

وأنت اذا تدبرت بشائره لهم بالامن من أهوال ذلك اليوم ، تعرف مزيد

(٢) فعن مجاهد « كما في الكشاف وغيره » انهم لم يقولوا حين أطعموا الطعام شيئا وانما علمه الله منهم فأثنى به عليهم ، وهذا من عظيم عنايته بهم .

عنايته بهم (ع) حيث لم يكتف منها ببشارة واحدة ، بل جعل البشائر مترادفة متوالية ، وكل واحدة منها أعظم من سابقتها • قال أولا : « فوقاهم الله شر ذلك اليوم » تأمينا لهم من شره وضره ، ثم اربى على ذلك فقال : « ولقاهم نضرة » في وجوههم « وسرورا » في قلوبهم بدل عبوس أعدائهم وحزنهم ، ثم ترقى في البشارة فقال : « وجزاهم بما صبروا » على الايثار مع شدة الجوع ابتغاء لمرضاة الله « جنة وحريرا » ، ثم لم يكتف في البشارة بالجنة على سبيل الاجمال حتى فصل فيها أكثر الاحوال ، فقال تعالى : « متكئين فيها على الارائك » فهم في منتهى الراحة والرفاهة والغبطة والحبور مستبشرين فكهين « لا يرون فيها شمسا » حرها يحمى « ولا زمهريرا » برده يؤذي ، فالشمس والزمهرير هنا كناية عن الحر والبرد (٣) ، وقد جمعوا بين البعد عنها ودنو الظلام عليهم ، كما أشار اليه سبحانه بقوله : « ودانية عليهم ظلالها » بنصب دانية ، عطفا على محل الجملة التي قبلها (٤) لانها في محل النصب على الحالية من الممدوحين (ع) ، والتقدير متكئين على الارائك غير رائين شمسا ولا زمهريرا ، ودانية عليهم ظلالها •

---

(٣) وقيل ان الزمهرير هنا انما هو القمر بقرينة مقابلته الشمس ، وأنشدوا مما يدل على كونه من أسماء القمر :

وليلة ظلامها قد اعتكر قطعتها والزمهرير مازهر

وعلى هذا فالمعنى ان الجنة ضياء لاحاجة فيها الى الشمس والقمر •

(٤) ويجوز عطفها على « جنة » فيكون المعنى وجزاهم جنة وحريرا وجنة أخرى دانية عليهم ظلالها ، اذ أنهم وصفوا بالخوف من ربهم في قوله تعالى : « انا نخاف من ربنا » وقد وعد الله الخائفين من ربهم بجنتين فقال : « ولمن خاف مقام ربه جنتان » ويجوز أن نجعل متكئين ولا يرون ودانية كلها صفات الجنة • وقرىء ودانية بالرفع على أن تكون خبرا مقدما والمبتدأ المؤخر ظلالها والجملة في محل الحال ، والتقدير لا يرون شمسا ولا زمهريرا والحال أن ظلالها دانية عليهم •

ثم لم يكتف سبحانه بهذا القدر من بيان كرامتهم حتى قال : « وذللت قطوفها تذليلا » والمعنى تدنو ظلالها عليهم في حال تذليل قطوفها لهم ، اذ الجملة هنا حالية من الضمير في دانية (٥) ، والمراد من تذليل قطوفها جعلها ذللا لا تمتنع على قاطفها متى أراد وكيف شاء ، ويجوز ان تكون مأخوذة من الذل بمعنى الخضوع لسهولة قطفها كيف شاء قطافها .

ولو اكتفى جل وعلا بهذا القدر من بيان فوزهم في دار كرامته لكفاهم شرفا وفضلا ، لكنه سبحانه آثر الاطناب فيما تحدى به من معجزات الكتاب ، ليمثل بذلك عنايته التامة فيهم تمثيلا ، وليفضلهم على من سواهم تفضيلا فقال: « ويطاف عليهم بآنية من فضة وأكواب » خلقها الله تعالى بباهر قدرته واتقان صنعه ، فقال كوني من جنس الفضة في صفاء القوارير وشفيفها ولذا « كانت قواريرا (٦) قوارير من فضة » فتبارك الله أحسن الخالقين ، كيف جمع فيها بين صفتي المعدنين المتباينين ثم لم يكتف سبحانه ببيان جنس تلك القوارير وباهر وصفها حتى وصفها أيضا بقوله : « قدروها » في أنفسهم « تقديرا » خاصا على كيفيات مخصوصة تشتهيها نفوسهم وتلذ بها أعينهم ، فجاءت كما قدروا على حسب ما يتمنون .

ثم شرح تبارك وتعالى ما يقع استعماله منهم في تلك الاكواب فقال : « ويسقون فيها كأسا » أي خمرة موصوفة بقوله : « كان مزاجها » الذي

---

(٥) ويجوز عطفها على دانية ، أي ودانية عليهم ظلالها ومذللة لهم قطوفها ، واذا جعلت متكئين ولا يرون ودانية صفات للجنة فلتكن هذه الجملة صفة لها أيضا . هذا كله مع نصب دانية ، أما مع رفعها على الاخبار بها عن ظلالها فتكون هي وظلالها جملة ابتدائية والجملة من وذللت معطوفة عليها .

(٦) الالف هنا للاطلاق ، وهي فاصلة بين قوارير الاولى والثانية ، وهما لا ينصرفان لكونهما في صيغة منتهى الجموع .

تمزج به ماء من عين في الجنة تسمى « زنجبيلا » ،ويدلك على أن زنجبيلا اسم لعين في الجنة قوله تعالى : « عينا فيها » بالنصب على أنها عطف بيان أو بدل من زنجبيلا ،ويجوز نصبها على الاختصاص أو على كونها بدلا من كأسا بتقدير حذف مضاف ، ويكون المعنى ويسقون فيها كأسا كان مزاجها زنجبيلا . كأس عين « تسمى سلسبيلا » لكونها في منتهى السلاسة يقال « شراب سلسل وسلسال » اذا كان سلسا سائغا سهل الانحدار ، ويقال سلسبيل اذا كان في غاية السلاسة .

لم يكتف عز وجل بقوله : « ويطاف عليهم » حتى ذكر الطائفين عليهم القائمين بخدمتهم بأحسن الذكر وأجمله ووصفهم بألطف الوصف وأفضله فقال : « ويطوف عليهم ولدان مخلدون اذا رأيتهم حسبتهم » لجمال منظرهم وكمال هيئتهم وصفاء ألوانهم وبهاء أشكالهم ومايروق العالمين من حسنهم ولطفهم وأنبثاثهم في أنديتهم « لؤلؤا منثورا » وقيل شبهوا باللؤلؤ الرطب اذا نثر من صدفه لحسنه وكثرة مائه .

لم يكتف جل وعلا بهذه التفاصيل كلها حتى أفاد سبحانه أن الاجمال فيما أعده الله لهم مما لابد منه ولا مندوحة عنه لامتناع تفصيله بسبب قصور العبائر وعجز افهام الناس وقصر أدراكهم ، ولذا قال وهو أصدق القائلين : « واذا رأيت ثم » فلم يجعل مفعولا لرأيت لاظاهرا ولا مقدرا لتكون الرؤية عامة لجميع ماثمة ، والمعنى أنك اذا أوقعت رؤيتك هناك على أي شيء من الاشياء تجدك قد « رأيت نعيما » عظيما تضيق عنه الاوهام « وملكا كبيرا » تنقطع دونه الاماني ولا يمكن وصفه الا بهذا المقدار .

وهذه الآية أبلغ في كرامتهم من كل ما تقدم ، وقد تدبرها من تدبرها فعلم أن فيها من فضلهم ما لايحيط به الا الله تعالى ، ومع ذلك لم ينته ذكره سبحانه

لهم ووعده اياهم بما هم أهله بل قال : «عاليهم (٧) ثياب سندس خضر واستبرق وحلوا أساور من فضة » فهم مزدانون بحلي الكرامة رافلون في حلل دار المقامة « و » قد « سقاهم ربهم » جل وعلا هذا الساقي وتبارك ما أعظم عنايته فيهم وأجل اهتمامه ببيان كرامتهم ، اذ نسب الساقي على سبيل المجاز الى جلالته تعالى ، فما يقول الواصف بعدها وان أطنب ، وما عسى أن يصف القائل فيهم وان أسهب ، وما ظنك بمن يسقيهم ربهم بكأسه الاوفى « شرابا طهورا » يرشح بعد ذلك من أبدانهم عرقا أطيب من ريح المسك ، لا كخمر الدنيا رجسا نجسا خبيثا منتنا سالبا للعقل متلفا للجسم مسقطا للمروءة معصورا بالايدي الوضرة ، مدوسا بالارجل القذرة موضوعا في دنان قد لاتسلم من الجراثيم السامة وأباريق قد لايعني بتنظيفها مدارة بكؤوس تداولتها الايدي الاثيمة وولغت فيها الافواه البخرة .

وأنت هداك الله اذا أمعنت النظر فيما ألقاه عزوجل اليهم في ختام البشائر العظيمة والمواهب الجسيمة تتمثل لك عناية الله بهم قالبا حسيا ، وترى كرامتهم عليه وسمو منزلتهم لديه شخصا مرئيا ، وذلك أنه ختم كلامه في شؤونهم بقوله مخاطبا لهم (ع) : « ان هذا » الاكرام العظيم الذي فصلناه في محكم الذكر تفصيلا وفضلناكم على العالمين تفضيلا « كان لكم جزاء » على أعمالكم المقدسة التي أستوجبت هذا الاكرام الجسيم لم تنالوه بشفاعة أو بمجرد فضل ، وانما أخذتموه بالاستحقاق والعدل « وكان سعيكم » مع ذلك كله « مشكورا » ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

بقيت نكتة شريفة وحكمة من حكم الفرقان منيفة حاصلها : ان هذه

---

(٧) بنصب عاليهم لكونه حالا من ضمير عليهم في قوله « ويطوف عليهم ولدان » . وقد يقال انها حال من ولدان ، وقرىء عاليهم بالسكون على أنه مبتدأ وخبره ثياب سندس خضر واستبرق .

السورة المباركة كما بشرت هؤلاء الابرار(٨) فقد أنذرت أعداءهم الظالمين الكفار بما أعد الله لهم من السلاسل والاغلال والعذاب الاليم وسعير النار ، فأمعن النظر اليها تجد التصريح بذلك في كل من طرفيها ، كما لا يخفى على الخواضين لعباب الذكر الحكيم ، الغواصين على كل سر من أسراره عظيم ، المتدبرين لمواقع كلمه ، والمستقصين في البحث والتنقيب عن حكمه الذين اذا قرأوا القرآن أو استمعوا له أصغوا اليه بمجامع قلوبهم وخشعت لهيبته جميع جوارحهم ، فبحثوا لمعانيه ومراميه وخضعوا لاوامره ونواهيه ، جعلنا الله في جملة من منّ عليهم بذلك انه أرحم الراحمين .

المطلب الثاني

في دلالة السنة المقدسة ، وفيها من الاحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة ما تضيق عنه هذه الرسالة ولا تحتمله هذه العجالة ، وانما نذكر منها اثني عشر حديثا تبركا بهذا العدد الميمون :

(١) ــ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : أفضل نساء أهل الجنة خديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسيا بنت مزاحم امرأة فرعون ، ومريم بنت عمران . أخرجته جماعة من المحدثين كثيرون كالامام احمد من حديث رواه

(٨) يجب أن يعلم ان آيات الثناء والبشائر في سورة الدهر كلها لعلي وفاطمة والحسن والحسين ، وآيات الوعيد والذم والتهديد فيها لاعدائهم ، بقرينة أن السبب في نزول تلك السورة بتمامها انما هم عليهم السلام ، لكن الالفاظ في كل من المقامين عامة شاملة لكل من اتصف بتلك الاوصاف . وعلى هذا فالبشائر والمدائح في تلك السورة تتناول عليا وفاطمة والحسن والحسين أولا وبالذات ثم تتناول من أتصف بصفاتهم ثانيا وبواسطة دخولهم في تلك العمومات ، وكذلك القول في آيات الذم والوعيد فانها تتناول أولا وبالذات أعداء أولئك الابرار الذين كانوا سببا في نزول السورة بأجمعها ثم تتناول غيرهم لدخوله في العموم حيث ان المورد لا يخصص الوارد ، فاحفظ هذا فانه ينفعك في كثير من الآيات ان شاء الله تعالى .

عن ابن عباس في صفحة ٢٩٣ من الجزء الاول من مسنده ، وأبي داود كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب ، وقاسم بن محمد كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب وجماعة من حملة الآثار وحفظة الاخبار لايسع المقام استيفاءهم .

(٢) ــ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : خير نساء العالمين أربع : مريم بنت عمران ، وآسيا بنت مزاحم ،وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد . أخرجه أبو داود كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب بالاسناد الى أنس ، ورواه عبد الوارث بن سفيان كما في ترجمتي الزهراء وخديجة من الاستيعاب بالاسناد الى أبي هريرة ، ونقله غير واحد من ثقاة المحدثين بطرقهم الى أنس وأبي هريرة .

(٣) ــ قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : حسبك من نساء العالمين مريم بنت عمران ،وخديجة بنت خويلد ، وفاطمة بنت محمد ، وآسيا امرأة فرعون . أخرجه الترمذي كمافي الاربعين النبهاني [1] عن أنس ، ورواه عنه أيضا السراج كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب ، وأخرجه ابو داود كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب ، ونقله الشعبي كما في ترجمة الزهراء من الاصابة عن جابر ، ولا يسعنا استقصاء من أخرج هذا الحديث بطرقهم المختلفة الى أنس وجابر .

وأنت تعلم ان هذه الاحاديث الثلاثة ونحوها نصوص جلية في تفضيل الاربع على سائر نساء البرية ، ولا تعرض فيها لبيان الافضل من تلك الاربع لكن صحاحنا المتواترة عن أئمة العترة الطاهرة نصوص في تفضيل الزهراء صريحة لاتقبل التأويل ، كما يشهد به كل من أنعم الله عليه بالاستسلام لحكمها

(١) راجع صفحة ٢٢٠ من كتاب الاربعين . الاربعين من أحاديث سيد المرسلين .

وحسبك في تفضيل الزهراء أنها بضعة من سيد الأنبياء ولا نعدل به ولا ببضعته أحدا من العالمين . وقد وافقنا في تفضيلها جمهور من المسلمين وصرح به كثير من المحققين نقل ذلك عنهم غير واحد من العلماء الباحثين المتتبعين ، كالمعاصر النبهاني حيث قال في أحوال الزهراء من كتابه « الشرف المؤبد » ماهذا لفظه : وصرح بأفضليتها على سائر النساء حتى على السيدة مريم كثير من العلماء المحققين ، منهم التقي السبكي والجلال السيوطي والبدر الزركشي والتقي المقريزي . « قال » وعبارة السبكي حين سئل عن ذلك : الذي نختاره وندين به أن فاطمة بنت محمد أفضل . « قال » وسئل عن مثل ذلك ابن أبي داود فقال : ان رسول الله (ص) قال « فاطمة بضعة مني » ولا أعدل ببضعة رسول الله أحدا ونقل المناوي هذا عن جمع من الخلف والسلف فراجع .

(٤) ــ ما أستخرجه أبو داود كما في ترجمة خديجة من الاستيعاب بسنده الى ابن عباس قال : قال رسول الله (ص) سيدة نساء أهل الجنة بعد مريم بنت عمران فاطمة بنت محمد وخديجة وآسيا اهـ . وهذا كالاحاديث السابقة في الدلالة على تفضيل الاربع على من سواهن من نساء العالمين ، الا أنه ربما يستشعر منه تفضيل العذراء على الزهراء ، لكن الادلة الاخر التي هي أكثر عددا وأصح سندا وأصرح دلالة من هذا الحديث ونحوه توجب الاعراض عما يستشعر منه على أنه لا يروى من طريق أصحابنا كما لا يخفى .

(٥) ــ ما أخرجه البخاري (٢) ومسلم (٣) والترمذي في صحاحهم وصاحب الجمع بين الصحيحين وصاحب الجمع بين الصحاح الستة والامام

(٢) راجع آخر صفحة ٦٤ من الجزء الرابع من صحيحه المطبوع بالمطبعة المليحية سنة ١٣٣٢ .

(٣) راجع باب فضائل فاطمة من الجزء الثاني من صحيحه تجد طرقه في هذا الحديث الى عائشة متعددة .

أحمد من حديث الزهراء من مسنده (٤) وابن عبد البر في ترجمتها من استيعابه ومحمد بن سعد في ترجمتها من الجزء الثامن من طبقاته وفي باب ما قاله النبي في مرضه من المجلد الثاني من الطبقات أيضا ، واللفظ الذي تسمعه للبخاري آخر ورقة من كتاب الاستئذان من الجزء الرابع من صحيحه قال : حدثنا موسى عن أبي عوانة عن فراس عن عامر عن مسروق حدثتني عائشة أم المؤمنين قالت : أنا كنا أزواج النبي عنده جميعا لم تغادر منا واحدة ، فأقبلت فاطمة تمشي لا والله ما تخفي مشيتها من مشية رسول الله (ص) فلما رآها رحب وقال : مرحبا بأبنتي ، ثم أجلسها عن يمينه أو عن شماله ثم ساَرها فبكت بكاء شديدا فلما رأى حزنها سارها الثانية اذا هي تضحك فقلت لها أنا من بين نسائه : خصك رسول الله (ص) بالسر من بيننا ثم أنت تبكين ، فلما قام رسول الله (ص) سألتها عما سارك قالت : ما كنت لافشى على رسول الله سره ، فلما توفي قلت لها : عزمت عليك بما لي عليك من الحق لما أخبرتني ؟ قالت : أما الآن فنعم، فأخبرتني قالت : أما حين سارني في الامر الاول فانه أخبرني جبرائيل كـان يعارضه كل سنة مرة وأنه قد عارضني به العام مرتين ولا أرى الاجل الا قد أقترب ، فأتقي الله واصبري فأني نعم السلف أنا لك ، قالت : فبكيت بكائي الذي رأيت فلما رأى جزعي سارني الثانية قال : يافطمة ألا ترضين ان تكوني سيدة نساء المؤمنين او سيدة نساء هذه الامة اهـ . ولفظه فيما ذكره ابن حجر في ترجمتها من الاصابة وغير واحد من المحدثين « ألا ترضين أن تكوني سيدة نساء العالمين » وكيف كان فالحديث صحيح والنص في تفضيلها صريح .

وأخرج ابن سعد في باب ما قاله النبي لها في مرضه من المجلد الثاني من طبقاته بالاسناد الى أم سلمة قالت : لما حضر رسول الله (ص) دعا فاطمة فناجاها فبكت ثم ناجاها فضحكت ، فلم أسألها حتى توفي رسول الله (ص)

(٤) راجع صفحة ٣٨٢ من الجزء السادس من المسند .

فسألتها عن بكائها وضحكها فقالت : أخبرني انه يموت ثم أخبرني أني سيدة نساء اهل الجنة ــ الحديث • وأخرجه أيضا أبو يعلي كما في ترجمة الزهراء من الاصابة بالاسناد الى أم سلمة ، ورواه عنها غير واحد من أهل الحديث •

(٦) ــ ما أخرجه جماعة من الحفظة وأهل الضبط ممن حملوا العلم بأسانيده وطرقه كابن عبد البر في ترجمتها عليها السلام من الاستيعاب ان النبي (ص) عادها وهي مريضة فقال : كيف تجدينك يابنية ؟ قالت : اني لوجعة وانه ليزيدني اني مالي طعام آكله • قال : يابنية أما ترضين انك سيدة نساء العالمين ؟ قالت : يا أبة فأين مريم بنت عمران • قال : تلك سيدة نساء عالمها وأنت سيدة نساء عالمك ، وما والله لقد زوجتك سيدا في الدنيا والآخرة ا هـ •

(٧) ــ ما أخرجه احمد والترمذي والنسائي وابن حيان « كما في في الفصل الثالث من الباب ١١ من الصواعق المحرقة لابن حجر» عن حذيفة أن النبي (ص) قال له : أما رأيت العارض الذي عرض لي قبل ذلك هو ملك لم يهبط الى الارض قط قبل هذه الليلة استأذن ربه عز وجل ان يسلم علي ويبشرني ان الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة ، وان فاطمة سيدة نساء أهل الجنة ا هـ •

وأخرج ابن حبان وغيره ــ كما في أحوال الزهراء من الشرف المؤبد وغيره ــ عن أبي هريرة قال : قال رسول الله (ص) ان ملكا من السماء لم يكن زارني فاستأذن ربي في زيارتي فبشرني ان فاطمة سيدة نساء امتي ا هـ •

(٨) ــ ما أخرجه حفظة الاخبار وحملة الآثار كعبد الرحمن بن أبي نعيم ــ كما في ترجمة الزهراء من الاستيعاب والاصابة وغيرهما ــ عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله (ص) فاطمة سيدة نساء اهل الجنة ــ الحديث

(٩) ــ ما أخرجه البخاري ومسلم في صحيحهما ــ كما في ترجمة الزهراء من الاصابة وغيرها ــ عن المسور قال : سمعت رسول الله (ص) يقول على

المنبر : فاطمة بضعة مني ، يؤذيني ما آذاها ويريبني ما رابها .

ونقل النبهاني في أحوال الزهراء من الشرف المؤبد عن البخاري بسنده الى رسول الله (ص) قال : فاطمة بضعة مني ، يغضبني ما يغضبها . قال : وفي رواية فمن أغضبها أغضبني . قال : وفي الجامع الصغير : فاطمة بضعة مني يقبضني ما يقبضها ويبسطني ما يبسطها . وقالت بأبي هي وامي لأبي بكر وعمر ـ كما صرح به الامام ابن قتيبة في أوائل كتاب الامامة والسياسة ـ : نشدتكما الله ألم تسمعا رسول الله (ص) يقول : رضا فاطمة من رضاي وسخط فاطمة من سخطي ، فمن أحب ابنتي فاطمة فقد أحبني ومن أرضى فاطمة فقد أرضاني ومن أسخط فاطمة فقد اسخطني ؟ قالا : نعم سمعناه من رسول الله (ص) . وهذا من الاحاديث المتواترة عن أئمة العترة الطاهرة وكفى به حجة لتفضيلها على من سواها من نساء العالمين ، وهل يعدل مسلم ببضعة النبي (ص) وبقيته في أمته أحدا من الناس ؟ وقد تدبر هذا الحديث من تدبره من أولي الالباب فرآه يرمي الى عصمتها لدلالته على امتناع وقوع كل من أذيتها وريبتها وغضبها وسخطها ورضاها وانقباضها وانبساطها في غير محله ، كما هو الشأن في أذية النبي (ص) وريبته ورضاه وسخطه وانقباضه وانبساطه وهذا كنه العصمة وحقيقتها كما لايخفى .

(١٠) ـ ما أخرجه ابن أبي عاصم ـ كما في ترجمتها من الاصابة ـ بسنده الى علي عليه السلام قال : قال رسول الله (ص) لفاطمة : أن الله يغضب لغضبك ويرضى لرضاك . وأخرجه الطبري وغيره بأسناد حسن كما في أحوالها من الشرف المؤبد وغيره ، وهو في الدلالة على تفضيلها وعصمتها كالحديث السابق .

(١١) ـ ما أخرجه جماعة من أثبات المحدثين وأعلامهم كالامام أحمد بن حنبل من حديث أبي هريرة في صفحة ٤٤٢ من الجزء الثاني من مسنده قال : نظر النبي (ص) الى علي والحسن والحسين وفاطمة فقال : أنا حرب لمن حاربكم

وسلم لمن سالمكم .

وأخرج الترمذي من حديث زيد بن أرقم كما في ترجمة الزهراء من الاصابة أن رسول الله قال : علي وفاطمة والحسن والحسين أنا حرب لمن حاربهم وسلم لمن سالمهم ا هـ . وهذا الحديث في الدلالة على تفضيلها وعصمتها كسابقه وفيه دلالة على كفر محاربيهم كما ترى .

(١٢) ــ ما أخرجه المحدثون بالاسناد الى علي واللفظ لاحمد في صفحة ١٠١ من الجزء الاول من مسنده عن عبد الرحمن الازرق عن علي قال : دخل عليَّ رسول الله (ص) وأنا نائم على المنامة فأستسقى الحسن او الحسين قال : فقام النبي (ص) الى شاة لنا بكيء (٥) فحلبها فدرت فجاءه الحسن فنحاه النبي (ص) فقالت فاطمة : يا رسول الله كأن أخاه احبهما اليك . قال :لا ولكنه أستسقى قبله . ثم قال : اني واياك وهذين وهذا الراقد في مكان واحد يوم القيامة ا هـ .

بخ بخ هذا هو الفضل الذي بخع له الاولون والآخرون ، فلا يلحقهم بعده لاحق ولا يطمع في أداركهم طامع ، ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم .

هذا آخر ما وسعته العجالة واحتملته هذه الرسالة وقد استقصينا في سبيل المؤمنين (٦) كل ما يدل على تفضيلهم عليهم السلام .

وحسبك في تفضيلها بالخصوص ما أخرجه الطبراني في ترجمة ابراهيم بن هاشم من معجمه الاوسط عن عائشة قالت : ما رأيت أحدا قط أفضل من فاطمة غير أبيها . وسند هذا القول الى عائشة صحيح على شرط البخاري ومسلم ، صرح بذلك ابن حجر في ترجمة الزهراء من أصابته والنبهاني في آخر صفحة

(٥) أي قل لبنها وقيل انقطع ، وهذا الحديث أشار اليه صاحب لسان العرب في مادة بكأ .

(٦) نكبنا في سبيل المؤمنين سنة ١٩٢٠ غربية وهي سنة ١٣٣٨ هجرية

٥٨ من الشرف المؤبد .

وأخرج ابن عبد البر في ترجمة الزهراء من استيعابه بالاسناد الى ابن عمير قال : دخلت على عائشة فسألتها أي الناس كان أحب الى رسول الله صلى الله عليه وآله ؟ قالت . فاطمة . قلت : فمن الرجال ؟ قالت : زوجها .

وأخرج في ترجمتها (ع) من الاستيعاب أيضا عن بريدة قال : كان أحب الناس الى رسول الله من النساء فاطمة ومن الرجال علي . وقالت عائشة : ما رأيت

يوم رزئنا بجل ما ألفناه قبل تلك النازلة التي عمت أبناء عاملة واختصت بهذا الضعيف ، حيث اوغل الغاشمون في طغيانهم ولجوا في عدوانهم ومضوا في التكيل والتقتيل والتشريد على غلوائهم واطلقوا في البنادق والمشانق والنهب والضرب والتحريق والتمزيق أعنة أهوائهم ، ركبوا في ذلك رؤوسهم متهافتين في أعمالهم لا يلوون على أحد ، وكنت في طليعة من تبدد وتشرد . وليتهم كفوا عن تلك الكتب القيمة واكتفوا بما سواها . عند الله احتسب تلك المؤلفات التي أفنيت فيها عمري ورهقني بفقدها ما نقض مرة صبري ، فانا لله وانا اليه راجعون

انشد الله امرءا وقع في يده شيء منها الا أثلج به كبدي الحرى فان لكل كبد حرى أجرا ، واليك ضالتي المنشودة ونفائسي المفقودة ١ ــ شرح التبصرة على سبيل الاستدلال خرج منه كتاب الطهارة وكتاب القضاء والشهادات وكتاب المواريث في ثلاثة مجلدات ٢ ــ تعليقة على استصحاب رسائل الشيخ في مجلد واحد ٣ ــ رسالة في منجزات المريض استدلالية ، ٤ ــ سبيل المؤمنين ثلاثة مجلدات في أمامة أئمتنا الاثنى عشر وأحوالهم ومناقبهم وهديهم (ع) لانظير له في موضوعه ٥ ــ النصوص الجلية في امامة العترة الزكية يشتمل على ثمانين نصا أربعين مما أجمع على صحته المسلمون وأربعين مما انفردت به الامامية وفيه وفي سبيل المؤمنين ما شئت من أدلة عقلية ونقلية وحكمة فلسفية ــ ٦ ــ تنزيل الآيات الباهرة في فضل العترة الطاهرة مجلد واحد يشتمل على مائة آية نزلت فيهم بحكم الصحاح المجمع على تصحيحها وقد تكلمنا فيه وفي سبيل المؤمنين بما يوجبه التحقيق في العلوم مجانبين فيها الاطناب الممل والايجاز المخل ٧ ــ تحفة المحدثين فيما أخرج عنه الستة من المضعفين وهذا هو المعجم الاول الذي لم يكتب قبله في هذا الموضوع ٨ ــ تحفة الاصحاب في حكم اهل الكتاب ٩ ــ الذريعة في نقض البديعة (أعني بديعة النبهاني) ١٠ ــ المجالس الفاخرة

أحدا أصدق لهجة من فاطمة الا أن يكون الذي ولدها (ص) • أخرجه ابن عبد البر في ترجمة الزهراء من استيعابه • والحمد لله أولا وآخرا ، وصلى الله على محمد وآله وسلم تسليما كثيرا •

وكان الفراغ من تأليفها في مدينة صور مستهل رجب سنة ألف وثلاث ومائة وست وأربعين هجرية بقلم مؤلفها الال عبدالحسين بن الشريف يوسف ابن الجواد بن اسماعيل بن محمد بن محمد [٧] بن ابراهيم ويلقب شرف الدين ابن زيد العابدين بن علي نور الدين بن نور الدين علي بن الحسين بن محمد طاعة الله الرضا بما صنع الله فيما أحب العبد وفيما كره الا وهو خير له •

في مآتم العترة الطاهرة أربعة مجلدات المجلد الاول في السيرة النبوية الدالة بمجردها على نبوته صلى الله عليه وآله وسلم الثاني في سيرة أمير المؤمنين والزهراء والحسن المجتبى ذكرنا منها ما يدل بحكم الفلسفة العقلية على عصمتهم الثالث خاص بسيد الشهداء على وتيرة الاول والثاني ، الرابع في سيرة التسعة اقتصرنا منها على ما يدل بمجرده على أمامتهم وعصمتهم وفي هذه المجالس من الفلسفة ما يحكم العقل والنقل بصحته — وقد طبعت مقدمتها فكانت رسالة لها السبق في موضوعها ١١ — المناظرات الازهرية والمباحثات المصرية كتاب يشتمل على مهمات المسائل الخلافية متكفلا بأثبات الحق من طريق مخالفيه ١٢ — مختصر الكلام في مؤلفي الشيعة من صدر الاسلام خرج منه مجلد واحد نشر عنه العرفان في مجلداته الاول والثاني والثالث ، تراجم كثير من الاعاظم — ١٣ — بغية الفائز في نقل الجنائز نشرت العرفان جلها ١٤ — بغية السائل عن لثم الايدي والانامل رسالة فيها أربعون حديثا من طريقنا وأربعون من طريق غيرنا أدلة على الموضوع وتكلمنا فيها بهذه المناسبة في مطلق التقبيل فكانت رسالة علمية أدبية فكاهية ١٥ — زكاة الاخلاق رسالة شريفة نشرت مجلة العرفان الغراء لمعا منها — ١٦ — الفوائد والفرائد يعرف موضوعها من اسمها ١٧ — تعليقة على صحيح البخاري ١٨ — تعليقة على صحيح مسلم ١٩ — الاساليب البديعة في رجحان مآتم الشيعة كتاب لم يسبق له في أدلته العقلية والنقلية نظير « ودع عنك نهبا صيح في حجراته » •

(٧) الى محمد هذا ينتهي نسب والدة المؤلف أيضا فأنها كريمة الهادي بن محمد علي بن صالح بن محمد المذكور •

ابن الحسين بن علي بن محمد بن تاج الدين المعروف بأبي الحسن بن محمد ابن عبدالله بن أحمد بن حمزة بن سعد الله بن حمزة بن محمد بن محمد بن عبد الله ابن محمد بن علي بن عبد الله بن محمد بن طاهر بن الحسين بن موسى بن ابراهيم المرتضى بن الامام أبي الحسن موسى (٨) الكاظم بن الامام أبي عبدالله الصادق بن الامام أبي جعفر الباقر بن الامام زين العابدين علي بن الامام أبي عبد الله الحسين سيد الشهداء وسبط سيد الانبياء وخاتم المرسلين صلى الله عليه وآله وسلم وعليهم أجمعين .

---

(٨) يقال للمؤلف « موسوي » نسبة الى هذا الامام كما يقال ذلك لكل حسيني تفرع عن شجرة موسى الكاظم عليه السلام . تمت التعليقة بقلم مؤلفها الاقل عبد الحسين شرف الدين الموسوي سنة ١٣٤٦ والحمد لله .

فهرس مطالب الفصول المهمة

صفحة

٣ ــ الخطبة .

٥ ــ « فصل ١ » فيما جاء في الكتاب والسنة من الحض على الاجتماع والتنديد بأهل التفريق والنزاع .

٨ ــ « فصل ٢ » في بيان معنى الاسلام والايمان وفيه ما يوجب القطع بأن جميع أهل الشهادتين والصوم والصلاة والحج والزكاة أخوان .

١١ ــ « فصل ٣ » في صحاح أهل السنة الحاكمة بأحترام اهل الاركان الخمسة كافة وحرمة دمائهم وأعراضهم وأموالهم وفيه من الاحاديث الصحيحة والنصوص الصريحة . ما يقطع شغب المشاغب ولا يبقى معه أثر لهذيان النواصب .

١٨ ــ « فصل ٤ » في يسير من نصوص أئمتنا عليهم السلام في الحكم بأسلام اهل السنة وانهم كالشيعة في جميع الآثار التي تترتب على مطلق من كان مسلما .

١٩ ــ « فصل ٥ » في صحاح السنة الحاكمة على أهل الاركان الخمسة بدخول الجنة وفيه من البشائر ما تقربه النواظر .

٢٢ ــ تنبيه مهم يذود العصاة عن التشبث بما في ذلك الفصل من المباشرات

٢٥ ــ الاشارة الى صحاحنا وكونها مخصصة العمومات السابقة .

٢٦ ــ «فصل٦» في لمعة من فتاوي علماء أهل السنة بأيمان اهل الاركان الخمسة كافة وأحترامهم ونجاتهم جميعا وفيه فتاوي كثير من أعلام الامة .
٢٧ ــ فتوى الامام السبكي بذلك .
٢٨ ــ فتوى الشيخ ابن العربي بذلك .
٢٩ ــ فتوى صاحب المنار . وفتوى النبهاني . وفتوى العارف الشعراني بذلك .
٣٠ ــ فتوى كل من الروياني والقزويني وعلماء بغداد قاطبة وجمهور العلماء والخلفاء من الصحابة ومن بعدهم .
٣١ ــ الاجماع الذي نقله ابن تيمية وفتوى ابن أبي ليلى وأبي حنيفة والشافعي والثوري وداود بن علي والصحابة .
٣٢ ــ فتوى الامامين الاشعري والشافعي .
٣٣ ــ اجماع الشافعية على عدم كفر الخوارج .
٣٤ ــ قول ابن المنذر لا أعلم أحدا وافق على تكفير الخوارج وكلام ابن عابدين في أن سب الصحابة ليس بكفر .
٣٥ ــ قول ابن حزم بعدم كفر المتأولين بسب الصحابة .
٣٦ ــ ما نقله ابن حزم عن الاشاعرة من القول بعدم كفر الساب لله ولرسوله مطلقا
٣٧ ــ الاوزاعي لا يكفر أحدا من أهل الشهادتين وابن سيرين والحسن البصري والزهري والثوري يحكمون بنجاتهم مطلقا .
٣٨ ــ كلمة لابن المسيب وأخرى لابن عيينة في هذا المعنى . وكلمة في ختام الفصل للمصنف تأخذ بالاعناق الى الوفاق .
٣٨ ــ « فصل ٧ » في بشائر السنة للشيعة ويالها من بشائر تحكم بفلاحهم في الدنيا وسعادتهم في اليوم الآخر .
٤١ ــ تنبيه لبيان معنى الشيعة المختصين بتلك البشائر أردنا به الرد على ابن حجر وأمثاله اذ زعموا أنهم هم الشيعة لا نحن .
٤٤ ــ « فصل ٨ » فيمن تأولوا من السلف فخالفوا الجمهور ولم يقدح ذلك في عدالتهم والغرض اثبات معذرة المتأولين .
٤٥ ــ تخلف سعد وحباب عن بيعة السقيفة متأولين .
٤٦ ــ تخلف علي وأهل بيته وشيعته عنها .
٤٧ ــ أثبات أن عليا مع الحق والحق معه لا يفترقان .
٤٨ ــ تخلف أبي سفيان وقوله لعلي ابسط يدك أبايعك . . . الخ .

صفحة

٤٩ ــ ما كان بين الزهراء وأبي بكر اذ هجرته فلم تكلمه حتى ماتت .
٤٩ ــ قتل خالد لمالك بن نويرة ونكاح زوجته .
٥٠ ــ قتل خالد لبني جذيمة وتبرى النبي (ص) من عمله يومئذ .
٥١ ــ تأولهم في الطلاق الثلاث وحكمهم فيه بخلاف ما كان عليه زمن النبي (ص)
٥٢ ــ بيان مذهبنا في الطلاق الثلاث والاستدلال عليه من طريق غيرنا راجعه تجده كرسالة (في هذه المسألة) حافلة .
٥٣ ــ تأولهم في المتعتين راجع ما كتبناه هنا فانه حقيق بالمراجعة وهو كرسالة في هذا الموضوع على حده وفينا المقام حقه وعقدنا هناك مباحث : الاول في أصل مشروعية المتعتين واثبات ذلك بالاجماع والكتاب والسنة .
٥٤ ــ تحرير محل النزاع في متعة النساء والرد على الالوسي فيما بهت به الامامية .
٥٨ ــ المبحث الثاني في دوام حل المتعتين واستمرار حكمهما .
٦٠ ــ المبحث الثالث فيما زعموه ناسخا لمتعة النساء وبيان خطاهم في ذلك .
٦٢ ــ المبحث الرابع في أثبات كون المحرم انما هو عمر .
٦٣ ــ المبحث الخامس في الاشارة الى المنكرين من الصحابة على تحريم المتعة
٦٦ ــ النداء بتحليل المتعة أيام المأمون .
٦٦ ــ خاتمة في الاشارة الى من صرح من الاعلام بأن عمر أول من حرم المتعة
٦٧ ــ تأولهم في أذان الصبح حيث زادوا فيه (الصلاة خير من النوم) واثبات انها لم تكن .
٦٩ ــ تأولهم في أسقاط حي على خير العمل مع كونها جزءا من الاذان والاقامة وقد أثبتنا ذلك بالبرهان فجدير بأهل التحقيق والتحديق أن يقفوا عليه .
٧٠ ــ تأولهم في صلاة التراويح وبيان أنها لم تكن أيام رسول الله وابي بكر .
٧٢ ــ تأولهم آية الزكاة اذا أسقطوا سهم المؤلفة قلوبهم .
٧٣ ــ تأولهم آية الخمس حيث صرفوها الى خلاف منطوقها ويليق بما كتبناه هنا في الخمس والزكاة أن يكون رسالة على حدة .
٧٥ ــ تأولهم في صلاة الجنائز حيث جمعوا الناس على اربع تكبيرات .
٧٦ ــ تأولهم في البكاء على الميت حيث حرمه الخليفة الثاني وبيان عدم حرمته راجع ذلك فانه من (الاساليب البديعة) في رجحان مآتم الشيعة .
٧٩ ــ تأولات للسلف عديدة نلفت اليها كل باحث .

صفحة

٨١ ــ تنبيه الى أن بعض الصحابة كانوا لا يتعبدون بالنصوص المتعلقة بالسياسة بل كانوا يتأولونها ولذلك تأولوا النص بالخلافة على علي ومن راجع هذا البحث رأي الحقيقة بأجلى مظاهرها .

٨٢ ــ بيان الاسباب التي دعتهم الى تأول ذلك النص فمنها أنه غلب على ظنهم أن العرب لاتخضع لعلي حيث أنه وترها وسفك دماءها ومنها ان العرب كانت تنقم منه عدله ومساواته ولم يكن لها فيه مطمع ومنها أنهم كانوا يحسدونه على ما آتاه الله من فضله .

٨٣ ــ ومنها أنهم كانوا قدتشرفوا الى تداول الخلافة بينهم وقدرأوا تعبدهم بالنص مانعالهم من ذلك ومنها أنهم كرهوا أن تجتمع النبوة والخلافة في بني هاشم

٨٤ ــ الاسباب التي منعت عليا وشيعته من المقاومة واضطرته الى عدم القيام بأمر الناس والسر في قعوده في بيته حتى أخرجوه كرها . ودلالة ذلك على أصالة رأيه وشدة أحتياطه على الاسلام .

٨٥ ــ تأول الخليفة الاول وأتباعه للنصوص الصريحة بالخلافة على أمير المؤمنين عليه السلام كما تأولوا من غيرها نصوصا كثيرا .

٨٥ ــ منها تأولهم في سرية أسامة فراجع ذلك تجد فيه من الفوائد الجمة مالا غني لك عنه .

٩١ ــ ومنها تأولهم في رزية يوم الخميس حيث قالوا هجر رسول الله (ص) فراجعها لتقف على أبحاث هناك مهمة ولتعلم الحكمة في ترك النبي (ص) يومئذ لكتابة ذلك الكتاب .

٩٦ ــ ومنها تأولهم يوم تبوك .

٩٦ ــ ومنها تأولهم يوم الحديبية فراجعه وحق لمثله أن يراجع .

٩٨ ــ ومنها تأولاتهم يوم بدر فراجعها فانها مما يجب أن تراجع وقد الهمنا الله تعالى هناك الى تفسير الآية بما لم نسبق اليه وله الحمد .

١٠٢ ــ تأولاتهم يوم أحد وهي عديدة فراجعها وحق لها أن تراجع وقد أستطردنا مواقف أمير المؤمنين يومئذ التي عجبت منها ملائكة السماء .

١٠٧ ــ تأولهم يوم مات ابن أبي المنافق .

١٠٨ ــ تأولهم يوم ضربوا أبا هريرة منعا له عن تبليغ ما أمره النبي يومئذ بتبليغه .

صفحة

١٠٨ ــ تأولهم اذ تركوا قتل من أمروا بقتله من أهل الفتن والفساد في الارض
١١٠ ــ تأولهم اذ خالفوا رأي النبي (ص) ووافقوا رأي المشركين في رد بعض المؤمنين اليهم ليفتنوهم عن دينهم .
١١٠ ــ تأولهم اذ لمزوه صلى الله عليه وآله وسلم في الصدقات .
١١١ ــ تأولهم اذ تنزهوا عن الشيء يرخص فيه رسول الله (ص) .
١١٢ ــ تأولهم في شأن حاطب اذ كذبوه وشتموه بعد شهادة النبي (ص) بصدقه وقوله لهم لا تقولوا له الا خيرا .
١١٣ ــ موارد تأول عثمان وهي كثيرة فراجعها لتعلم بمعذرة المتأولين .
١١٤ ــ والا بلغ في معذرة المتأولين من كل ما سبق اجماعهم على عدالة عثمان وعدالة المجلبين عليه كعائشة وطلحة وغيرهما .
١١٤ ــ تأول عائشة وطلحة والزبير فيما فعلوه يوم الجمل الاصغر مع عثمان ابن حنيف وشيعة علي من القتل والنهب والمثلة وتأولهم يوم الجمل الاكبر فيما فعلوه مع أمير المؤمنين (ع) .
١١٥ ــ الحاق معاوية لزياد بأبي سفيان .
١١٦ ــ عهده بالخلافة الى شريره المتهتك وسكيره يزيد المفضوح والاشارة الى بعض ما قد ترتب على ذلك يوم الطف ويوم الحرة .
١١٨ ــ نصب المجانيق على مكة وهدم الكعبة وحرقها وفظائع أخر ليزيد وكون أبيه يعلم بأنه ممن لا يؤتمن على نقير ولا يولى أمر قطمير ومع ذلك فقد غش الامة وسلطه عليها .
١١٩ ــ الاخبار الدالة بأن معاوية ملعون لمحاباته وأنه من أهل جهنم .
١١٩ ــ قتله عمر بن الحمق الخزاعي .
١٢٠ ــ قتله حجرا وأصحابه ودسه السم الى الحسن (ع) .
١٢١ ــ الاشارة الى يسير من بوائق معاوية وجرائم عماله .
١٢٢ ــ سبى المسلمات من نساء همدان وذبح طفلي عبيد الله بن العباس وأمهما تنظر اليهما .
١٢٣ ــ فظائع سمرة بن جندب أيام معاوية .
١٢٤ ــ الاشارة الى فظائع زياد حين ولاه معاوية على الكوفة والبصرة والمشرق كله وسجستان وفارس والسند والهند .
١٢٥ ــ حرب معاوية لاخي النبي (ص) ووصيه ونفسه في آية المباهلة ووليه

صفحة

١٢٦ ــ لعنه بقنوت الصلاة رجالا أذهب الرجس عنهم محكم التنزيل وهبط بتطهيرهم جبرائيل وباهل بهم النبي بأمر ربه الجليل وما أكتفى حتى أمر الناس بلعن أمير المؤمنين .

١٢٨ ــ النصوص الدالة على كفر من سبه أو عاداه او آذاه .

١٣٠ ــ اذا صح أجتهاد معاوية في ذلك فأجتهادنا في جواز سبه أولى بالصحة

١٣١ ــ «فصل٩» فيمن أفتى بكفر الشيعة وتفصيل ما أستدل به على ذلك .

١٣١ ــ نص الفتوى بذلك نقلا من كتاب الفتاوي الحامدية .

١٣٢ ــ استفظاع تلك الفتوى والانكار على المفتي بها .

١٣٤ ــ الرد عليه أجمالا وتزييف قوله ببغيهم وكفرهم .

١٣٥ ــ الوجه الاول في تزييف قوله بأن الشيعة تستخف بالدين وتهزأ بالشرع المبين وأثبات كونهم أحوط الناس على الدين وأعظمهم تقديسا للشرع المبين .

١٣٧ ــ الوجه الثاني في تزييف قوله بأنهم يهينون العلم والعلماء واثبات أنهم اشد الناس للعلماء تعظيما .

١٣٩ ــ الوجه الثالث في تزييف قوله أنهم يستحلون المحرمات ويهتكون الحرمات واثبات أنهم ابعد الناس عن المحرمات وأحوطهم على الحرمات وقد استطردنا ذكر الحدود الشرعية على رأي الامامية .

١٤٣ ــ الوجه الرابع في تزييف قوله بأنهم كفروا بأنكارهم خلافة الشيخين وبيان أن لاوجه لتكفير المسلمين بأنكار سياسة خالية وخلافة ماضية هي ليست من أصول الدين بأجماع المسلمين وقد تكلمنا هناك بما يوجبه العلم وتقتضيه الادلة العقلية والنقلية فلا يمكن جحوده فليراجع بتدبر وأمعان .

١٤٥ ــ الوجه الخامس في تزييف قوله بأنهم يتكلمون في حق السيدة عائشة بما لايليق من أمر الافك ولعياذ بالله وبيان أن هذا مما لاصحة له وأن مضمون مسألة الافك محال ممتنع عند الشيعة عقلا وأنهم لا يجيزونه على جميع نساء الانبياء حتى امرأة نوح وامرأة لوط .

١٤٦ ــ نعم ننتقد من أفعال أم المؤمنين خروجها من بيتها وركوبها الجمل وسائر سيرتها مع أهل البيت .

١٤٧ ــ تزييف قوله بأنهم كفروا بسبب الشيخين .

١٤٧ ــ الادلة على عدم حصول الكفر بذلك وهي ستة ــ الاول الاصل مع

صفحة

عدم ما يدل على التكفير ـ الثاني أن الصحابة كانوا يتشاتمون على عهد النبي (ص) فلم يكفر أحدا منهم بذلك .

١٤٨ ـ الثالث عموم الاحاديث الحاكمة بالاسلام على مطلق أهل الاركان الخمسة كافة ـ الرابع أن رجلا من المسلمين سب الصديق فلم يعامله رضي الله عنه معاملة المرتد بل عامله معاملة غيره من المسلمين .

١٥٠ ـ الخامس اجماع فقهائهم ان مجرد السب لايوجب الكفر وقد ذكرنا كلماتهم في ذلك .

١٥٢ ـ السادس أنه لايفتي بالتكفير عندهم الا أن يكون الموجب للكفر مجمعا على ايجابه لذلك وبناء على هذا فلا يمكن التكفير في هذه المسألة مع انعقاد أجماعهم على عدم الكفر بها ولو أنكر الخصم ذلك فحسبه وجود القائل بعدم التكفير فانه مما لا يمكن انكاره .

١٥٤ ـ « فصل ١٠ » في الاشارة الى يسير مما نسبه الكذابون الى الشيعة وبيان براءتهم منه وقد ذكرنا أن الرامين لهم على أربعة اقسام ـ القسم الاول طائفة تزلفوا بذلك الى ملوك بني أمية وبني العباس .

١٥٥ ـ القسم الثاني طائفة حملهم على ذلك الخوف من ميل الناس الى الشيعة فبهتوهم بما بهتوهم به تنفيرا للناس عنهم .

١٥٥ ـ القسم الثالث طائفة التبس الامر عليهم لاشتراك اسم الشيعة بين الامامية وغيرهم .

١٥٦ ـ القسم الرابع جماعة اعتمدوا على من تقدمهم فرأوهم ينقلون شيئا فنقلوا .

١٥٦ ـ زعم ابن حزم ان من الامامية من يجيز نكاح تسع نسوة ومنهم من يحرم الكرنب وبيان افترائه واعتدائه بذلك .

١٥٩ ـ ارجاف الشهرستاني بالامامية والرد عليه فيما نسبه اليهم عامة والى زرارة والهشامين ومؤمن الطاق بالخصوص .

١٦٠ ـ وقد بلغت القحة بجودت باشا الى رمي الشيعة بأنكار الصوم والصلاة والحج والزكاة فراجع ما نقلناه عنه وما قلناه في رده .

١٦١ ـ الرد على من نسب الينا تحريم لحم الابل وعدم العدة على النساء

١٦٢ ـ « فصل ١١ » في الرد على نواصب هذا العصر .

١٦٤ ــ معاتبة الفاضل الرافعي حيث نبذ الشيعة بالرفض ونسب اليهم القول بتحريف القرآن الحكيم وبيان خطأه في ذلك بما لا مزيد عليه .

١٧٠ ــ « فصل ١٢ » في سبب التباعد بين الطائفتين وفيه مقصدان ــ المقصد الاول فيما ينفر منه الشيعي وهو أمران ــ الاول التحقير والتكفير ــ والثاني الاعراض عن مذهب أهل البيت في أصول الدين وفروعه وفي تفسير القرآن وفي الحديث وفي سائر الامور وانكى من ذلك عدم احتجاجه بأكثر أئمة اهل البيت (ع) .

١٧١ ــ مع احتجاجه بداعية الخوارج عمران بن حطان .

١٧٢ ــ قول ابن خلدون وشذ اهل البيت بمذاهب ابتدعوها والرد عليه في ذلك بما يصلح لان يكون رسالة حافلة بالادلة على وجوب اتباعهم وضلال من خالفهم فراجع .

١٧٨ ــ المقصد الثاني في الامور التي ينفر منها السني وبيان أنهامما بهتنابها المبطلون وأبداء رأينا في الصحابة رضي الله عنهم وكونه أوسط الآراء .

١٧٩ ــ فهرس اسماء الشيعة من الصحابة مرتبا على حروف الهجاء .

١٩٠ ــ هناك جماعة نافقوا في صحبة الرسول (ص) وظهر نفاقهم بما أحدثوه بعده وقد أخبر النبي بأنهم سيرتدون على اعقابهم القهقرى .

١٩٢ ــ تصريح القرآن بنفاقهم .

١٩٤ ــ وجوب مودة الذين أستقاموا على ما أمرهم به الله تعالى ورسوله (ص) وأولئك لهم الخيرات وأولئك هم المفلحون .

فهرس الكلمة الغراء

فى تفضيل فاطمة الزهراء (ع)

وهي عبارة عن مطلبين ــ المطلب الاول في دلالة الكتاب ــ وقد ذكرنا منه اربع آيات في أربعة فصول .

١٩٧ ــ « الفصل الاول » في آية المباهلة ووجه دلالتها وبيان نكاتها البيانية .

١٩٩ ــ روعة زعماء نجران حين برز أصحاب الكساء لمباهلتهم .

٢٠١ ــ دلالة الآية على كون علي بمنزلة نفس النبي (ص) وكلام الرازي في ذلك .

٢٠٣ ــ « الفصل الثاني » في آية التطهير ونزولها في الخمسة (ع) .
٢٠٤ ــ بيان السر في حجبه (ص) اياهم بذلك الكساء .
٢٠٧ ــ البرهان على أختصاص الآية بالخمسة .
٢٠٩ ــ قول عكرمة ومقاتل بأختصاص الآية بالنساء تشبثا بالسياق .
٢٠٩ ــ كون عكرمة من دعاة الخوارج وكذبة المحدثين .
٢١٢ ــ كون مقاتل من أعداء علي وأهل البيت وكونه كذابا مرجئا مشبها ساقطا .
٢١٣ ــ الردعلى عكرمة ومقاتل فيمازعماه من تخصيص الآية بالنساء وتزييف دليلهما بأربعة وجوه .
٢١٤ ــ قول بعضهم بأن المراد من أهل البيت في الآية كل من حرمت عليهم الصدقة وبيان دليله على ذلك وأبطال دليله من وجهين .
٢١٦ ــ قول قوم بأن الآية شاملة للزوجات ولا صحاب الكساء جمعا بين الادلة والسياق ورده بوجوه ثلاثة .
٢١٧ ــ « تنبيهان » أحدهما ان الآية دلت على عصمة الخمسة ، ثانيهما انها دلت على امامة أمير المؤمنين (ع) .
٢١٨ ــ « الفصل الثالث » في آية المودة والاخبار المأثورة في نزولها بعلي وفاطمة وابنائهما .
٢٢٢ ــ التعجب من حسدة آل محمد (ص) وصرفهم الآية عنهم والذي عرفناه من أقوالهم أربعة أقوال .
٢٢٣ ــ القول الاول ان الله تعالى أمر نبيه ان يقول لمشركي قريش لاأسألكم أجرا الا أن تودوني في قرابتي منكم وقد زيفناه بخمسة وجوه .
٢٢٤ ــ القول الثاني أن معناها لا أسألكم عليه أجرا الا أن تودوا القربى من الله بالاعمال الصالحة ــ والثالث ان معناهالا أن تودوا قرابتكم ــ والرابع أن الآية منسوخة وقد بينا بطلان هذه الاضاليل بما لا مزيد عليه .
٢٢٥ ــ بقى للقوم اعتراضان ذكرناهما وزيفناهما .
٢٢٩ ــ قطع أكابر أهل السنة بنزول آية المودة في أهل البيت .
٢٣٠ ــ « الفصل الرابع » في آيات الابرار ونزولها فيهم عليهم السلام .
٢٣٢ ــ شرح آيات الابرار ، والاشارة الى ما تضمنته من الاسرار .
٢٣٩ ــ المطلب الثاني في دلالة السنة وفيها من الاحاديث الصحيحة ماتضيق عنه هذه الرسالة وقد أكتفينا بأثني عشر حديثا فراجعها .

سيصدر قريبا

الترياق الفاروقي

او

ديوان عبد الباقي العمري

BP
80
.F36
M7

1964

SEP 9 1968

COLUMBIA LIBRARIES OFFSITE
CU55311334
BP80.F36 M7 1964 al-Fusul al-muhimmah